



المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة التعليم عن بعد
كلية الشريعة - الانتساب المطور

(قرا "١٠٣")

مقرر التفسير

المستوى الأول

أستاذ المادة:

د. بدر البدر

(المذكرات تم تفرغها سماعاً من المحاضرات الصوتية)

إعداد طلاب وطالبات كلية الشريعة

انتساب مطور

نسخة مدققة و مزيدة

١٤٣٢ هـ

(كتب الله أجر كل من عمل على إعدادها وجعلها له صدقة جارية)

﴿ تقديم ﴾

هذه هي الطبعة النهائية لمذكرات كلية الشريعة انتساب مطور تعليم عن بعد وقد اعتمدت بتوفيق من الله بعد أن تم تدقيقها أكثر من مرة من قبل طلاب وطالبات كلية الشريعة انتساب مطور واخترنا أفضلها تدقيقاً وتم تلوينها وتنسيقها لتكون هي الطبعة النهائية ولأنها جهد بشري لا يخلو من الخطأ ولا يصل للكمال فترجو عند وجود خطأ أو ملاحظة كتابة تنبيه في الموضوع المخصص لذلك في منتدى المستوى الخاص بالمذكرة في منتدى مكتبة كلية الشريعة: www.imam8.com

وسوف يتم تصحيح الأخطاء بعد التنبيه عليها من قبل القائمين على إعداد المذكرات

ونسأل الله جزيل الثواب لكل من يعين على ذلك ويشاركنا فيه

(مجموعة إعداد مذكرات كلية الشريعة انتساب مطور)

مفردات المقرر:أولاً: مقدمة في مصادر التشريع:

بيان أهمية التفسير، تاريخ تدوينه، تعدد موضوعاته، مناهج المفسرين، أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالأثر والتفسير بالرأي، التعريف بكبار المفسرين، مباحث المعاصرين في علوم القرآن.

ثانياً: تفسير الآيات الكريمة الآتية:

من سورة البقرة:

- ١- من قوله تعالى: { وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ... } إلى قول الله تعالى: { وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } الآيات من ١٠١، - ١٠٨
- ٢- من قوله تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ... } إلى قوله تعالى: { فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } الآيتان ١١٤، - ١١٥
- ٣- من قوله تعالى: " سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا... } إلى قوله تعالى: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ... } الآيات ١٤٢، - ١٥٠
- ٤- من قوله تعالى: { إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ... } إلى قوله تعالى: { فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } آية واحدة (١٥٨).
- ٥- من قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } إلى آخر الآية من قوله تعالى: { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ.. } الآيتان ١٧٢، - ١٧٣
- ٦- من قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ.. } إلى قوله { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ... } الآيات من ١٧٨ - ٢٠٣.

الحلقة (١)عنوان الحلقة / التفسير والتأويل وأهميته.عناصر الحلقة:

١. نعمة الله تعالى بإنزال القرآن الكريم.
٢. أوجه العناية بالقرآن الكريم.
٣. معنى التفسير في اللغة والاصطلاح.
٤. معنى التأويل في اللغة والاصطلاح.
٥. أنواع التأويل.
٦. الفرق بين التفسير والتأويل.
٧. شرف علم التفسير وأهميته.

❖ معنى التفسير في اللغة والاصطلاح

التفسير في اللغة: تفعيل من الفسر بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى، وفعله كضرب ونصر، يقال فسر الشيء يفسر بالكسر، ومن باب نصر يفسر بالضم، وفسره: أبانه والتفسير والفسر: الإبانة وكشف المغطى وجاء في لسان العرب الفسر:

كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، قال تعالى { **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** } قال ابن عباس -رضى الله- عنهما في قوله تعالى { **وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** } أي: تفصيلاً، وذهب بعض اللغويين إلى أن كلمة "فسر" مقلوبة من: "سفر"، وهذا ما يعبر عنه النحويين بالقلب المكاني، ومعناه أيضاً "الكشف"، يقال: سفرت المرأة سفوراً إذا ألفت خمارها عن وجهها وهي سافرة وأسفر الصبح أضاء، وإنما بنوه على التفعيل أي التفسير لأنه للتكثير كقوله سبحانه وتعالى { **يُذَجِّجُونَ آبَاءَهُمْ** } وقوله جل وعلا { **وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ** } وفي هذين الفعلين { **يُذَجِّجُونَ** } و { **وَعَلَّقَتِ** } زيادة معنى وكما قال اللغويون الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى ففي قولنا التفسير كأنه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد آية أخرى يفسرها ويبينها ويوضح معانيها.

أما التفسير في الاصطلاح فكلام العلماء فيه كثير اقتصر هنا **على قولين** في بيان المراد بالتفسير في الاصطلاح،

• الأول عن إمام المفسرين في زمانه "أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي رحمه الله" عرفه: بأنه علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك، ذكر هذا في مقدمة تفسيره البحر المحيط ثم بعد ذلك شرح هذا التعريف الإصطلاحي فقال قولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم.

وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو "علم القراءات" ومعلوم أن علم القراءات من أشرف العلوم المرتبطة بكلام الله جل وعلا.

وقولنا "ومدلولاتها" أي: مدلولات تلك الألفاظ وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم أي بيان الغريب، بيان غريب ألفاظ القرآن الكريم وقد أُلّف في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة سيأتي الحديث عنها في حلقات قادمة إن شاء الله تعالى.

وقولنا "وأحكامها الإفرادية والتركيبية" هذا يشمل: علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع وهذه بلا شك علوم مهمة يجب أن يعتني بها المفسر ومن يرغب القراءة في التفسير أن يكون له عناية بهذه العلوم **علوم اللغة علم النحو وعلم التصريف وعلوم البلاغة، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين.**

وقولنا "ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب: يشمل: ما دللته عليه بالحقيقة وما دللته عليه بالمجاز والحديث عن المجاز سيأتي في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى وقولنا وتتمت لذلك هو معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضيح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك، هذا هو التعريف الذي ذكره أبو حيان علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك،

• أما التعريف الآخر فقد ذكره الإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن قال رحمه الله: التفسير علم يفهم به كتاب الله جل وعلا المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، وهذا بلا شك تعريف مختصر موجز.

❖ معنى التأويل في اللغة والإصطلاح:

التأويل في اللغة: مأخوذ من **الأوّل** وهو الرجوع إلى الأصل يقال آل إليه أولاً ومآلاً أي: رجع، ويقال: أوّل الكلام تأويلاً وتأوله أي دبره وقدره وفسّره.

أما معناه في الإصطلاح: فهو تفسير الكلام وبيان معناه وهذا هو ما يعنيه الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره حين

يقول: القول في تأويل قوله تعالى، أو تأويل، اختلف أهل التأويل، ثم يقول قال ابن عباس قال ابن مسعود قال كذا وكذا إلى آخره فالمقصود بالتأويل عند ابن جرير الطبري رحمه الله أى بمعنى التفسير وهذا هو معنى التأويل عند السلف رحمهم الله تعالى.

أما التأويل في عرف المتأخرين فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، **ولكن هذا غير صحيح** فإن أهل المذاهب الباطلة والاتجاهات المنحرفة أولوا كثيراً من صفات الله سبحانه وتعالى على غير وجهها الصحيح فمثلاً لا يثبتون أن لله وجهاً لقول الله سبحانه وتعالى "ويبقى وجه ربك" فيقولون: لا، المقصود الثواب، وأيضاً صفة اليد لله تبارك وتعالى حين يقول سبحانه وتعالى "بل يدها مبسوطتان" فهم يأولونها بالقدرة أو النعمة، وهذا بلا شك تأويل باطل غير صحيح،

❖ أنواع التأويل:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- أن التأويل على ثلاث أوجه:

- **الأول:** بمعنى التفسير وإيضاح المعنى وهذا قد سلكه كثير من السلف ومنهم الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى كان يقول:، القول في تأويل قوله تعالى أو يقول: قال أهل التأويل، ثم يذكر التفصيل بعد ذلك،
- **الثاني:** أن يراد به ماهية الشيء وحقيقته كقوله تعالى: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ } يعني **يوم حقيقته والواقع** ونحو ذلك ومنه أيضاً حديث عائشة رضي الله عنه قالت: (كان رسول الله ﷺ في آخر حياته يكثر أن يقول استغفر الله وأتوب إليه) ثم قالت رضي الله عنه: (كان يتأول القرآن أي: أنه كان يطبق ويلتزم قول الله تعالى { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ **وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** })

- **الثالث:** صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به عند صاحبه وهذا كما قلت مذهب باطل ومذهب سيئ لا يصح أن يحمل عليه كلام الله سبحانه وتعالى،

❖ الفرق بين التفسير والتأويل:

بعد النظر إلى التعريفات السابقة سواءً فيما يرتبط بالتفسير أو فيما يرتبط بالتأويل هناك مذاهب وأقوال في الفرق بين التفسير والتأويل وقد جمعت شيئاً من ذلك منها:

- **أولاً:** إذا قيل إن التأويل هو تفسير الكلام وبيان معناه، كما هو صنيع الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى فالتفسير والتأويل متقاربان أو مترادفان في المعنى، إذا قلنا أن التأويل بمعنى التفسير والإيضاح والتفسير هذا هو معناه في الأصل **فالتفسير والتأويل لا فرق بينهما**، وهذا كما قلت على اصطلاح السلف رحمهم الله فهذا المعنى المراد عندهم لا فرق بين التفسير والتأويل على هذا المعنى ومنه أيضاً دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس -رضي الله عنهما- حبر الأمة وترجمان القرآن (اللَّهُمَّ فقه في الدين وعلمه التأويل) أي: تفسير كلام الله جل وعلا وبيان معناه وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لابن عباس فكان إمام الصحابة في التفسير وبيان معاني كلام الله تبارك وتعالى،
- **ثانياً:** إذا قيل أن التأويل هو نفس المراد بالكلام وهذا يعني ذات الشيء وحقيقته فهذا لا شك سيكون هناك فرق بين التأويل والتفسير فالتأويل سيكون نفس المطلوب تأويل الطلب نفس المطلوب وتأويل الخبر نفس الشيء المخبر عنه، فالتفسير هو شرح وإيضاح الكلام أما التأويل فهو نفس الأمور الموجودة في الخارج فلو قلنا مثلاً طلعت الشمس فتأويل هذا هو نفس طلوعها فتأويل طلوع الشمس أنها خرجت وبنات وظهرت للناس أما إذا قلنا التفسير فلا بد أن يشرح ويبين

كيف طلعت وما فائدتها وما إلى غير ذلك،

• **ثالثاً:** قيل أن التفسير ما وقع مبيناً في كتاب الله جل وعلا أو معيناً في صحيح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن معناه قد ظهر ووضح هذا هو معنى التفسير لأنه مأخوذ من الظهور والبيان والوضوح أما التأويل فهو ما استنبطه العلماء فهو يحتاج إلى نظر وتأمل واستنباط فهذا يسمى التأويل الشئ الواضح الظاهر الذي فيه بيان من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تفسير واضح، مثل قول الله تبارك وتعالى { **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)** صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } جاء تفسير المنعم عليهم في سورة النساء

قال تعالى { **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** } فالمنعم عليهم هم الذين أطاعوا الله وأطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ما جاء في السنة فلو فرضاً روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفسر آية فهذا أمر قاطع منتهي وهذا حقيقة يعتبر هو التفسير الواضح البين مثل أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر القوة في قوله تبارك وتعالى { **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** } قال عليه الصلاة والسلام وهو على أعواد منبره (**ألا إن القوة الري ألا إن القوة الري**) فهنا فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم القوة بأنها الري، أيضاً في الحديث الآخر الصحيح أن علي رضي الله عنه (سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر فقال: (**هو يوم النحر**)، فلا كلام بعد كلام الرسول صلى الله عليه وسلم هذا هو التفسير على هذا القول الثالث تفسير: ما وقع مبيناً في كتاب الله تبارك وتعالى أو معيناً في صحيح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما **التأويل** فيدخل فيه الاستنباط والاستدلال ونحو ذلك أي ما استنبطه العلماء من الآية يسمى تأويلاً ولذلك قال بعضهم: **التفسير** ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية أي التفسير يتعلق بالروايات والمأثور كما سيأتينا إن شاء الله والدراية يعني الاستنباط والفهم والاستدلال يسمى تأويلاً،

• **رابعاً:** أن التفسير أكثر ما يستعمل في الألفاظ والمفردات أي يهتم بألفاظ الآية ومفردات الآية أما التأويل أكثر ما يستعمل في المعاني والجمل، والحقيقة أن هذه الأقوال الأربعة إن كان لي فيها من ترجيح أو وقفة تأمل فيها فلا في شك أن **القول الأول** إذا قلنا أن التأويل هو التفسير فلا فرق فالتفسير والتأويل كلاهما معناهما الإيضاح والبيان وإظهار المعنى ونحو ذلك، **أما إذا قلنا أن بينهما فرقاً ففعل القول الثالث هو الأقرب** أن التفسير هو ما جاء مبيناً في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأيضاً يضاف إلى ذلك ما روي عن الصحابة والتابعين، والتأويل ما اجتهد فيه المفسر بالاستنباط والنظر وغير ذلك.

❖ شرف علم التفسير وأهميته:

العلماء يقولون العلم يشرف بشرف المعلوم هذه قاعدة دائماً يذكرونها ولا شك أن أشرف الكلام كلام الله عز وجل طريق السعادة والهداية والفلاح لمن تمسك به ولمن سار على نهجه يقول الله تبارك وتعالى { **هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ** } فارتباط التفسير بكلام الله عز وجل هو الذي جعله من أشرف العلوم ومن أزكاها ومن أولها أهمية وأنه ينبغي أن تصرف له الأوقات وأن يعتني به العناية البالغة وأذكر في هذا المقام كلمات للإمام السيوطي رحمه الله تعالى ذكرها في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" حول شرف هذا الموضوع يقول رحمه الله تعالى "التفسير من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدراً وهو أشرف العلوم موضوعاً وغرضاً وحاجة إليه، لأن موضوعه كلام الله تعالى أما الغرض منه فهو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية ثم اشتدت الحاجة إليه لأن كل كمال ديني أو دنيوي لا بد أن يكون موافقاً للشرع وموافقته تتوقف على العلم

بكتاب الله عز وجل".

❖ نعمة الله تعالى بإنزال القرآن الكريم

الله سبحانه وتعالى أنعم علينا نعمة عظيمة بإنزال القرآن الكريم فهو النعمة وهو الفضل كما قال تبارك وتعالى { **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ** } فهذا القرآن هو منة وفضل من الله تبارك وتعالى وفي سورة يونس يقول الله تبارك وتعالى { **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** } وفضل الله ورحمته هنا هو القرآن الكريم وقد روى الحافظ ابن كثير في تفسيره "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقف مع عماله يعدون غنائم جيء بها إليه فتعب هو والعمال من كثرة العد فقال أحدهم يا أمير المؤمنين هذا فضل الله ورحمته فقال عمر رضي الله عنه أخطأت، القرآن هو فضل الله ورحمته ثم قرأ هذه الآية { **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** }، ثم لما جاء إلى قوله **هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** } أشار بأصبعه إلى الغنائم "فلنحمد الله تبارك وتعالى على هذه النعمة وعلى هذه المنة نعمة الإسلام والإيمان وأن علمنا تبارك وتعالى القرآن،

❖ أوجه العناية بالقرآن الكريم:

العناية بكتاب الله جل وعلا تشمل أموراً كثيرة أوجزها الإمام الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله في قوله "حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن عثمان بن عفان و عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنهم كانوا إذا تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوهن حتى يتعلموا ما فيهن من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في تعليقه على مقدمة شيخ الإسلام بن تيمية في التفسير لما ذكر هذا الأثر قال: "دل هذا الأثر على أن القرآن أنزل لثلاثة مقاصد يجب العناية بها":

- **أولاً** قالوا فتعلمنا القرآن يعني تلاوة وحفظاً، تعلماً وتعليماً،
- **ثانياً** قالوا فتعلمنا القرآن والعلم يعني الفقه بالقرآن الكريم فقه القرآن وتعلم أحكامه وتدبر آياته ومعرفة تفسيره وغير ذلك من العلوم المرتبطة به،

▪ **ثالثاً** قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل بكتاب الله جل وعلا ففيه السعادة والخير والفلاح كما قال سبحانه { **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } ويقول جل وعلا { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** } ولا حياة ولا سعادة ولا فلاح إلا في التمسك بكتاب الله جل وعلا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (**والقرآن حجة لك أو عليك**) قد روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي الدرداء رضي الله عنه وهو من أئمة الصحابة في التفسير والعلم بالقرآن قال: "إن أخوف ما أخاف يوم القيامة أن يقال لي "يا عويمر واسمه عويمر بن مالك يا عويمر أعلمت أم جهلت فأقول بلى والله علمت فلا تزال كل آية أخذة بفريضة الآمرة هل ائتمرت والزاجرة هل انزجرت".

الحلقة (٢)

عنوان الحلقة / تاريخ تدوين التفسير وتعدد موضوعاته.

عناصر الحلقة:

١. إرسال كل رسول إنما يكون بلسان قومه
٢. الموقف من العرب في القرآن
٣. التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
٤. التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم
٥. التفسير في عهد التابعين رحمهم الله
٦. التفسير في عصور التدوين
٧. تأثير التفسير بالعلوم الأخرى
٨. التفسير الموضوعي

❖ إرسال كل رسول إنما يكون بلسان قومه:

جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن يرسل كل رسول بلسان قومه لتتم مخاطبتهم بما يفهمون وبما يعرفون بلسان أولئك الأقسام قال تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** } فيبين الله في هذه الآية الحكمة من إرسال الرسول بلسان قومه لإتمام البيان وإقامة الحجة عليهم، أرسل الله تبارك وتعالى من أولئك الرسل أفضلهم وخاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى قومه العرب وكانوا أهل فصاحة وبلاغة فجاءهم بهذه المعجزة فإن الله سبحانه وتعالى يعطي كل نبي معجزة من جنس ما برع وفذ وتفنن فيه قومه، قال تعالى: { **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** } وقال تعالى: { **وَإِنَّهُ لَكُنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** } فألفاظ القرآن عربية ووجوه معانيه واضحة بينة لمن فتح الله عليه وقرأ في علم التفسير وكان عنده إمام بلغة العرب.

❖ الموقف من العرب في القرآن

اختلف العلماء أنه هل في القرآن كلام أعجمي؟ لا شك أنه لا يوجد في القرآن كلام أعجمي لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين خلاف من قال بذلك، لكن ما القول في بعض الكلمات التي قيل أن أصولها أعجمية؟ للعلماء في ذلك مذاهب كثيرة منهم من يقول أنه ليس في القرآن كلام أعجمي البتة وليس فيه كلمات عربية، ومن العلماء من يقول بل أن في القرآن كلمات أعجمية عربية قبل نزول القرآن استعملها العرب وأدخلوا عليها قواعدهم ونطقهم وغير ذلك، وهناك قول ثالث أن هذه الكلمات تعتبر مما توافقت فيه لغة العرب مع اللغات الأخرى، وإلا ما الدليل على أنها عند أولئك وليست عند العرب. وهذا القول هو الذي انتصر له إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله فهو يري وهو رأى المحققين من أهل العلم أيضاً أنها كلمات اتفقت فيها ألفاظ العرب مع ألفاظ غيرهم من بعض أجناس الأمم مثل قوله تعالى { **يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ** } قيل الكفلان ضعفان من الأجر بلسان الحبشة، فيقول من قال بالقول الثالث: ما الدليل أنها عربية من لغة الحبشة؟ فهي من الكلمات التي توافقت فيها اللغات عند العرب وغيرهم وكلهم نطقوا بهذه الكلمات، أيضاً في قوله تعالى { **بِحَبَابَةٍ مِنْ سَجِيلٍ** } قيل أنها فارسية وقد عربت، فيقول الإمام الطبري رحمه الله والمحققون من أهل العلم الذين

يقولون بالقول الثالث ما الدليل على ذلك نطق بها العرب ونطق بها أولئك على حد سواء، وهذا مما توافقت فيه اللغات والله أعلم.

يقول الطبري رحمه الله: " وقد ظهر أن بعض الألفاظ اتفقت فيها الألسن المختلفة كالدرهم والدينار والدواء والقلم والقرطاس فأى مرجح يجعل اللفظ في اللغة بعينها ثم نقل إلى اللغة الأخرى فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس، ومدعي ذلك يدعي شيئاً بلا دليل"، والمسألة خلافية قديمة بين العلماء وأيضاً لا تزال الدراسات تتواصل في هذا العلم وهو علم المعرب والمؤلفات فيه قديمة وحديثة،

❖ التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

النبي صلى الله عليه وسلم بين لأمته معاني القرآن وفسره لهم وقد اختلف هل فسر الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن كاملاً **والصحيح** أنه صلى الله عليه وسلم ما فسر القرآن كاملاً وإنما بين لأمته وبين الصحابة رضی الله عنهم ما أشكل عليهم، وكان تفسيره صلى الله عليه وسلم على نوعين:

■ **النوع الأول تفسير ألفاظ ومفردات** مثل ما تم ذكره في الحلقة السابقة أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر القوة ببعض أنواعها أو بأشرفها ألا وهي الرمي لقول الله عز وجل { **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** } قال صلى الله عليه وسلم (ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي)، ولما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر؟ قال صلى الله عليه وسلم هو يوم النحر،

■ أما **النوع الثاني فهو تفسير المعاني** فالنبي صلى الله عليه وسلم بين لنا صفة الصلاة ومواقيتها واستنبط العلماء بعد ذلك شروطها وكذلك أنصبه الزكاة وأحوالها وأيضاً الصيام وأحكامه المرتبطة به والحج وإلى غير ذلك من الأحكام فالسنة موضحة وشارحة لكلام الله عز وجل كما روى في هذا عن الإمام الشافعي رحمه الله، والله سبحانه وتعالى يقول:

{ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** } والله سبحانه وتعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم مبلغاً وداعياً ومن ذلك أنه بين لأمته هذا القرآن الكريم وأوضحه لهم لكن كما قلت القول أنه صلى الله عليه وسلم فسر كل آية وكل مفردة غير صحيح.

❖ التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم

الصحابة رضي الله عنهم نقلوا القرآن للأمة ومما نقلوه لهم تفسير القرآن الكريم وكانوا أفهم الناس وأعلم الناس لأحكامه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه نزل بلغتهم وقد قال ابن خلدون في مقدمته " إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، ولكن الصحابة يتفاوتون في العلم أيضاً فمنهم من كان متبحراً في علم التفسير ومنهم من كان متبحراً في بعض علوم القرآن كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومنهم من كان منشغلاً برواية الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المهم أنهم كانوا في خير وعلى خير وإلى خير رضي الله عنهم، ولذلك كان يشكل عليهم بعض الكلمات مثل عمر رضي الله عنه روى عنه أبو عبيد القاسم بن سلام في الفضائل أنه قرأ قول الله جل وعلا { **وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** } قال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا هو التكلف يا عمر، فعمر أشكل عليه معنى الأب وهذا لا يقلل من قدره رضي الله عنه، أيضاً ابن عباس رضي الله عنهما يقول: كنت لا أدري ما معنى { **فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** } حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي أنا ابتدأتها، فعرف ابن عباس أن معنى فاطر أي المبتدئ الخالق سبحانه وتعالى".

والصحابه رضي الله عنهم كانوا يعتمدون في تفسيرهم على أمور كثيرة من أهمها:

○ **أولاً: القرآن الكريم** فقد كانوا يفسرون القرآن بالقرآن فهو أعظم وأشرف ما يفسر به القرآن وأحسنها طريقة في التفسير مثل قوله تعالى "أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم" فأين الذي يتلى علينا؟ جاء في قوله تعالى:

{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحَيْزُ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ } فهذه الآية فسرت تلك الآية التي أشير فيها أن هناك مستثنى سيأتي إلا ما يتلى عليكم

○ **ثانياً: كانوا يعتمدون على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم** فقد سألوا رسولنا صلى الله عليه وسلم عما أشكل عليهم وكان صلى الله عليه وسلم كان يبين ويوضح ما أشكل على الصحابة رضي الله عنهم ومن أوضح الأدلة على ذلك ما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } شق ذلك على الناس فقالوا يارسول الله وأينا لا يظلم نفسه، فذهب ذهنهم إلى أنه الظلم العام فكلنا يظلم نفسه ويظلم الآخرين وقد يقع ويزل في الظلم صغيره وكبيره، فقال- صلى الله عليه وسلم =: {إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح يعني لقمان { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } إنما هو الشرك}، رواه الشيخان والإمام أحمد، ففسر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الظلم هنا بأنه الشرك،

○ **ثالثاً: الفهم والاجتهاد** فقد كانوا رضي الله عنهم أعلم هذه الأمة وأقلها تكلفاً وأدقها استنباطاً وفهماً فإذا لم يجدوا تفسيراً في كتاب الله عز وجل أو في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم استنبطوا بما أوتوا من الأدوات وأعظمها المعرفة بلغته العرب وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضورهم أسباب التنزيل ونحو ذلك، وهم الموفقون المسددون في هذا الباب وغيره.

اشتهر في التفسير من الصحابة رضي الله عنهم جمع كثير ونقلت الأمة عنهم الشيء الكثير ولا يزال علمهم ينتقل جيلاً بعد جيل، فالمشتهر منهم الخلفاء الأربعة الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأيضاً ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وعائشة - رضي الله عنهم - أجمعين وهم يتفاوتون في ذلك قلة وكثرة وأيضاً في الرواية عنهم صحة وضعفاً، وهذا التفسير المروي عن الصحابة له قيمته وله مكانته ولا شك أن تفسير الصحابي وهو مذهب جمهور العلماء له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول وما ليس للرأي فيه مجال، إذا كان سبب نزول مثلاً يقول نزلت الآية في كذا وكذا حصل كذا وكذا فنزلت الآية، هذا له حكم المرفوع لأنهم شاهدوا التنزيل وحضروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أيضاً إذا لم يكن للرأي فيه مجال فقولهم مقدم على غيرهم في تفسير الآية.

أما الموقوف على الصحابي في التفسير بعض أهل العلم يقول يجب الأخذ به، وهذا هو الحق أن يؤخذ بالموقوف على الصحابي ولا يعارض به غيره، لكن إن اختلفت أقوال الصحابة مثل قوله تعالى "أو لامستم النساء" اختلف المروي عن الصحابة عن ابن عباس وابن مسعود، منهم من قال اللمس هنا هو مس المرأة، ومنهم من قال الجماع، فهذه المسألة تحتاج إلى نظر وإلى ترجيح وإلى جمع الأدلة ومناقشتها هذا التفسير المروي عن الصحابة روي لنا ولله الحمد من كتب التفسير بالمأثور كتفسير عبد الرزاق وتفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم وأيضاً من جاء بعدهم ونقل لنا جملة من أقوالهم.

❖ التفسير في عهد التابعين رحمهم الله

نقل علم الصحابة في كل شيء ومن ذلك التفسير التابعون رحمهم الله تعالى وقد أكبوا على مجالسهم ينهلون من علومهم يسألونهم عما أشكل عليهم وينقلون ما ذكره رضي الله عنهم في علم التفسير، وقد اشتهر بعض أعلام التابعين بالعناية بالتفسير مثل مجاهد بن جبر وسعيد بن جبيرة،

هؤلاء التابعون رحمهم الله اعتمدوا في تفسيرهم على ما جاء في كتاب الله عز وجل وعلى ما جاء في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأيضاً ما روه عن الصحابة رضي الله عنهم وإذا لم يجدوا شيئاً استنبطوا وتأملوا ما يفتح الله عز وجل عليهم من فهم لنصوص كتاب الله جل وعلا.

هذا الإقبال على مدارس الصحابة والنهل من علومهم وبخاصة في علم التفسير بعض الباحثين يقسم تلك اللقاءات وتلك المجالس إلى ثلاث مدارس وعندما نقول مدارس لا نعني بذلك المصطلح الحديث بل نقصد بذلك لقاءات ومجالس كانوا يجلسونها مع الصحابة رضي الله عنهم ولهم مميزات وطرائق في الأخذ منهم وهم يقولون أن هناك ثلاث مدارس:

▪ **الأولى** مدرسة ابن عباس في مكة وأشهر تلاميذه سعيد بن جبيرة ومجاهد وعكرمة مولاه وطاوس بن كيسان وعطاء بن أبي رباح.

▪ **والثانية** مدرسة أبي بن كعب في المدينة وقد روى عنه كثير مثل زيد بن أسلم وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظي.

▪ **والثالثة** مدرسة ابن مسعود في العراق ومن تلاميذه علقمة بن قيس ومسروق والأسود بن يزيد ومرة الهمداني وعامر الشعبي والحسن البصري وقتادة بن دعامة السدوسي وغيرهم.

والمروي عن التابعين له أهميته وله قدره وسلفنا الصالح أوتوا من الفهم والاستنباط والتفسير لكلام الله جل وعلا ما لم يؤتته من بعدهم، فهم أصحاب القرون المفضلة الذين أثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الخلاف هنا لو لم يؤثر شيء عن الصحابة لا في القرآن ولا في السنة ولا عند الصحابة رضي الله عنهم هل يؤخذ بأقوالهم وفي الحقيقة ذهب جماعة أنه لا يؤخذ بتفسيرهم لأنهم لم يشاهدوا القرآن والأحوال التي نزل عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ، وهناك قول آخر وهو مذهب **أكثر المفسرين أنه يؤخذ بتفسيرهم وهذا هو الراجح** مع تفصيل يسير وهو أنه إذا أجمع التابعون على رأى فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره، هذا إذا أجمعوا، أما إذا كان بينهم خلاف في تفسير آية فنحن ننظر إلى المرجحات والأمر الأخرى.

وتفسير التابعين طابعه طابع التلقي والرواية وفي زمنهم كثر التوسع عند بعضهم في الرواية عن أهل الكتاب كانوا يروون عن عبدالله بن سلام وعن كعب الأحبار ووهب بن منبه هؤلاء كانوا من أهل الكتاب ومن ثم أسلموا وكان التابعون ينقلون عنهم ولذلك دخلت الإسرائيليات في كتب التفسير وسيأتي كلام بإذن الله تبارك وتعالى،

❖ التفسير في عصور التدوين :

التفسير قبل هذه العصور لم يدون قد يكون هناك شيء مكتوب في الصحف وإنما لم يدون، فالتدوين بدأ في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد العباسيين وحظي الحديث النبوي بالتدوين في بداياته ومع ذلك كان هذا الحديث يشتمل على التفسير، البخاري رحمه الله جعل كتاباً للتفسير، الإمام مسلم أيضاً الترمذي رحمه الله جعل أبواب في التفسير وأبواب في القراءات وأبواب في فضائل القرآن وغير ذلك،

بعد ذلك اعتنى بعض العلماء بالكتابة والتدوين مثل يزيد بن هارون السلمي وشعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة رحمهم

الله، ثم اشتهرت بعد ذلك كتب كثيرة في التفسير مثل كتب عبد الرزاق بن همام الصنعاني وتفسير الإمام ابن جرير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم وغيرهم ثم بعد ذلك توسعت كتب التفسير وكان لها اتجاهات وأغراض أخرى إما لها توجه في الأحكام الفقهية أو في أمور البلاغة والنحو أو حتى بعضهم أخذها مجالاً لدرس عقيدته الفاسدة السيئة مثل كتاب الكشاف للزمخشري وسيأتي الكلام عنها بإذن الله عندما نتحدث عن كتب التفسير بالرأي.

❖ تأثر أهل التفسير بالعلوم الأخرى

تأثر أهل التفسير بالعلوم الأخرى مثل من كان عالماً باللغة تجده يتوسع بذكر أوجه الإعراب والنكات البلاغية واللطائف البيانية، وإن كان له عناية بالفقه توسع في الأحكام الفقهية ومن كان عنده عناية بالفلسفة وعلم الكلام تأثروا بهذا، وأيضاً من كانت عقيدته فاسدة دخل في مجال التفسير وبدأ يدس عقيدته الفاسدة في ثنايا التفسير.

❖ التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي هو نوع من أنواع التفسير والتفسير الموضوعي،

- إما أن يؤتى بكلمة من القرآن وتجمع الآيات التي جاءت بهذه الكلمة مثل "كلمة العدل" في القرآن الكريم ويستنبط تعريفه وأسبابه وما إلى غير ذلك ومثل "كلمة التقوى" جمع الكلام عن التقوى من كلام الله عز وجل هذا نوع،
- والنوع الآخر أن يأخذ التفسير الموضوعي لسورة معينة مثلاً سورة الإسراء دراسة تفصيلية موضوعية، يعني يفسرها موضوعياً يقسم السورة إلى كذا وكذا مثل: أن يقسم سورة الكهف يقسم القصص التي جاءت فيها يتكلم عنها هذا نواحي وأنواع من أنواع التفسير الموضوعي وقد اشتهر وكثر في هذا الزمن وفيه مؤلفات كثيرة مثل كتاب دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور زاهر بن عواض الأملعي وأيضاً مباحث في التفسير الموضوعي لدكتور مصطفى مسلم وغير ذلك مما كتب في هذا الموضوع،

الحلقة (٣)

عنوان الحلقة / مناهج المفسرين

عناصر الحلقة:

١. تعريف التفسير بالمأثور
٢. الاختلاف في التفسير بالمأثور
٣. الإسرائيليات والموقف منها
٤. حكم التفسير بالمأثور
٥. تعريف التفسير بالرأي
٦. أنواع التفسير بالرأي
٧. حكم التفسير بالرأي
٨. تخرج السلف عن الكلام في التفسير

❖ تعريف التفسير بالمأثور

يعرف العلماء التفسير بالمأثور بأنه: الذي يعتمد على صحيح المنقول من كتاب الله عز وجل وهذا لا يقال فيه صحيح أو

ضعيف فهو منقول إلينا بالتواتر ولكن الصحيح المنقول عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما روى عن الصحابة أو عن التابعين هذا هو التفسير بالمأثور لاشك أن أفضل الطرق وأحسن ما يفسر به كلام الله عز وجل هو كلامه تبارك وتعالى ثم بعد ذلك سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ما روي عن الصحابة ثم ما روي على التابعين ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أحسن طرق تفسير القرآن أن يفسر القرآن بالقرآن فإذا أعبتنا الآية من كتاب الله عز وجل ذهبنا إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن لم نجد في السنة شيئاً ذهبنا إلى الصحابة رضي الله عنهم فإن لم نجد ذهبنا إلى أقوال التابعين رحمهم الله تعالى"

❖ الاختلاف في التفسير بالمأثور

هل هناك خلاف بين الصحابة أو التابعين في التفسير بالمأثور؟

الجواب: نعم يوجد اختلاف بين الصحابة في بعض المفردات كما ذكرت مثلاً في الحلقة السابقة في قول الله تعالى { **أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** } منهم من فسر اللمس هنا هو مس المرأة فعليه ينتقض الوضوء ومنهم من فسر على إنه الجماع وعليه فإن مس المرأة لا ينتقض الوضوء ففي هذا خلاف عن ابن عباس وعن ابن مسعود رضي الله عنهم، لكن كما ذكر العلماء أن الاختلاف بين الصحابة في التفسير قليل جداً، وقد كثر بين التابعين بعدهم، ولكنه أيضاً يعتبر قليل وبين الصحابة أقل من ذلك، وهذا الخلاف لا يعدوا أن يكون أحد أمرين وهو يعتبر اختلاف التنوع وليس اختلاف التضاد إلا قليلاً، ولكن اختلاف التنوع هذا لا يخلوا من **أحد أمرين:**

- إما أن يكون من "تفسير العام ببعض أفراده على طريق التمثيل"
- أو أنه يكون "باختلاف التعبير مع اتحاد المعنى" ويوضح هذا الكلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فيقول "إن غالب ما يصح عن الصحابة - رضي الله عنهم - من الخلاف يرجع إلى اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد" كما قلت التضاد قد يأتي ولكنه قليل والتنوع أيضاً قليل وهو نوعان
○ **الأول** أن يعبر واحد منهما عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه والمعنى واحد، كتفسيرهم { **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** } منهم من قال هو القرآن ومنهم من قال هو الإسلام وروي عنهم غير ذلك وكلها معناها واحد فهل هناك صراط مستقيم بدون إسلام أو قرآن فكلها واحد كل منهم عبر عن المعنى ببعض مفرداته.

○ **الثاني** أن يذكر كلاً منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل مثل قوله تعالى { **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** } الله جل وعلا ذكر ثلاثة أصناف ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات لو نظرنا في تفاسير الصحابة أو التابعين لهذه الكلمات الثلاث نجد منهم من حملها على مسائل الصلاة فقال السابق هو الذي يصلي في أول الوقت المقتصد هو الذي يصلي في أثناء الوقت الظالم لنفسه هو الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار، هذا مثلاً حملوها على الصلاة وضرِبوا لنا الأمثلة، منهم من حملها على مسائل الزكاة والصدقات وضرِبوا لها الأمثلة فقالوا السابق هو المحسن بالصدقة مع الزكاة يعني يدفع الزكاة ويعطي معها صدقة، المقتصد هو الذي يؤدي الزكاة فقط، أما الظالم لنفسه فهو الذي يمنع الزكاة، فنلاحظ في هذه الآية بمفرداتها الثلاث كل واحد عبر عن المعنى بمثال أولئك مثلوا بالصلاة وأولئك مثلوا بالزكاة ويعتبر هذا من اختلاف التنوع وليس اختلاف التضاد،

❖ الإسرائيليات والموقف منها

المقصود بالإسرائيليات هو ما روي عن أهل الكتاب، والإسرائيليات كثرت في زمن التابعين كما أنها وجد شيء منها عند

الصحابة ما بن عباس وابن عمر ولكنه قليل جداً ولكنه كثير فيمن بعدهم، الرواية من أهل الكتاب ممن أسلموا كعبد الله بن سلام ووهب بن منبه وكعب الأحبار هؤلاء نقل عنهم كثيراً من الإسرائيليات ودخلت في كتب التفسير والموقف الصحيح منها كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

أولاً: أن هذا المروي في الغالب لا فائدة منه، مثل تحديد نوع الكلب الذي كان مع أهل الكهف ما نوعه و ما لونه؟ كم طوله وكم عرضه؟ فهذه أشياء لا نستفيد منها، ومثل الشجرة التي كلم الله سبحانه وتعالى عندها موسى ما نوعها وما حجمها فنحن لا نستفيد منها، وغالب المروي عن أهل الكتاب لا فائدة لنا فيه وليس لنا فيه حاجة لكن على كل حال الموقف معه ثلاثة الأول إن كان عندهم ما يخالف ما عندنا فهذا مردود ومرفوض وللأسف أنه يروى عنهم شيئاً من ذلك سيئاً وقبيحاً خاصة في مقام الرسل عليهم السلام، مثل مارووا عن داود عليه السلام كلام في تفسير تسع وتسعين أنه كان متزوج تسع وتسعين وأراد أن يكمل بإمرأة موجودة عند أحد جنوده وهويها ورغب فيها وهذا بلا شك ينزه عنه داود عليه السلام.

الثاني: أن يوافق ما عندهم ما عندنا فنحن نقبله لا لأنه جاء بحق أو بشيء جديد، ولكن لأنه وافق ما عندنا فنحن عندنا الصواب وعندنا الحق ولكن هو وافقنا فنحن نقبله لأنه وافق ما عندنا، الثالث إذا كان لا يوافق ولا يرد فهذا فنحن نسكت عنه وكما قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله.

❖ حكم التفسير بالمأثور

التفسير بالمأثور يجب اتباعه ويجب الأخذ به فهو عصمة عن الزيغ والزلل وعن الانحراف في كلام الله تعالى وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **"التفسير على أربعة أوجه"** :

(١) وجه تعرفه العرب من كلامها وهو الذي يرجع إليهم في بيان اللغة وإيضاح المعنى
(٢) وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وهذا المقصود التفسير الواضح، الكلام الواضح في كلام الله تبارك وتعالى كقوله تعالى { فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } فهذه الآية لا تحتاج إلى شرح وإيضاح فالكل يجب أن يعرف ويعتقد أن لا معبود بحق إلا الله والعلم بها أمر مطلوب قبل أن يعرف الإنسان التفسير ويدخل فيه يجب أن يعرف أن لا إله إلا الله التي هي عصمته ونجاته ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يتوفاه على هذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد.

(٣) قال وتفسير يعلمه العلماء، أي لا يعلمه إلا العلماء وهؤلاء هم الذين لا بد أن يجتهدوا وأن يبينوا وأن يوضحوا للناس ما أشكل عليهم وأن يعتمدوا على أدوات المفسر التي ذكرها العلماء،

(٤) تفسير لا يعلمه إلا الله والمقصود تفسير الأمور المغيبة وتدخل في الإيمان بالغيب التي هي من أعظم صفات المؤمنين،

❖ تعريف التفسير بالرأي وبيان أنواعه

التفسير بالرأي هو ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص وهذا الكلام مجمل ولهذا قال العلماء: **"التفسير بالرأي على نوعين"** :

- **الأول** أن يعرض صاحبه عن كلام الله وعن المروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن المروي عن الصحابة رضي الله عنهم وكذلك التابعين رحمهم الله ويستقل بآراء خاطئة ومذاهب سيئة وهذا الحقيقة غالب ما يروى عن هؤلاء هو أنهم انحرفوا بالتفسير إلى معتقداتهم السيئة وإلى مذاهبهم المنحرفة الباطلة، ودخلت عقائدهم إلى كتب التفسير انطلاقاً من هذا الباب وهو باب التفسير بالرأي، وهذا الرأي مذموم لا يقبل وصاحبه على خطر عظيم إذا لم يتب إلى الله سبحانه وتعالى.
- **الثاني** وهو المحمود وهو أن يعتمد صاحبه على كتاب الله عز وجل وعلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى ما روي عن

الصحابة رضي الله عنهم وعن التابعين والأخذ بلغة العرب والسير على المنهج الصحيح فهذا لا بأس به وهو مقبول إن شاء الله تعالى ولذلك اجتهد الصحابة والتابعون في ذلك.

* حكم التفسير بالرأي

لا شك أن حكمه واضح خصوصاً بعد أن بينا أن التفسير بالرأي على نوعين فإن التفسير بمجرد رأي فقط واجتهاد عار عن الأدلة وعن الأخذ عن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن التابعين والسير على مناهجهم فهو لا شك رأي مذموم وتفسير غير صحيح وهو حرام لا يجوز تعاطيه، والله سبحانه وتعالى يقول "ولا تقف ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم (من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار) _ وفي لفظ _ (من قال برأيه في القرآن فأصاب فقد أخطأ) حتى لو أصاب فهو مخطئ لا بد أن يعتمد على الأدلة وعلى النصوص حتى يكون كلامه صحيحاً،

❖ تخرج السلف عن الكلام في التفسير

تخرج كثير من السلف في تفسير ما ليس لهم علم به فكان "سعيد بن المسيب إذا سئل عن تفسير آية قال إنا لا نقول في القرآن شيئاً" وأيضاً أبو بكر - رضي الله عنه - لما سئل عن الأب في قوله تعالى { وَفَاكِهَةٌ وَأَبْنَا } قال: "أي سماء تظلني وأي أرض تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"، لكن هذا الذي قاله أبو بكر هنا روى عنه أنه فسر آيات أخرى، وكذلك سعيد بن المسيب الذي روى عنه أنه كان يتخرج روى عنه أنه فسر آيات أخرى، إذا يحمل عليه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما سيأتي في حلقة قادمة بإذن الله أنه ما توقفوا عنه ليس لهم به علم وما قالوه، قالوه بعلم وأدوا الأمانة التي حملوها بذلك.

السلف تخرجوا من القول في التفسير ولم يخوضوا في ما لا علم لهم به ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في أواخر مقدمته وهي مقدمة نافعة في أصول التفسير وهي موجودة في المجلد الثالث عشر من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وهي مطبوعة وقد طبعت طبعات مستقلة ولها شروح كشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى وغيره من الشروح التي أقيمت على هذه المقدمة النافعة التي لا يستغني عنها طالب العلم **فيقول شيخ الإسلام** "إن هذه الآثار وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم من الكلام في التفسير بما لا علم لهم به" الشيء الذي لا يعلمونه توقفوا ولم يقولوا شيئاً فلا ينبغي للإنسان أن يقول شيئاً في القرآن والله سبحانه وتعالى يقول { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } وقال صلى الله عليه وسلم (من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار) فنسأل الله العافية فهو أمر خطير وعظيم لا يجوز للإنسان أن يتجرأ عليه، يقول: "أما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً" فلا حرج عليه وقد روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير وما أجمل ما قال شيخ الإسلام حين يقول "لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه"، وهذا واجب علينا نحن أيضاً العلماء والدعاة وطلبة العلم يجب أن يتقوا الله جل وعلا فلا يجوز أن يقولوا في القرآن أو غيره إلا بما يعلمون والذي لا يعلمونه يقولون الله أعلم ولقد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى "من أخطأ الله أعلم أصيبت مقاتله" وروي عن غيره أن الله أعلم نصف العلم، الواجب أن الإنسان يطلب العلم ويطلع ويراجع المسألة ويناقشها، لكن أن يتكلم في كل شيء هذا غير صحيح، وبخاصة في جنب كلام الله تبارك وتعالى.

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى "وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً بل مبتدعاً لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم"، فالتفسير علم عظيم وشرف وبركة على أصحابه وعلى أهله والله سبحانه وتعالى يقول { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا

آيَاتِهِ {.

وأذكر في هذا المقام كلاماً نفيساً للإمام فخر الدين الرازي ويعتبر تفسيره بالرأي لكن المهم هذه الكلمة والحكمة ضالة المؤمن متى ما وجدها فهو أحق بها يقول رحمه الله: "لقد عانيت علوماً كثيرة وألفت في فنون متنوعة، ومعروف الإمام الرازي محمد بن عمر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ للهجرة كان إمام زمانه وكان إماماً في علوم كثيرة، فما وجدت بركة عادت علي مثل خدمة القرآن الكريم" فما في شك خدمة القرآن الكريم والعناية بتفسيره والعلم بمعانيه بركة وخير ونعمة في الدارين لكن كما قلت على المنهج الصحيح منهج السلف رحمهم الله تعالى، ومن انحرف أو زل لسانه لا شك أنه يتحمل أخطاءه وأخطاء من يأتون بعده ممن يتأثرون به فيجب الحذر وعدم التعجل بمثل هذا الأمر.

والحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى في كتاب "فضائل القرآن" نقل جملة كثيرة عن السلف في تخرجهم عن تفسير القرآن وأنهم كانوا يقولون إذا كان كلام بيننا نتحدث بما نشاء ولكن إذا جاء القرآن نقف، وكان بعضهم يقرأ ويحدث فإذا قيل له تكلم في القرآن توقف وسكت فكانوا يتخرجون ويعظمون كلام الله تبارك وتعالى بخلاف من سبقنا ومن في زماننا هذا ممن يتعجلون في تفسير القرآن الكريم ويحملونه على غير معانيه الصحيحة، وبخاصة الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فالتعجل فيه والتعسف في حمل الآيات على بعض الظواهر الموجودة أو بعض المصنوعات الحديثة من أجل أن نقول أن القرآن سبق كذا وكذا فهذا لا يجوز، لأن هذا الأمر قد يكون غير صحيح قد تأتي نظرية أو شيء فتفسد هذه النظرية، لكن الشيء الواقع والصحيح والذي لا نقاش فيه هذا مقبول والله الحمد ونحن لا ندلل على صحة القرآن وعلى واقعيته لا والله فالقرآن أعز وأشرف وأكرم فهو كلام الله تبارك وتعالى ولكن أن يأتي أحد ويهذي بما يعرف وبما لا يعرف، أذكر أحداً فسر قوله تعالى {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا} فسرهما بأنها الدراجات النارية فقال أنها تسرع في المشي وتقده الشر أيضاً، فهذا الكلام سيء وقبيح فالعاديات المقصود بها: "الخيل" التي تغزو التي تنطلق وتسرع هذا هو الصحيح ولكن تحمل عليها دراجات نارية أو كلاماً آخر فهذا مما ينبغي حقيقة أن يظهر عنه كلام الله تبارك وتعالى وأن نتمهل وأن نتثد وأن لا نتعجل وأن نسير على منهج سلفنا الصالح رحمه الله تعالى،

الحلقة (٤)

عنوان الحلقة / أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

عناصر الحلقة:

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور إجمالاً:

١. تفسير ابن عباس
٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري
٣. محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية
٤. تفسير القرآن العظيم لابن كثير

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي إجمالاً:

١. مفاتيح الغيب للرازي.
٢. البحر المحيط لأبي حيان،
٣. الكشاف للزمخشري،

❖ أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور إجمالاً

الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور كثيرة جداً منها التفسير المنسوب لابن عباس وستتكم عنه إن شاء الله وتفسير ابن عيينه وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير أبي الشيخ ابن حبان، وتفسير ابن عطية وتفسير أبي الليث السمرقندي، وتفسير أبي إسحاق الثعلبي الكشف والبيان، وتفسير القرآن، وتفسير ابن جرير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتفسير ابن أبي شعبة، وتفسير البغوي معالم التنزيل، وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، وفتح القدير للشوكاني رحم الله الجميع،

١/ تفسير ابن عباس

تفسير ابن عباس المنسوب إليه ويسمى تنوير المقباس من تفسير ابن عباس هذا جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشافعي صاحب القاموس المحيط، ومعروف عن ابن عباس أنه حبر الأمة وترجمان القرآن وهو الإمام وسبب إمامته بركة دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - حينما دعا له (اللَّهُمَّ فقه في الدين وعلمه التأويل) وأيضاً إمامه بلغة العرب وحفظه الكثير من أشعارها، أيضاً ما أوتي من دقة الفهم والاستنباط وأيضاً عنايته بهذا العلم، كان يحضر مجالس الصحابة ويسألهم عن ما أشكل عليه.

أنهم ابن عباس من قبل جولد زيهر في كتابه المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن بأن ابن عباس توسع في الأخذ عن أهل الكتاب وهذا الكلام غير صحيح وجرى على هذا الإتهام أحمد أمين في فجر الإسلام وقد رُد عليهما أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكثر في الأخذ عن أهل الكتاب وما أخذه عنهم لا يمس العقيدة ولا يمس أصول الدين ولكن قد تكون من الأمور التي قد تكون حقاً وقد تكون غير ذلك لكنه أيضاً قليل.

العلماء رحمهم الله اعتنوا بتفسير ابن عباس ونظروا في الطرق الموصلة لابن عباس وجمعوا هذه الطرق وصنفوها ورتبوها **ووجدوها ما يلي من الطرق:**

▪ **أولاً:** طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهذه هي أجود الطرق وأفضلها حتى قال الإمام أحمد "إن في مصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً" وهذه النسخة اعتمد عليها البخاري رحمه الله في صحيحه.

▪ **ثانياً:** طريق قيس ابن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهذه أيضاً طريق صحيحة على شرط الشيخين.

▪ **ثالثاً:** طريق ابن إسحاق صاحب السير عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وهذه طريق جيدة إسنادها حسن.

▪ **رابعاً:** طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك وتارة عن أبي صالح عن ابن عباس ولكن هذا السدي مختلف فيه وهو تابعي شيعي وكثير من الأئمة لا يرتضون روايته وهو ضعيف.

▪ **خامساً:** هي طريق عبد الملك بن جريج عن ابن عباس وهذه الطريقة تحتاج إلى دقة في البحث لأنها تحوي الغث والسمين والصحيح والسقيم.

▪ **سادساً:** طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس وهذه الطريقة غير صحيحة لأن الضحاك مختلف في توثيقه ثم أيضاً الطريق لابن عباس منقطة لأن الضحاك لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما.

■ **سابعاً: طريق عطية العوفي عن ابن عباس** وهي أيضاً غير مقبولة لأن عطية ضعيف.

على كل حال معظم ما في هذا الكتاب تنوير المقباس عن ابن عباس يدور إن لم يكن جميعه على محمد بن مروان السدي عن محمد بن السائب الكلبي عن ابي صالح وقد عرفنا فيما سبق أن هذه الرواية ضعيفة

٢/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن لإمام المفسرين وشيخهم أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى وهو إمام زمانه ألف هذا الكتاب العظيم وهو كتاب التفسير وسماه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وقد استفاد العلماء منه حتى قال ابن خزيمة "لو رحل أحد إلى مكان كذا من أجل تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً" والمفسرون عالة على ابن جرير كما قال العلماء، هذا الكتاب فقد زمنماً ما ثم وجدت له نسخة في حيازة أمير حائل سابقاً حمود الرشيد من أمراء نجد وبعد ذلك ولله الحمد طبع الكتاب فتداول وأصبح في أيدي الناس فله الحمد، وهذا التفسير له قيمته وله جلالته يقول عنه السيوطي رحمه الله تعالى "وكتابه يعني "تفسير ابن جرير" أجل التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض" وقال الإمام النووي "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري"

فما منهج ابن جرير في تفسيره؟ منهجه أنه يقول في بداية كل آية "القول في تأويل قوله تعالى" ويذكر الآية ثم يبدأ يفسر الآية بما يرويه بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة إلى التابعين، فيوجه الأقوال ويرجح بينها كما أنه رحمه الله يتعرض للإعراب واستنباط الأحكام، وأيضاً يتوقف عند رجال الإسناد يتكلم عليهم تعديلاً وتوثيقاً أو رداً وعدم قبول، أيضاً رحمه الله كان يعتني بذكر القراءات وتوجيهها وهو الإمام المشهور في القراءات رحمه الله، أيضاً أخذ جملة من أخبار بني إسرائيل "الإسرائيليات" وجعلها في كتابه، وهو يعتبر مرجع لا غنى لطلبة العلم عنه بل والعلماء أيضاً، فالمفسرون عالة على ابن جرير، هذا الكتاب طبع عدة طبعات وله طبعات غير محققة ومصورة كثيراً وطبعة حققها الشيخ أحمد شاکر ولكن لم يكملها، وفي هذه الأيام قام معالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مع جمع من الباحثين بتحقيق الكتاب ونشره بين الناس فجزاهم الله خيراً،

٣/ محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية

أيضاً من كتب التفسير بالمأثور المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية وهو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية من قضاة الأندلس المشهورين والعلماء، نشأ في بيت علم وفضل كان فقيهاً جليلاً عارفاً بعلوم الحديث والتفسير واللغة والأدب كان من الأذكياء، ومن أعيان الفقه المالكي، ألف هذا التفسير محرر الوجيز وقد لخص فيه المنقول عن الصحابة والتابعين، ولم يذكر الحقيقة الأسانيد وكانت له أيضاً شخصية واضحة في كتابه فكان يكثر من الشواهد الشعرية والإعراب وتوجيه القراءات، وله أيضاً اختيار وترجيح في هذا الباب، شيخ الإسلام ابن تيمية أثنى على هذا الكتاب وقال "تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبجناً وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير" وقال أيضاً "تفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة" إلى آخر كلامه رحمه الله، فتفسير ابن عطية من الكتب المعتمدة وله طبعتان في السوق الآن طبعة مغربية حققها المجمع العلمي بفاس وهي متداولة ومشهورة والطبعة الأخرى طبعتها دولة قطر في إدارة الأوقاف وهاتان الطبعتان موجودتان في الأسواق،

٤/ تفسير القرآن العظيم لابن كثير

من كتب التفسير بالمأثور أيضاً "تفسير القرآن العظيم" للحافظ أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير رحمه الله وهو الإمام

الجليل من أئمة العلم في التفسير والحديث والتاريخ له كتاب البداية والنهاية وهو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، اشتهر بعلم التفسير وألف هذا الكتاب الذي يعتبر عند العلماء في المرتبة الثانية في التفسير بالمأثور بعد ابن جرير الطبري رحمه الله، وهو خير من فسر كلام الله تعالى والتزم منهج شيخ الإسلام وهو تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بالمروي عن الصحابة وما روي عن التابعين وكان رحمه الله يرجح الأقوال ويضعف الروايات ويعتني كثيراً بذكر الأحاديث بأسانيدھا، فينقل عن الإمام أحمد في البداية وعن الشيخين البخاري ومسلم وعن غيرهم من كتب التفسير والحديث المفقودة والموجودة، وهذا التفسير يجمع بين التفسير بالمأثور وبين بروز شخصيته في ذكر الأحكام الفقهية والترجيحات والاختيارات يناقش المذاهب والأدلة، وقد طبع عدة طبعات طبع مع معالم التنزيل للبغوي طبعة واحدة، وطبع أيضاً مستقلاً طبعة الشعب طبعة مستقلة وطبع أيضاً طبعات وحقت في هذه الأزمنة وهذه الأوقات وهي والله الحمد فيها خير كثير وإن كان في بعضها نقص وخلل،

❖ أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي إجمالاً.

منها : تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم وتفسير أبو علي الجبائي وتفسير عبد الجبار وتفسير الكشاف للزمخشري وتفسير مفاتيح الغيب للرازي وتفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن والبحر المحيط لأبي حيان وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي وغيرهم من كتب التفسير وسوف نتحدث عن بعضها،

١/ الكشاف للزمخشري

من كتب التفسير بالرأي الكشاف للزمخشري وهو جار الله محمود بن عمر الزمخشري وهو إمام في علم البلاغة وعلم النحو وعلم الأدب وآراؤه في علم البلاغة والنحو والأدب يتناقلها العلماء ويعتمدون عليها، ولكن الزمخشري كما هو معروف عنه معتزلي الاعتقاد بل هو شديد في التشبث ببدعته و باعتزالياته، وقد ألف كتابه الكشاف في التفسير وضمنه الكثير وسماه "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" وقد دس فيه اعتزالياته دساً دقيقاً حتى إن بعض الناس قد يقرأ فلا ينتبه لاعتزالياته، مثلاً عندما يأتي لذكر نعيم الجنة يقول "وليس بعد هذا النعيم نعيم" وهذا غير صحيح بل هناك ما هو أعظم مما يذكر في هذه الآية وهو النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، لأن معتقد المعتزلة نفي رؤية الله تبارك وتعالى في الجنة، ولا شك أن معتقد أهل السنة والجماعة إثبات الرؤية بل هي أعظم النعيم، أسأل الله تبارك وتعالى أن يكرمني وإياكم بذلك، وهذه الاعتزاليات دقيقة جداً وقد تعقبه العلماء رحمهم الله تعالى، مثل ابن المنير طبعت حاشيته الانتصاف في حاشيته ونبه على كثير من اعتزالياته وقال إنني استخرجتها بالمناقيش، أيضاً أبو حيان في البحر المحيط تعقبه في اعتزالياته الكثيرة ونبهوا على أخطائه فيها.

٢/ مفاتيح الغيب للرازي

أيضاً من كتب التفسير بالرأي مفاتيح الغيب والمسمى التفسير الكبير لفخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦هـ وهو إمام زمانه ألف في فنون كثيرة ومؤلفات وعلوم معروفة ومشهورة ومن ذلك كتابه التفسير الكبير وهو بحق تفسير كبير أربعة وثلاثين جزءاً كتاب ضخمة، وقد أثير تساؤل **هل** ألفه لوحده أم اشترك معه غيره؟ فكان للناس في ذلك مذاهب، بعضهم قال ألف حتى سورة الأنبياء ثم جاء بعده شهاب الدين الخوي فشرع في تكملة هذا التفسير ولم يتمه، ثم جاء بعده نجم الدين القمولي فأكمل ما بقي منه ولا ندري هل هذا صحيح أو لا، والحقيقة من يرى الكتاب فلا يجد فيه تفاوتاً كبيراً،

ومعروف الإنسان قد يصيبه ضعف في بعض الأحيان ثم ينشط في التفسير وقد يضعف وهذه قدرات ومواهب من الله تبارك وتعالى والحقيقة أنه في بعض السور كان ينص يقول انتهيت من تفسيرها ويذكر اسمه في كذا وكذا هذا معناه أنه له، لكن المختلف فيه بعض السور والأجزاء لا يعرف أي من تكلمة تلاميذه أم منه ويرجح بعضهم أن هذا التفسير كله له وأنه لم يكمله أحد، والسبب أن المنهج متقارب، ومن جهة أخرى أن الإنسان قد ينشط للتأليف في زمن وقد يضعف في زمن آخر، وهذه سنة الله في الحياة، فهذه الكتب لا تؤلف في يوم وليلة بل تؤلف في أزمنة وعصور وفي أوقات متنوعة والإنسان تعثره الظروف وتعثره أحوال كثيرة، **والصحيح** أن هذا الكتاب فيه التفسير وفيه غير التفسير، أما أن يقال ليس فيه شيء من التفسير فهذا إجحاف بل فيه قراءات وفيه أسباب نزول وفيه استنباطات وفيه لطائف وفيه نقل أقوال العلماء في التفسير، نعم هو صحيح توسع عفا الله عنه في نقل أقوال أهل الفلسفة والصوفية والتوسع في علم الفلك والهيئة وعلم الرياضيات وغير ذلك ما في شك، لكن هذا لا يغمطه حقه فهو كتاب يعتمد عليه ويرجع إليه المتخصصون في علم التفسير.

٣/ البحر المحيط لإبي حيان

ومن كتب التفسير بالرأي كتاب تفسير البحر المحيط لأبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي توفي عام ٧٤٥ وقيل ٧٤٩ للهجرة إمام زمانه في التفسير وفي اللغة وفي النحو والإعراب والصرف وأيضاً في الأصول وغير ذلك، هذا الرجل ألف كتابه تفسير البحر المحيط وهو على اسمه بحر محيط وقد جعل له مقدمة نافعة ضمنها كثير من المباحث كتعريف التفسير وبين منهجه في هذا الكتاب وتحدث أيضاً عن موقفه من أنه سينقل كثيراً عن ابن عطية في المحرر الوجيز وعن الزمخشري من كتابه الكشاف، هذا الكتاب طبع في ثمان مجلدات ثم طبع مرة أخرى طبعة غير محققة وإنما هي صف جديد فنسأل الله أن يهيئ لهذا الكتاب من يطبعه لأن هذا الكتاب ينقل عن كتب مفقودة غير موجودة ويجمع الكثير حقيقة خاصة في باب القراءات وفي توجيه القراءات ما لا يوجد له نظير، فنسأل الله جل وعلا أن يهيئ له من يقوم بتحقيقه وإخراجه على الوجه المطلوب وطباعته لينتفع به الناس.

أبو حيان يعتني بذكر القراءات وتوجيهها فهذا منهجه، منهجه أنه يذكر المناسبات أولاً بين الآيات والسور ويذكر أيضاً القراءات وتوجيهها وينقل أقوال المفسرين في معنى الآيات، يفسر المفردات على حدة، أيضاً يعتني بمسائل النحو والإعراب والبلاغة، وقد سجلت في هذا رسائل ماجستير ورسائل دكتوراة، أيضاً يعتني بالاستنباط والدقة، يرد على أصحاب المذاهب الضالة، ذكرت آنفاً أن أبا حيان ينقل كثيراً عن **الزمخشري** في كتابه الكشاف وعن **ابن عطية** في كتابه المحرر الوجيز لا سيما ما يتعلق بمسائل النحو ووجوه الإعراب، وكان يتعقبهما كثيراً بالرد ويحمل عليهما حملاً فيه قسوة بعض الأحيان خاصة في اتجاه الزمخشري، كانت مناقشاته مع الزمخشري مناقشات حادة وشديدة جداً والحقيقة ما في شك أن الزمخشري وقعت منه زلات وأذكر في هذا المقام مثلاً: أن الزمخشري كما هو معروف رد قراءة ابن عامر في قوله تعالى { **وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ** } في مسألة معروفة في الفصل بين المضاف والمضاف إليه يعني إلى آخره مسألة نحوية معروفة، المهم أن الزمخشري رد قراءة ابن عامر وابن عامر معروف أحد القراء السبعة المعروفين فلما رد قراءته غضب أبو حيان وقال عبارته المشهورة في تفسير الآية وأعجب لعجمي (فالزمخشري أصله أعجمي وهو من أئمة اللغة والنحو) ضعيف في النحو يتجرأ على قراءة ابن عامر فيردها أو كما قال ثم قال: كيف يرد الإمام المقرئ والذي أخذ عن جملة من الصحابة فتوسع فيها فانظروا كيف القسوة قال رجل عجمي وضعيف في النحو وكيف يتجرأ ويرد فأبو حيان هنا ما قال إلا الحق في

رده على الزمخشري وتعقبه عليه، على كل حال مناقشاته مع ابن عطية كذلك كان يناقشه في المسائل التي له فيها وجهة نظر لكن كانت مناقشاته أخف وأسهل وعباراته معه وإن كان في بعضها قسوة ولكن ليست بتلك القسوة التي كانت مع الزمخشري، وأيضاً الزمخشري معتزلي وأبي حيان تعقبه في اعتزالياته ورد عليه فيها.

أبو حيان اعتمد على جملة من الكتب ومصادر متنوعة وقد نقل كثيراً عن شيخه أبي جعفر الغرناطي الثقفي، أيضاً اعتمد كثيراً على كتاب شيخه ابن النقيب في كتابه التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير، لشيخه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان المقدسي المعروف بابن النقيب وقد ذكر أن هذا كتاب ضخم وكبير وقد اعتمد عليه أبي حيان كثيراً واستفاد منه

الحلقة (٥)

عنوان هذه الحلقة: التعريف ببعض كبار المفسرين رحمهم الله تعالى

❖ الأول: الحبر البحر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم والعباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمة أم الفضل، ولد وبنو هاشم في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل خمسة، نشأ رضي الله عنه محبا للعلم مكبا على تحصيله، مجالس النبي صلى الله عليه وسلم القدوة المعلم، ثم أخذ العلم من أصحابه رضي الله عنهم، يحضر مجالسهم ويسألهم عما أشكل عليه، وقد دعاه له النبي - صلى الله عليه وسلم - (اللهم فقه في

الدين وعلمه التأويل)

منزلته وعلمه:

لابن عباس رضي الله عنهما منزلة عظيمة في دين الإسلام، وبخاصة في تفسير القرآن فهو ترجمان القرآن وحبر الأمة ورئيس المفسرين.

"عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس"، وأخرج ابن نعيم عن مجاهد قال "كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه"، وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن يحيى بن سعيد الأنصاري "قال: لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس خلفاً".

احتل رضي الله عنه منزلة كبيرة بين الصحابة رضي الله عنهم، وأثنوا على علمه على وجه العموم وعلى علمه بتفسير القرآن على وجه الخصوص.

وفي صحيح البخاري قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقالوا لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله، فقال عمر إنه من حيث علمتم، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم، فقال لهم ما تقولون في قول الله تعالى {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي أ كذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال ما تقول؟ فقلت: هذا أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له، قال إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجله، فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول،"

تفسير ابن عباس رضي الله عنه روي لنا عن طريق تلاميذه ومن أشهرهم مجاهد بن جبر، الذي يقول عرضت المصحف على ابن عباس ثلاثين عرضة وفي بعض الروايات ثلاث عرضات، أقف معه عند كل آية أسأله عنها، وله طرق كثيرة ومن أفضلها طريق علي بن أبي طلحة عنه، ومن الطرق الحيدة قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب،

وهناك طرق ضعيفة وبعضها منقطعة أو موضوعة، وأوهاها وأشدّها ضعفاً طريق الكلبى عن أبى صالح فإذا انظم إليها رواية **محمد بن مروان السدى الصغير** فهي سلسلة الكذب،

ومن الطرق المنقطعة طريق الضحاك بن مزاح عن ابن عباس، لأن الضحاك لم يلقَ ابن عباس وإذا انظم إلى ذلك رواية **بشر بن عمار** فضعيفة لضعف بشر، أيضا طريق **العوفى عن طريق ابن عباس** طريقة ضعيفة لأن العوفى ضعيف، ومن أولى الكتب التي اعتنت بتفسيره **رضى الله عنه** تفسير **بن أبى حاتم**، وتفسير **بن جرير الطبرى**.

❖ الثانى مجاهد بن جبر المكى:

أبو الحجاج المخزومى المقرئ مولى السائب بن أبى السائب. روى عن **علي** **رضى الله عنه** وعن **سعد بن أبى وقاص** و **العبادلة الأربعة** **رضى الله عنهم** و **رافع بن خديج** و **عائشة** و **أم سلمة** و **أبى هريرة** و **سراقة بن مالك** وغيرهم **رضى الله عنهم**، وروى عنه **عطاء** و **عكرمة** و **عمرو بن دينار** و **قتادة** وغيرهم.

كان مولده **رحمه الله** سنة (٢١) للهجرة في خلافة **عمر** ومات سنة (١٠٢) أو (١٠٣)

له **رحمه الله** منزلة سامية وقدر كبير في علوم الإسلام وخاصة في علم التفسير، حتى قيل أعلم التابعين بالتفسير، وقد روى عنه أنه قال "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة وفي بعض الروايات ثلاث عرضات، أقف معه عند كل آية وأسأله عنها فيما نزلت وكيف كانت؟" ولذلك كثر الثناء عليه قال الإمام **الثوري** **رحمه الله** إذا جاءك التفسير عن **مجاهد** فحسبك به، يعني **يكفيك ويغنيك**، ولذلك قال **ابن تيمية** يعتمد على تفسيره **الشافعي** و **البخاري** وغيرهما من أهل العلم.

والثناء عليه كثير قال **قتادة** أعلم من بقي بالتفسير **مجاهد**، وقال **ابن سعد** كان ثقة فقيه عالم كثير الحديث، وقال الإمام **الذهبي** في آخر ترجمة **مجاهد بن جبر** أجمعت الأمة على إمامة **مجاهد** و **الاحتجاج** به، وقد قرأ عليه أحد القراء السبعة وهو **عبدالله بن كثير**.

❖ الثالث: ابن جرير الطبرى

هو شيخ المفسرين وإمامهم **أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى** **رحمه الله**، ولد سنة (٢٢٤) للهجرة وتوفي سنة (٣١٠) للهجرة كان عالما فذا كثير الرواية، رحل في طلب العلم وتنقل بين البلدان والأمصا، يكتب وينقل ويحضر مجالس العلماء، حتى نقل علوم كثيرة في فنون متنوعة ومن أشهرها تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) وله كتاب في التاريخ تاريخ الأمم والملوك، والآداب الحميدة، والأخلاق النفيسة، واختلاف الفقهاء وتهذيب الآثار وغير ذلك من الكتب.

تفسيره له منزلة رفيعة، بل قال بعض العلماء كل المفسرين عالة على ابن جرير، ولقد روى عن ابن خزيمة لو أن أحدا سافر إلى كذا وكذا من أجل كتاب **محمد بن جرير** لم يكن ذلك كثيرا.

ابن جرير له منهج متميز في كتابه فهو يعتمد الإسناد يورد الأقوال عن الصحابة والتابعين والأحاديث بلا شك يوردها مسندة، كما أنه يرجح بين الأقوال بعرض الأدلة ويعرض أوجه الاستشهاد ثم يرجح بين الأقوال ويوجهها، كما أنه أيضا يعتني بالقراءات ويذكر توجيهها، وله أيضا عنايه باللغة في بيان المفردات والإعراب كما أنه **رحمه الله** يحفظ جمعا كبيرا من شعر العرب وقد استشهد به كثيرا في تفسيره، إلى غير ذلك من المميزات التي جعلت تفسيره في المقدمة بين كتب التفسير، وقد قال الإمام **النووي** **رحمه الله** كتاب **ابن جرير** في التفسير لم يصنف أحد مثله.

❖ الرابع الحافظ ابن كثير:

هو الحافظ **ابن كثير** وهو **أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصرى** ثم **الدمشقي الشافعي**، ولد سنة (٧٠٥) للهجرة وتوفي

(٧٧٤) للهجرة، هو إمام علم حياته زاخرة بالعلم، كان فقيها متقنا ومحدثا بارعا ومؤرخا ماهرا، قال فيه الحافظ ابن حجر كان من محدثي الفقهاء، سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها بعد وفاته.

له مؤلفات كثيرة من أهمها وأشهرها تفسير القرآن العظيم، وله كتاب العمدة في التاريخ البداية والنهاية، وله أيضا جامع المسانيد والاجتهاد في طلب الجهاد وغير ذلك.

تفسيره يعتبر **في المرتبة الثانية** في كتب التفسير بالمأثور وهو مرجع أصيل لا يستغني عنه طالب العلم، قال بعضهم: هذا التفسير من أشهر كتب التفسير بالعناية بما رووي عن مفسر السلف وبيان معاني الكلمات وأحكامها.

■ من مزاياه:

تفسير القرآن بالقرآن اعتنى رحمه الله بهذا الأمر عناية بالغة، العناية بالأحاديث يذكر أسانيدها ويذكر من خرجها وقد يحكم على هذه الأحاديث، وأيضا آثار الصحابة وأقوال التابعين ويكثر من ذلك كما أنه يذكر في بعض الأحيان الإسرائيليات لكن يبين نكارتها، ويحذر من راويتها ويبين الأخطاء فيها ومع ماله من شخصية واضحة من حيث الترجيح والاختيار بين الأقوال.

❖ الخامس الفخر الرازي

الفخر الرازي الإمام وإذا قيل الإمام عند المتأخرين فهم يعنون الفخر الرازي وهو محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري الرازي فخر الدين، المعروف بابن الخطيب.

ولد سنة (٥٤٣) للهجرة وتوفي سنة (٦٠٦) للهجرة بهراة، درس في بداية حياته العلوم الدينية والعلوم العقلية وتعمق وبرع في علوم كثيرة في الفقه وأصوله وفي التفسير وعلوم القرآن وفي الحديث وعلومه وفي المنطق والفلسفة وعلم الكلام إلى غير ذلك.

ويعتبر الإمام في زمانه، كان له نتاج علمي في فنون مختلفة، منها مفاتيح الغيب المسمى بتفسير الكبير، وإحكام الأحكام، والمحصول في أصول الفقه، والبرهان في قراءة القرآن، ودرة التنزيل وغرة التأويل إلى غير ذلك، تفسيره في الحقيقة مليء بالقراءات والأقوال والفوائد والاستنباطات والإعراب والنكات البلاغية، ولكنه توسع في علوم كثيرة، كعلم الفلك والفلسفة والهيئة والتوسع في نقل ما عند الصوفية.

حتى قال بعضهم فيه كل شيء إلا التفسير، وهذا غير صحيح وفيه إجحاف هذا الكلام، بل فيه التفسير ومعه علوم أخرى، فيه التفسير وغير التفسير.

❖ السادس الامام الشوكاني:

هو الإمام الشوكاني محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني الإمام المجتهد، ولد سنة (١١٧٣) للهجرة في هجرة شوكان بصنعاء، اجتهد في طلب العلم وحفظ القرآن واعتنى بحفظ المتون واشتهر بحفظ المتون، والعلماء يقولون من حفظ المتون حاز الفنون، حفظ متون كثيرة في النحو، والصرف، والبلاغة، وأصول الفقه، وآداب البحث والمناظرة، وظل مكبا في طلب العلم والتدريس إلى أن توفي سنة (١٢٥٠) للهجرة.

هو رحمه الله على مذهب الزيدية، على مذهب الإمام زيد، وقد ألف وأفتى وألف الحديث، كان رحمه الله لا يرضى التقليد الأعمى وكان له أقوال وترجيح يعتمد فيه على الأدلة من الكتاب والسنة، كان له رحمه الله نتاج علمي وله مؤلفات كثيرة تدل على سعة علمه وعلى تأصيله وعلى دقته.

ومن أشهر مؤلفاته فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية، وله نيل الأوطار على منتقى الأخبار للمجد ابن تيمية وهو جد شيخ الإسلام ابن تيمية، وله كتاب إرشاد الفحول وهذا الكتاب عمدة في أصول الفقه، ينقل في تفسيره عن أبي جعفر النحاس وعن القرطبي ينقل كثيرا عنه، وينقل عن ابن عطية صاحب المحرر الوجيز.

الحلقة (٦)

تفسير آيات الأحكام

تفسير الآيتين (١٠١ و ١٠٢) من سورة البقرة

الآية ١٠١ هي قوله تعالى {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)}

هذا يسمى التفسير التحليلي، نحلل المفردات، نبين مراجع الضمير للحاجة، الإعراب على وجه الاختصار للحاجة أيضا، إذا كان هناك قراءات، إذا كان هناك أسباب نزول، فوائد نستنبطها، مسائل مرتبطة بالآية.

ولما جاءهم: الضمير في قوله: ولما جاءهم يعود إلى أحبار اليهود وعلمائهم، لأن الآيات كما هو واضح في الكلام عن أحبار اليهود، وقيل هو يعود إلى بني إسرائيل كلهم.

رسول من عند الله: هذا الرسول نبينا وحبينا - صلى الله عليه وسلم لذي أخذ الله جل وعلا الميثاق على الرسل لئن بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم أحياء ليؤمنن به، وأخذوا الميثاق على أقوامهم أيضاً، لئن بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهم أحياء ليؤمنن به، كما قال تبارك وتعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} هذا الميثاق أخذه الله على الأنبياء والرسل وهم أخذوه على أقوامهم إن بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم أحياء ليؤمنن به وهذا هو الواجب.

مصدق لما معهم: هذا من وصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه مصدق لما معهم، مصدق لما جاء به موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام، فدعوة الأنبياء واحدة الدعوة إلى التوحيد والحذر من الشرك، هناك قراءة شاذة قراءة ابن أبي عتبة (مصدقاً) هي على النصب يكون حالاً، أما على الرفع وهي قراءة الجمهور فيكون نعت للرسول وهو مرفوع إذن الصفة تكون مرفوعة.

❖ المراد بقوله تبارك وتعالى مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ قولان:

■ **أحدهما:** أنه كان معترفاً بنبوة موسى عليه السلام وبصححة التوراة، وهذا بلا شك نعم النبي صلى الله عليه وسلم يصدق ويؤمن، بل من أركان الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ذكر هذا من أركان الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله، لا بد من الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم مصدقاً لما معهم.

■ **المعنى الثاني** أن مصدقاً لما معهم من حيث إن التوراة بشرت بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا أتى محمد كان مجرد مجيئه مصدقاً للتوراة، فمجيء النبي صلى الله عليه وسلم على حسب ما أخبرت به التوراة نعم وقد قرأ عبد الله بن سلام وغيره من أحبار اليهود الذين أسلموا ولم يكتفوا أنه وصف عندهم النبي صلى الله عليه وسلم بأوصاف، أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق وهذا هو وصف النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بعثه الله جل وعلا على هذه الحال فهو مصدق لما معهم، لكنهم كفروا وعاندوا كما قال جلا وعلا {نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ} قول الله تعالى {نَبَذَ

قَرِيْقُ { هذا جواب (لما) التي في بداية الآية { **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ قَرِيْقُ** } هذا هو جواب لما. **النَّبذ:** هو الطرح والترك والاستغناء فهو مثل تركهم وإعراضهم ورفضهم ما جاءهم به بعد أن كانوا مقرين به حسدا منهم له، وبغياً عليه، وبلا شك، هم لماذا جاءوا إلى المدينة؟، كانت يثرب قبل أن تسمى المدينة، هم جاءوا لأن عندهم في التوراة أنه سيبعث رجل وسيدعو إلى التوحيد، وهو مصدق، إلى آخره، فجاءوا إلى المدينة وكانوا يفاخرون على العرب يقولون سيبعث هنا رسول وسنقاتل معه وسنهزمكم إلى غير ذلك، ولكن لما جاءهم نبذوا ما جاء معه من الدعوة من توحيد الله وهذا الدين وكفروا به، قوله تبارك وتعالى { **نَبَذَ قَرِيْقُ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ** } لازم الحقيقة ننتبه هذه كلمتين كلاهما منصوبتان { **أُوتُوا الْكِتَابَ** } مفعول به { **كِتَابَ اللَّهِ** } الثانية يعني كتاب الله، أيضا نصب بنبذ، فكلا الكلمتين منصوبتان، وفي المراد في الكتاب فالله جل وعلا يقول { **نَبَذَ قَرِيْقُ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ** } كتاب الله ما المقصود هنا بكلمة كتاب الله؟ فالمراد بذلك قولان:

• **القول الأول:** أنهم نبذوا التوراة وأعرضوا عنها واستغنوا عما فيها، لأن كفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم له نبذ لها، قال السدي: نبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت، يعني أنه جاءهم هذا الحق ومع ذلك نبذوا التوراة يعني أعرضوا عما فيها إذن المقصود هنا القول الأول هي التوراة.

• **القول الثاني:** أن المراد بالكتاب هنا هو "القرآن"، قال الشعبي: "هو بين أيديهم يقرؤونه ولكن نبذوا العمل به"، وقال سفيان بن عيينة: "أدرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يجرموا حرامه فذلك النبذ" ونحن نحذر المسلمين ونقول لهم احذروا أن تكون مثل اليهود الذين تركوا التوراة، أنتم لا تتركوا القرآن وتهجروه، وأعظم هجر القرآن هجر العمل به، أما تزيينه هذا لا يعني نعم القرآن له جلالته وله قدره وله احترام، ولكن أعظم هجر القرآن هجر العمل به فلا يحل حلاله ولا يحرم حرامه، **الراجح من هذين القولين:** يرجح كثير من المفسرين **القول الأول**

يقولون: القول الأول المراد بكتاب الله هو "التوراة" هو **الراجح لوجهين:**

■ **الأول:** أن النبذ لا يعقل إلا في من تمسكوا به أولاً، وأما إذا لم يلتفتوا إليه لا يقال إنهم نبذوه، الإنسان لا ينبذ الشيء إلا إذا أخذه يأخذه ثم ينبذه، والقرآن ما أخذه حتى ينبذوه، الإنسان عندما يقال فلان نبذ القلم أو نبذ العصا معناه أنه أمسكها ثم نبذها، إذن أخذوا الشيء ثم تركوه، هذا يصدق في التوراة، لكن القرآن هل آمنوا في القرآن ثم كفروا به، لا، هم أعرضوا عن القرآن ولم يقبلوه ولم يصدقوا بما فيها هذا هو الدليل الأول أو الوجه الأول.

■ **الوجه الثاني:** أن الله عز وجل قال { **نَبَذَ قَرِيْقُ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** } ولو كان المراد به القرآن لم يكن لتخصيص الفريق معنى، لأنهم جميعهم لا يصدقون بالقرآن، هذا الوجه ليس بتلك القوة لأن نعم فيهم من آمن، لكن هنا يقول الله جل وعلا قال: { **قَرِيْقُ** } مع أن المعظم والأكثر والغالب أنهم لم يؤمنوا بهذا القرآن ولم يصدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، بل عادوه وأذوه وأعرضوا عنه وحذروا الناس من أتباعه إلى غير ذلك من المعلوم في السيرة النبوية، **الأقرب والله أعلم** هو القول الأول أن المراد بكتاب الله هو "التوراة".

هنا تساؤل ذكره بعض المفسرين وهو كيف يصح نبذهم للتوراة وهم يتمسكون بها ويتشبثون ويفاخرون بأنفسهم وبهذه التوراة التي بين أيديهم، مع أن القرآن نسخها ونسخ جميع الكتب؟

المفسرون أجابوا عن هذا قالوا: إذا كانت هذه التوراة تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء فيها من ذكر أوصافه ونعوته وأنها جاءت على الحق، ثم إنهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم، هذا دليل على أنهم نبذوا التوراة، وليس معنى

النبذ أن يرى الشيء حسياً، كون أن التوراة تقول إنه سيبعث في آخر الزمان رجل ووصفه كذا وكذا وفي مكان كذا وعليكم أن تؤمنوا به، ثم بعد ذلك يبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به ويعادونه، معناه أنهم نبذوا التوراة ولم يعملوا بما جاء في التوراة، وهذه إجابة واضحة وجميلة.

ختم هذه الآية قول تبارك وتعالى { **وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** } الإنسان إذا جعل الشيء وراء ظهره من باب الإعراض والاستغناء، هم يعلمون لكن في تلاعبهم وفي تحايلهم لا يقرون ولا يؤمنون بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فهم كأنهم جعلوا التوراة خلف ظهورهم ولم يعبثوا بها، مع أنهم يدعون ويزعمون أنهم يعملون بها، فهم يشبهون من لا يعلم لفعلهم فعل الجاهل، فجاء ظاهر اللفظ على أنهم كفروا على علم لأنهم نبذوه عن علم ومعرفة، وهذا الحقيقة فيه خطورة وأي خطورة، أن الإنسان يعلم ولا يعمل، ولذلك الله جل وعلا في آخر سورة الفاتحة نحن في دعائنا العظيم { **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** } المغضوب عليهم هم اليهود، علموا ولم يعملوا، عندهم علم ولكنهم لم يعملوا بهذا العلم، نسأل الله العافية، والضالين هم النصارى، ليس عندهم علم ولكنهم عبدوا الله على جهل، فنعوذ بالله جل وعلا من الخذلان.

الآية ١٠٢ وهي آية طويلة نأخذ ما تيسر منها الآن

{ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)** }

◀ **مناسبة هذه الآية لما قبلها**، وعلم المناسبات الكلام فيه كثير جداً، الحقيقة **لكن الراجع** أن هناك مناسبات والآيات أو السور في ترتيبها لم تأت هكذا اعتباطاً، لاشك أن فيه حكم وفيه أسرار وفيه دقائق، لكن التكلف والتشدد في إظهارها والتعسف هذا أمر مرفوض ولا يقبل الحقيقة في ديننا، فما بالناس ونحن نفسر القرآن الكريم، لكن الشيء الذي يظهر والشيء الواضح الحمد لله مقبول والعلماء يذكرونه في كتب التفسير " **فالله جل وعلا لما ذكر من قبائحهم فيما سبق أنهم نبذوا التوراة التي أخرجت بتصديق نبينا صلى الله عليه وسلم وأنه سيبعث وأنه يجب أن يؤمنوا به، ذكر الله جل وعلا هنا نوعاً آخر من قبائحهم وهو اشتغالهم بالسحر وإقبالهم عليه ودعاؤهم الناس إليه**" يعني الأمر الأول أنهم لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ونبذوا التوراة إلى غير ذلك أيضاً ذكر الله نوعاً من أعمالهم ألا وهو الاشتغال بالسحر والعناية به.

❖ **سبب نزول هذه الآية** وسبب النزول علم شريف من علوم القرآن قال شيخ الإسلام ابن تيمية "معرفة السبب يعين على فهم المسبب" أسباب النزول مبثوثة في كتب التفسير ومن ألف فيه على وجه الخصوص الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول، والحافظ ابن حجر العجاب في بيان الأسباب، أيضاً الإمام السيوطي في كتابه لباب النقول في أسباب النزول، هذه تعتبر مراجع في أسباب النزول، سبب نزول **هذه الآية قولان:**

• **القول الأول:** أن اليهود كانوا لا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء من التوراة إلا أجابهم فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية، كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم بالوحي من الله تبارك وتعالى، فلما سأله عن التوراة وأجاب فانتقلوا بعد ذلك إلى السحر، ينظرون هل هو يعرف هل عنده خلفية هل عنده شيء، فأنزل الله جل وعلا هذه الآية تبين فعلهم السيئ واتهامهم لسليمان عليه السلام أنه كان يتعاطى السحر، وتبين

براءته من ذلك إلى غير ذلك.

• **القول الآخر:** أنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة ألا تعجبون لمحمد عليه الصلاة والسلام يزعم أن ابن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً، أعوذ بالله، فهم ينفون الرسالة ويقولون أبدا ما كان رسول ولا نبي، وإنما كان من السحرة، فأنزل الله جل وعلا هذه الآيات في بيان براءته، **قال السدي** "عارضت اليهود محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوراة، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتب آصف وِسحر هاروت وماروت" وقال محمد بن إسحاق: "لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان عليه السلام في المرسلين وجاءت في ذلك آيات في كتاب الله عز وجل قال بعض أحبارهم يزعم محمد أن ابن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً فأنزل الله عز وجل { **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا** }، فالآية فيها براءة لسليمان عليه السلام مما نسب إليه، على كل حال سواء قلنا إن الأول سأله عن التوراة وأجابهم ثم سأله عن السحر فنزلت هذه الآية أو ما جاء من الحديث فيها عن براءة سليمان عليه السلام فكل هذا حق إن شاء الله تعالى.

❖ مفردات الآية ومعانيها والمسائل المرتبطة فيها:

{ **وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ** } في المراد في قوله تعالى { **مَا تَتْلُوا** } أقوال:

• **القول الأول:** قال عطاء تتلوا أي تقرأ من التلاوة، وهذا هو المعنى الظاهر تلا فلان كذا أي قرأ.
• **القول الثاني:** قال ابن عباس رضي الله عنهما تتلوا أي تتبّع أو تتبّع، كأن تقول جاء القوم يتلو بعضهم بعضاً أي يتبع بعضهم بعضاً.

• **القول الثالث:** قال الإمام الطبري رحمه الله "واتبعوا ماتتلوا أي بمعنى **فضلوا**، لأن كل من اتبع شيئاً وجعله إماماً فقد فضله على غيره"، والحقيقة أن الأقوال فيها تقارب ولعلها صحيحة بإذن الله عز وجل.

كلمة "ما": { **وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ** } اختلف في المراد بها على قولين:

○ **القول الأول:** أنها مفعول به لا تبعوا، أي اتبعوا ما تقولته الشياطين على سليمان وتلته، يعني اليهود اتبعوا هذه الأشياء التي تلتها الشياطين وتقولتها على سليمان عليه السلام.

○ **القول الثاني:** أنها نفي، ولكن هذا القول فيه ضعف وقد رده الإمام ابن العربي، "وقال إنه لا يصح وأنه ليس بشيء، وأن الأقرب أنها تكون مفعول به يعني [اتبعوا الذي تلتته الشياطين وتقولته على سليمان عليه السلام].

الشَّيَاطِينُ: الأظهر أن المراد بهم شياطين الجن، وهو المفهوم من هذا الاسم وقد يدخل في ذلك شياطين الإنس الذين تمردوا في الضلال، لكن الأقرب في معنى الآية وفي أسباب النزول وما ذكر من الأخبار حول هذه الآية أنهم شياطين الجن قوله تبارك وتعالى { **عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ** } : على ملك سليمان: اختلف في معناه على أقوال:

• **أحدها** أن المراد على شرعه ونبوته، ما جاء به من هذا الدين، قاله الزجاج: في كتابه "معاني القرآن وإعرابه".

• **القول الثاني:** على ملك أي في ملك سليمان أي في قصصه وصفاته وأخباره، هذا وهذا كلاهما محتمل والله أعلم.

{ **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ** } ما فيه شك فهو نبي وأحد الأنبياء والرسل هذه الآية تبرئة لسليمان عليه السلام من الكفر، هو لم يتقدم في الآية أو لم يذكر أن أحد نسبه إلى الكفر، لكن اليهود نسبوه إلى السحر، ولما كان السحر كفرةً كان بمنزلة من نسبه إلى الكفر، وأخذ من هذا العلماء على كفر الساحر، يعني هنا في الآية هل فيه أحد قال إن سليمان كافر؟ ليس فيها أن أحداً قال إن سليمان عليه السلام قد كفر، لكن لما نسبوه إلى السحر وقالوا إنه ساحر والسحر كفر كان بمنزلة من نسبه إلى الكفر، وقلت في هذا الكلام استنباط دقيق جداً وهو أن السحر كفر.

الحلقة (٧)

{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)}

وقد وقف الحديث في الحلقة السابقة عند قول الله تبارك وتعالى {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} بعد أن بين الله جل وعلا براءة سليمان عليه السلام من الكفر وذكرت أنه ليس في الآية من نسبه إلى الكفر ولكنهم نسبوه إلى السحر ولكن لما كان السحر كفراً كان بمنزلة من نسبه إلى الكفر، وأن هذه الجملة استفاد منها العلماء أو استدلوا بها على كفر الساحر. قوله تبارك وتعالى {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} هذا دليل آخر على كفر من تعلم السحر، وقوله تبارك وتعالى "ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر" يجوز أن يكون يعلمون في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر ثاني هذان وجهان في إعراب كلمة يعلمون، وفي قوله تبارك وتعالى {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ} فيها قراءتان قرأ الكوفيون سوى عاصم {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ} لكن بتخفيف لكن ورفع النون من الشياطين، هكذا قراءتهم ووافقهم ابن عامر، وقرأ عاصم والباقون {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ} بالثبوت والنصب، القراء السبعة معروفون هم ابن كثير المكي ونافع المدني وابن عامر الشامي وحزمة والكسائي وعاصم كل هؤلاء من الكوفة وأبو عمرو البصري هؤلاء هم القراء السبعة، من أشهر المراجع في القراءات السبع كتاب السبعة لابن مجاهد أيضاً كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي القيسي، من أراد التوسع في القراءات العشر: كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري، التوسع أيضاً في القراءات الأربعة عشر: تحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر.

قوله تبارك وتعالى {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} ما معنى السحر؟ قال الجوهري: "السحر الأخذ، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر"، ويطلق أيضاً على التمويه بالحيل والخداع، هذا كله يدخل في معاني السحر، وما لطف وما دق مأخذه أو دق سببه أو فيه تمويه وتحايل وخداع هذا كله يدخل فيه، فالساحر مع الشياطين يتعاونون على فعل أشياء، فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي عليه، كالذي يرى السراب من بعيد، فيخيل إليه أنه ماء، كراكب السفينة السائرة سيرا حثيثا يخيل له أنه ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه، ونحو ذلك، فهم يتعاونون مع الشياطين بعقد وبأمور وطلاسم وشعوذة ينفذون بها إلى ما يريدون.

هذا السحر اختلف في اشتقاقه كلمة سحر من أي شيء مشتقة قيل هو مشتق من التمويه بالحيل والتحايل، وقيل هو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته بمعنى علته، مثل يقول واحد أنا والله آخذ حاجة من الطفل الصغير سحرتة وما معناه السحر الحقيقي لكن خدعته علته بشيء أعطيته شيء وأخذت شيئاً منه هذا معناه، وقيل أنه مشتق من الخفاء أصله الخفاء، فإن الساحر يفعل ما يفعل خفيةً، وهذا أيضاً صحيح، وقيل أصله من الصرف، لأن المسحور يصرف عن زوجته ما يسمى بالتولة، هذا شيء يصنعونه يصرف الزوج عن زوجته أو الزوجة عن زوجها، أو يصرف الإنسان عن بيته، أو يصرفه عن عمله، أو عن دراسته، وهذا أيضاً معنى صحيح، وقيل أصله من الاستمالة، فإذا عمل سحراً لشخص يستمال إلى أشياء أخرى، ولذلك يقولون من استمالك فقد سحرك، على كل حال كل الاشتقاقات صحيحة، فالسحر تمويه وتحايل وفيه خداع وفيه خفاء وفيه صرف وفيه استمالة، كل هذه المعاني صحيحة التي قيلت عن السحر.

«**هنا مسألة وهي اختلف العلماء هل السحر له حقيقة أم لا؟** عند المعتزلة يرون أنه خدع وتمويه وإيهام لا أصل له، وذهب أهل السنة والجماعة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، لكنه يختلف، قد يكون وسوسة وأمراض، قد يكون طلاس، و زئبق، وحاجات، نسأل الله أن يزيدنا بها جهلاً، ويكفي المسلمين من شرها، أيضاً تعظيم الأشياء، تصغير الأشياء، الله جل وعلا أعطى الجن من القدرة شيئاً عظيماً وإذا تعاونوا مع هؤلاء حصل عن طريقهم شر كثير.

❖ **ما الأدلة أن السحر له حقيقة؟** هناك أدلة كثيرة منها:

(١) ما جاء في هذه الآية من ذكر السحر وتعليمه ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه، ولا أخبر الله تعالى أنهم يعلمون الناس فدل أن له حقيقة، أي لو كان السحر ماله حقيقة كيف يعلم؟ وهم كانوا يتعلمون يعلم بعضهم بعضاً إما من الجن أو الإنس يتعلمون فيما بينهم، كل واحد يعلم الآخر، إذن له حقيقة إن لم يكن له حقيقة كيف يتم تعليمه.

(٢) من الأدلة أيضاً قوله تعالى عن سحرة فرعون { **وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ** } وصفه جل وعلا بأنه عظيم بأن له حقيقة.

(٣) الدليل الثالث قوله تبارك وتعالى { **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** } وسورة الفلق سبب نزولها أن لبيد بن الأعصم اليهودي عليه من الله ما يستحق سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر ذلك البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم" وفي الحديث أن عليه الصلاة والسلام لما حل السحر قال **(إن الله شفاني)** وقد أخبر أنه عمل له عمل في بئر وذهب الصحابة وأخرجوه منها إلى آخره، المهم أن السحر له حقيقة وعليه الصلاة والسلام كان يخيل أنه يفعل الشيء ولا يفعله، ولكن الحمد لله لم يتطرق إلى الوحي وإلى الدين وإلى الشريعة، لكي لا يأتي أحد ويقول والله الدين تأثر صار فيه اختلال بسبب السحر، كان في أشياء معينة لم تصل إلى مسألة الدين وإلى البلاغ وإلى الشريعة الإسلامية، المهم أن هذا يدل على أن السحر له حقيقة وما فيه شك، وآثاره الآن واضحة، ناس يصرفون عن بيوتهم، ناس يصيبهم جنون، ناس يصيبهم صرع، واحد يصرف عن زوجته، المرأة تصرف عن زوجها، أشياء كثيرة نسأل الله العافية.

العلماء أيضاً أدخلوا في السحر ما يكون بالخفة، الحركات والشعوذة، وهذا للأسف يكثر في بعض القنوات الفضائية ما يسمى بالسحر أو السرك السحري أو نحو ذلك، فلان يخرج شيء من فم الأسد، أو يدخل شيء أو يدخل هو في شيء آخر، هذا نوع من السحر، ولا يجوز للمسلم أن يراه أو يقف عنده ولا أن يصدقهم كما سيأتي الكلام إن شاء الله فيه، أيضاً من السحر ما يكون طلاس وأرقام وحروف مركب بعضها على بعض، أيضاً من السحر الأدوية حبوب أو شراب أو دخان يتصاعد، يعني لهم في ذلك أنواع وحيل يتلاعبون بها على الناس، أيضاً النبي صلى الله عليه وسلم أدخل بعض الأشياء في السحر وإن كانت لا تأخذ حكم السحر مثل الكلام الحسن الجميل، قال عليه الصلاة والسلام **(إن من البيان لسحراً) من حسن البيان لا يكون سحراً محرماً، المقصود أنه يجذب العقول ويصرف الأنظار إليه من حسن كلامه ومنطقه، هذه أنواع تدخل في السحر.**

هناك فرق بين السحر والمعجزة: السحر: عمل الساحر، والمعجزة: من الله تبارك وتعالى لأنبيائه ورسوله، وكل نبي يعطى من المعجزات ما يناسب الذي كان عند قومه، والذي برزوا فيه، موسى عليه السلام أعطي العصا، وتخرج يده بيضاء ليس فيها برص، لأن قومه كانوا مشهورين بالسحر، عيسى عليه السلام كان يبرئ الأكمه والأبرص ويجيي الموتى بإذن الله عز وجل، لأن قومه كانوا مشهورين بالطب، العرب كانوا مشهورين بالفصاحة والبلاغة فجاءهم هذا القرآن فأفحمهم وأعجزهم، فالسحر يوجد من الساحر، لا يمكن أن يأتي أحد بالمعجزة إلا الله تبارك وتعالى ويجعلها لرسوله، ولا يمكن أن يستطيع

أحد أن يعارض أو يتحدى أو يفحم هذه المعجزة، أما السحر قد يأتي واحد أقوى سحرا من سحر فلان فيعجزه ويغلبه، وقد يُشفى بإذن الله هذا المسحور ويغلب سحر الساحر ويعافي هذا بإذن الله عز وجل، هذه أمور بتوفيق الله سبحانه وتعالى، لكن الذي يخاف منه يخشى أن يتعدى ضرره، أما المعجزة : فهي من الله تبارك وتعالى فالمعجزة تأييد من الله تبارك وتعالى لأنبيائه ورسله فالمعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدي بها، أما السحر فهو شعوذة ودجل وضلال على الناس.

← **ما حكم الساحر؟** ذهب العلماء إلى أن السحر كفر و تعاطيه كفر واستدلوا بقول الله تبارك وتعالى { **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** } وقوله تعالى { **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ** } هم ما قالوا إنه كافر ولكن نسبوه إلى السحر، وعلى هذا يكون السحر كفر، ثم قال تبارك وتعالى "ولكن الشياطين كفروا" هذا أيضا مما يدل على أن فعل السحر كفرًا.

← **أما حد الساحر :** **القتل** لقوله عليه الصلاة والسلام (حد الساحر ضربة بالسيف) رواه الترمذي وروى عن عائشة أنها باعت ساحرة كانت سحرتها وجعلت ثمنها في الرقاب" وأيضا عمر رضي الله عنه بعث إلى ولاته "أن اقتلوا كل ساحر وساحرة" قالوا : فقتلنا ثلاث سواحر، لكن ما يقتل الساحر أنا ولا أنت ولا فلان، هذا إلى ولي الأمر، يقبض على الساحر ويحقق معه وينظر القاضي فيه ويصدر فيه الحكم الشرعي، ثم يتولى ولي الأمر التنفيذ، لكن لا يجوز للإنسان أن يقتل السحرة ويقول هؤلاء آذوا الناس سأقتلهم.

لا يجوز لنا أن نأتي السحرة ولا أن نسألهم ولا أن نصدقهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم (من أتى كاهنا أو عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما) وفي الحديث الآخر (من أتى كاهنا أو عرافا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) فهذا أمر خطير جداً لا يجوز بأي حال من الأحوال لا النظر إليهم ولا سؤالهم ولا تصديقهم، والذي ذهب يطلب علاجاً أو يطلب سحرا هذا الآن صدقهم ودفع المال، هذا على خطر عظيم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)

قوله تبارك وتعالى { **وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَيِّنَاتٍ هَارُوتَ وَمَارُوتَ** } اختلف في "ما" **على قولين:**

• **القول الأول:** أنها **نفي** والواو للعطف على قوله { **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ** } يعني وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين، يعني لا كفر سليمان ولا الذي أنزل على الملكين، وذلك أن اليهود قالوا أنزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفي الله ذلك، وقال ابن عباس "لم ينزل الله السحر"، وفي الكلام بعضهم يرى أن فيه تقديماً وتأخيراً والتقديم كما قال الطبري "وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين" ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل" وأن الذين يعلمونهم رجلان اسم أحدهم هاروت والآخر ماروت وهذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى ما سواها، الحقيقة توجيه جميل جداً ونفيس من الطبري يقول وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر يعني هنا "ما" نافية، يعني الله جل وعلا ما ينزل السحر إلا على القول الآخر أنه ابتلاء وامتحان هذا قول آخر، ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا، هذا قول أن "ما" هنا نافية.

• **القول الآخر** يرى أن "ما" عطف على السحر، وتكون اسم موصول بمعنى الذي ويكون السحر مُنَزَّل، يعني القول الأول يقول: لا أن الله ما أنزل السحر، القول الثاني الله أنزل السحر على الملكين فتنه للناس وامتحاناً، ليبتل الناس ويختبرون، قال أهل العلم والله أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بنهر طالوت، ولهذا كان الملكان يقولان { **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** } يعني هذا استدلوها به على أن "الواو" هنا للعطف وأن "ما" موصولة، وهذا يدل أن الله جل وعلا أنزل السحر فتنه للناس، أي

محنة من الله نخبرك أن عمل السحر كفر، فإن أطعنا نجوت وإن عصيتنا هلكت، ومثل ما يعطي الله جل وعلا للدجال الذي يكون في آخر الزمان يعطيه الله أمور تكون على يديه، يضرب القرية فتكون خضراء، ويضرب القرية فتكون محملة، يقتل الرجل يقصه شقين فيقول قم حيا، هذا فتنة وامتحان أجراه الله جل وعلا على يد هذا الرجل، وقد "روي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وغيرهم ما معناه أنه لما كثرت الفساد في أولاد آدم عليه السلام وذلك في زمن إدريس عليه السلام غيرتهم الملائكة فقال الله تعالى (أما إنكم لو كنتم مكانهم وركبتم فيكم ما ركبت فيهم لعلتم مثل أعمالهم) فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك، فقال فاختاروا ملكين من خياركم فاختاروا هاروت وماروت فأنزلهما إلى الأرض) ولكن الحقيقة الرواية هذه جاء فيها أنهما فعلا الزنا وشربا الخمر، ولذلك قال القرطبي هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عباس وعن ابن عمر وغيرهم من الصحابة، لأن الحقيقة هذه من الروايات الإسرائيلية السيئة، أن هذين الملكين شربا الخمر وصاروا يفعلون الفواحش بالنساء، يقول القرطبي إنه ضعيف ولا يصح منه شيء، فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراء الله إلى رسله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرهم، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، قد أنزل الله ملكين وجاء معهما السحر فتنة للناس، لكن التوسع والتزديد والقول أنهما كانا يشربان الخمر ويفعلان الفواحش هذا كلام قبيح وسيء لا يمكن أن يصح عن الصحابة رضي الله عنهم، ولذلك نفاه هؤلاء العلماء.

قوله تبارك وتعالى { **بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ** }، { **بِبَابِلَ** } ممنوع من الصرف لا ينصرف للتأنيث والتعريف والعجمة، وهو قطر من الأرض، قيل إنه عام، وقيل هو العراق وما والاها، وقيل هو المغرب وهذا ضعيف، والأقرب أنها في العراق أو في شماليه والعلم عند الله تبارك وتعالى، قوله تبارك وتعالى { **هَارُوتَ وَمَارُوتَ** } هاتان كلمتان أيضا لا تنصرفان، يعني ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، أما بابل فهو للعلمية والعجمة أو للعلمية والتأنيث، وكلها تدل على المنوع من الصرف، ويجمع على هواريت ومواريت مثل طواغيت، ويقال هوارته وهوارن وموارته وموارن، مثل جالوت وطالوت والله أعلم، اختلف هل هما ملكان أو غيرهما؟ هذا مرتبطة في المسألة السابقة، يقول الزجاج "روي عن علي رضي الله عنه قال: إن الملكين يعلمان الناس تعليم إنذار من السحر لا تعليم دعاء إليه، يعني أنهما ما كانوا يعلمون الناس السحر يعلمونهم ليكونوا سحرة لا، هم يعلمونهم لينذرونها ليخوفونهم منه، وقيل أنهما ليس ملكين ولكن هذا يخالف ظاهر الآية فالآية أنهما ملكان".

قوله تبارك وتعالى { **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ** } أي وما يعلمان أحدا القول بزيادة من هنا قول غير صحيح فليس في القرآن شيء زائد، قد يقال صلة تأدبا مع القرآن، قوله تبارك وتعالى { **حَتَّى يَقُولَا** } نصب الفعل هو التقدير: يقولان نصب ب"أن" المضمر بعد "حتى"، قوله تبارك وتعالى { **يُعَلِّمَانِ** } الضمير يرجع لهاروت وماروت { **حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** }، { **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ** } { **يُعَلِّمَانِ** } هنا الضمير يرجع إلى هاروت وماروت، قوله تبارك وتعالى

{ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** } يعني معنى الفتنة أي: الابتلاء والاختبار، هذا كما قلت صحيح أن الله جل وعلا يبتلي عباده بما شاء ومن ذلك ابتلاء العباد بهذا السحر وبهذه الشعوذة، قوله تبارك وتعالى { **فَلَا تَكْفُرْ** } قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أتاهم الآتي يريد السحر نهيها أشد النهي، وقال له: { **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** }، لأنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان ومن ذلك أن السحر كفر، وقال الحسن البصري رحمه الله نعم أنزل الملكان بالسحر ليعلم الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس، وكانا يعلمان الناس السحر، يعلمانهم ليس من باب التعليم ليكونوا سحرة، لكن من باب التخويف والترهيب والتحذير، لذلك كانا يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر، قوله

{ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا** } أي يتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يفرقون بين المرء وزوجه، وهذا من الأدلة على أن السحر له حقيقة وأن له تأثيرا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول { **إن الرقي والتائم والتولة شرك** } والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يجيب المرأة إلى زوجها والزواج إلى امرأته، وقد يكون أيضا صرفا يفرقون به بين المرء وزوجه قد يكون السحر يجمع بين زوجين وقد يكون يفرق بينهما كما هنا في هذه الآية، ولذلك هذا من الأدلة على أن السحر له أثر وله حقيقة.

الحلقة (٨)

نبدأ بما بقي من تفسير الآية (١٠٢) ثم نأخذ بعد ذلك ما يتسر من الآية (١٠٣، ١٠٤) من سورة البقرة

قوله تبارك وتعالى { **وَمَا هُمْ بِصَّارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** } قوله جل وعلا "وما هم" إشارة إلى السحرة وقيل إلى اليهود وقيل إلى الشياطين، على كل حال فهؤلاء من السحرة يتعاون معهم الشياطين أو اليهود كل هؤلاء ليس بضارين أو يوقعون الضرر في أحد إلا بإذن الله تبارك وتعالى وبقضائه ويقدره قوله { **بِصَّارِّينَ بِهِ** } الضمير هنا يرجع إلى السحر لأن الحديث عنه، قوله تبارك وتعالى إلى { **إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** } أي بإرادته وقضائه وقدره سبحانه وتعالى كل الأمور مقدره { **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** } ومن ذلك أن فلان يضر فلانا أو أن فلانا يؤذي فلانا، هذا كل شيء بقضاء الله وقدره.

قوله تبارك وتعالى { **وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ** } يعني هؤلاء السحرة ومن سار في ركبهم يتعلمون ما يضرهم في الآخرة وإن أخذوا فيها نفعاً قليلاً في الدنيا، وقيل أيضا أن الضرر يكون في الدنيا لأن ضرر السحر والتفريق يعود على الساحر في الدنيا إذا عثر عليه لأنه سيقام عليه الحد بعد ذلك فيلحقه شؤم السحر، فهؤلاء يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ليس هناك نفع وراء السحر، قد يستدرون أموال يرهبون الناس يخوفون الناس لكن الحقيقة لا ينتفعون، فالضرر سيكون مآلهم في الآخرة، وقد يأتيهم ضرر في الدنيا، فعندما يقبض عليهم يقبض على هؤلاء السحرة يعني يقام فيهم الحد ويظهر خزيم ويفضح أمرهم ويعلن حالهم أمام الناس حتى يحذروهم، فالسحر شر وضرر على أصحابه وعلى من وقع عليه حتى يأذن الله له بالشفاء.

قوله تبارك وتعالى { **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ** } أي: ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن فعل فعلهم ذلك أنه مآلهم في الآخرة من خلاق، يعني أن من استبدل صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به بالسحر وأخذ السحر هذا ليس له نصيب وليس له حظ ولا فلاح في الدنيا ولا في الآخرة، واللام في "لقد" لام توكيد وقوله { **لَمَنِ اشْتَرَاهُ** } اللام هنا أيضا لام توكيد، { **مِنْ خَلْقٍ** } أي: من نصيب قاله ابن عباس ومجاهد، وكذلك عند أهل اللغة، ويقولون أن النصيب في الغالب يستعمل في الخير { **مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا** } يقول اللغويون أن الغالب والأكثر في كلمة نصيب أنها تستعمل في الخير قد تستعمل في الشر لكنه قليل، { **مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ** } أي: ماله من نصيب، قيل: أن معناها أنه ليس له دين وقيل ليس له حجه عند الله تبارك وتعالى، ثم قال تبارك وتعالى { **مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** } "شروا" ليس بمعنى اشتروا لا المقصود هنا شرى بمعنى: باع، يعني لبئس ما باعوا به أنفسهم، ولبيئس البديل ما ابتدلوا به السحر عن الإيمان ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنهم تركوا العمل بعلمهم واسترشدوا من الذين عملوا السحر، بئس الصنيع وبئس العمل، قوله تبارك وتعالى { **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** } أي لو كان عندهم علم بما وعظوا به لاستفادوا، ولكنهم أعرضوا ونكصوا على أعقابهم العياذ بالله عز وجل من ذلك.

الآية رقم (١٠٣) من سورة البقرة وهي مرتبطة بالآية السابقة، قوله تبارك وتعالى { **وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمُتُّبَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ**

خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ { ارتباطها قوي في الآية السابقة ومعناها واضح، لو أنهم آمنوا بالله ورسله واتقوا المحرمات، والمحرمات كثيرة لكن نحن نتكلم الآن عن السحر ونحن مرتبطون بالآيات السابقة، فالمقصود منها هنا السحر،

{ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ } { لو أنهم آمنوا وصدقوا وتركوا السحر وتركوا المحرمات لحصل لهم خير من الله تبارك وتعالى كما قال جل وعلا **{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ }** (القصص ٨٠)

هذا استفاد منه أن هؤلاء تركوا الخير والفضل وذهبوا إلى الكفر والضلال وأذية الناس عيادا الله جل وعلا من ذلك.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: على كلام نفيس له أحببت أن أقرأه على مسامعكم قال: وقد استدل بقوله: **{ وَلَوْ أَنَّهُمْ**

آمَنُوا وَاتَّقَوْا } من ذهب إلى تكفير الساحر، هذا أيضا دليل يضاف إلى ما ذكرناه آنفاً كما هو رواية عن الإمام أحمد وطائفة

من السلف وقيل بل لا يكفر، ولكن حده ضرب عنقه لما رواه الشافعي وأحمد عن بجالة بن عبدة قال كتب عمر بن

الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال فقتلنا ثلاث سواحر، وقد أخرجه البخاري في صحيحه أيضا،

وهكذا صح أن حفصة أم المؤمنين سحرتها جارية لها فأمرت بها فقتلت، قال الإمام أحمد صح عن ثلاثة من أصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم في قتل الساحر، وروى الترمذي عن الحسن بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(حد**

الساحر ضربه بالسيف) ولذلك حمل الشافعي رحمه الله قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركاً والله أعلم.

تفسير الآية (١٠٤) من سورة البقرة وهي قوله تبارك وتعالى **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا**

وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.

◀ **سبب نزول هذه الآية:** فقد روي ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم

راعنا على جهة الطلب والرغبة من المراعاة، أي التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سباً **أي اسمع لا سمعت**، أخذوا الكلمة

عن اليهود وما كانوا يعرفون المعنى السيئ، معنى راعنا قيل من الرعونة والضعف والخور، وقيل أنها كلمة سب عن طريق

اليهود، إذا قالوا راعنا يعني اسمع لا سمعت، فاغتموها اليهود وقالوا: كنا نسبه سراً فالآن نسبه جهراً، هم يتضحكون فيما

بينهم يقولون هذا كان بيننا ما أحد يدري، الآن الناس نقلوها عنا وصاروا يقلونها، ونحن نقولها فلنسبه جهراً، فكانوا

يخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود:

عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه رضي الله عنه وأرضاه، كان

قويا في الإسلام وفي احترام النبي صلى الله عليه وسلم وفي تقديره، قالوا: أولستم تقولونها؟ فنزلت الآية ونهوا عنها لئلا

نفتدي باليهود في هذا اللفظ، نزلت الآية تنهى المسلمين الذين قالوها عن طيب نية، يعني سمعوها تتداول فنقلوها، ولم

يقصدوا معناها السيئ الذي كانت تقصده اليهود واليهود كانت تضحك يفرحون لأنه يسب عليه الصلاة والسلام جهراً

فنزلت الآية ولله الحمد، فاليهود كانوا يأتون بهذه الكلمة لما فيها من التورية من التنقص والازدراء، فإذا أرادوا أن يقولوا

اسمع لنا قالوا راعنا، كما قال تبارك وتعالى **{ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ**

مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ } واليهود ليس هذه بأول زلاتهم وتنقصهم واستهزائهم بالنبي صلى الله عليه

وسلم في الألفاظ، في الحركات، في الأفعال، ومن ذلك ما جاء في الأحاديث أنهم كانوا إذا سلموا يقلون السام عليكم، ما

يقولون السلام، والسام هو الموت، ولذلك أمرنا أن نرد عليهم بقولنا **وعليكم**، ولما غضبت عائشة رضي الله عنها قال عليه

الصلاة والسلام **(ألا تسمعون ما قلت لهم، إنه يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا)** يعني الله جل وعلا يستجيب دعاءنا

عليهم ولا يستجيب دعاءهم علينا هذا من خبث اليهود ومن أفعالهم السيئة القبيحة.

❖ مفردات الآية:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا } كلمة راعنا من صيغ المفاعلة، لأنه بين اثنين، فتكون من رعاك الله أي احفظنا ولتحفظك، وارقبنا ولترقبك، يعني من هذا الكلام يعني راعنا تكون من اثنين يعني ارعنا ولنرعاك، كما يقال احفظنا ولتحفظك وارقبنا ولترقبك، ويجوز أن يكون من أرعنا سمعك، أي فرغ سمعك لنا، ولا شك أن المخاطبة في هذا جفاء، تقول لفلان: فرغ سمعك، اصغ بسمعك لي، هذا فيه نوع من الجفاء ونوع من التنقص والازدراء، المنافقون كانوا يقولون هذه الكلمة أيضا ويدعون بها الرعونة والخسة والضعف والخور، فهل هذا يكون في حق الرسول صلى الله عليه وسلم؟! الذي له عظيم القدر وكبير الجلالة عند الله تبارك وتعالى؟! هذا ليس بحق وليس بصواب، والصحابة وإن قالوها ما قصدوا المعاني القبيحة السيئة، ولكن الذي قصدها اليهود والمنافقين.

← **وهنا مسألة:** استدل بهذه الآية على أنه يجب تجنب الألفاظ المحتملة التي فيها تعريض وتنقص من قدر الآخرين، المسلم والله الحمد لا يقول إلا الكلام الطيب الحسن، لا يأتي بألفاظ قد تحمل محامل سيئة أو قبيحة، بل يقول الكلام الطيب ويتعد عما فيه تعريض أو تنقص من الآخرين، أيضاً استدل بهذا جمع من العلماء على سد الذرائع وحماتها وهو مذهب للإمام مالك وأصحابه والإمام أحمد والذرائع عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه لكن يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع، هو ليس ممنوعاً لكنه يخاف أنه لو فعل أن يوقع في أمر محرم أو أنه يجر إلى أشياء أخرى.

❖ والأدلة على هذه القاعدة قاعدة سد الذرائع كثيرة، منها:

▪ **الدليل الأول:** منها في القرآن هذه الآية " { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا } ووجه الاستشهاد بها أن اليهود كانوا يقولون ذلك وهي سب بلغتهم فلما علم الله ذلك منهم منع من إطلاق ذلك اللفظ لأنه ذريعة للسب، يعني هذا مجال يتحول إلى سب الفعل قيل في زمن ما وقيل يحتمل السب.

▪ **الدليل الثاني:** { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ } فمنع من سب آلهتهم مخافة مقابلة بمثل ذلك منع جل وعلا من سب الآلهة.

▪ **الدليل الثالث:** أيضا قوله تبارك وتعالى { وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ } فحرم الله عليهم الصيد في يوم السبت، فكانت الحيتان تأتي يوم السبت شرعا أي ظاهرة، فسدوا عليها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، وهذا أيضا تحايل وتلاعب، ولذلك استحقوا اللعنة والغضب والعقوبة من الله تبارك وتعالى.

▪ **الدليل الرابع:** في السنة حديث عائشة أن أم حبيب وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأياها في الحبشة فيها تصاوير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح فمات بنو على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله) رواه البخاري ومسلم، فهذا مما يدل على أن هذا ذريعة إلى عبادتهم وإلى تعظيمهم، النبي صلى الله عليه وسلم أولئك شرار الخلق عند الله.

▪ **الدليل الخامس:** أيضا من الأدلة على سد الذرائع قوله عليه الصلاة والسلام في حديث النعمان بن بشير وقد رواه مسلم (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه) الإنسان الذي يرعى حول حمى فلان قد تدخل الغنم أو يدخل البقر في هذا الحمى، ولو ابتعد ارتاح، وهكذا الإنسان الذي يقع في الشبهات ويتساهل فيها تفوده يوما ما إلى الحرام فتزل قدمه في ذلك.

■ **الدليل السادس:** أيضا من الأدلة قوله عليه الصلاة والسلام (إن من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه) فالرجل لا يمكن يشتم والديه، ولكن لو شتمت أب فلان أو أم فلان سيعود ويشتم أبك ويشتم أمك، معناه كأنك صرت سببا في شتم والديك.

قوله تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا} أمروا أن يخاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإجلال والتقدير، والمعنى أقبل علينا وانظر إلينا، وقال مجاهد رحمه الله أي فهمنا وبين لنا، وقيل المعنى: انتظرنا وتأني بنا، المهم أن يكون بأدب واحترام مع النبي صلى الله عليه وسلم، بدل كلمت راعنا وما فيها من التنقص والاستخفاف والمعنى السيئ، جاءت هذه الكلمة التي تحمل المعاني أقبل علينا انظر إلينا كلام جميل فهمنا بين لنا، هكذا قراء السبعة "قُولُوا انظُرْنَا".

قرأ الأعمش أنظُرنا وهذه قراءة شاذة، بمعنى: أخرنا وأمهلنا حتى نفهم عليك ونتيقن منك، ومن باب الفائدة: القراءات الشواذ لها مراجع هناك مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه وأيضا المحتسب لابن جني أيضا يعتبر مرجع من مراجع القراءات الشواذ أيضا إعراب القراءات الشواذ العكبري يعتبر مرجعاً من المراجع.

{وَأَسْمَعُوا} لما نهى وأمر سبحانه وتعالى حض على السمع الذي في ضمنه الطاعة، وأعلم أن لمن خالف أمره فكفر عذابا أليما، إذن هذا دليل على وجوب احترام النبي صلى الله عليه وسلم وتقديره والنهي عن الوقوع في سبه أو في ازدرائه والله جل وعلى يقول {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} قيل في هذه الآية أن الناس كانوا يقولون يا محمد يا محمد، وهذا لا يليق بمقام الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل أن بعض الأعراب كانوا يقولون هذا فأمرؤ أن يقول أحدهم يا رسول الله يا نبي الله، هذه الكلمات الجميلة التي تدل على تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى إجلاله وعلى تقديره.

وهنا وقفه يسيره في باب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم واحترامه وتقديره، العلماء يقولون أو المفسرون يقولون إن الله جل وعلا أعلى شأن نبيه صلى الله عليه وسلم، وعظمه، وقدره، والأدلة على هذا كثيرة في القرآن الكريم، ومن ذلك أن الله عز وجل نادى الأنبياء بأسمائهم، يا آدم، يا نوح، يا يحيى، أما نبينا صلى الله عليه وسلم لم ينادى باسمه، إنما نودي بوصفه الشريف، وكون الإنسان ينادى بوصفه الشريف دلالة على جلالة قدره وعظمة منزلته، ونودي عليه الصلاة والسلام {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} في موضعين من القرآن في سورة المائدة، ونودي بـ يا أيها النبي في ثلاثة عشر موضعا، هذه خمس عشر، ونودي بوصفين مشتقين من حالته التي كان عليها وهما المزمّل والمدثر {يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ} {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}، وأيضا لما حكى الله جل وعلا كلام الكفار وخطابهم للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر ندائه بقوله جل وعلا

{وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} ما جاء يا محمد، إذن في باب النداء لم ينادى عليه الصلاة والسلام باسمه العلم، لكن في باب الإخبار صرح باسمه عليه الصلاة والسلام محمد، لكن حتى في باب الإخبار جاء معه الرسالة أو جاءت معه الرسالة مقترنة به عليه الصلاة والسلام.

النداء لم ينادى باسمه العلم، وفي باب الإخبار قرن اسمه بالرسالة كقوله تبارك وتعالى {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} وفي قوله تبارك وتعالى {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ} إذن نلاحظ في باب الإخبار يأتي اسمه عليه الصلاة والسلام مع ذكر الرسالة، قال أهل العلم إذا كانت هذه منزلته وعلو قدره عليه الصلاة والسلام عند ربه جل وعلا، أفلا تكون هذه المنزلة وهذا العلو وهذا القدر في قلوب أتباعه والمؤمنين به؟! يجب أن نعظم النبي صلى الله عليه وسلم وأن نقدره حق قدره ولا نغلو فيه، وسط بين أمرين، لا غلو ولا جفا، لا إفراط ولا تفريط، فهو

عبد الله ورسوله، وهو أفضل الرسل وأشرفهم وأكرمهم وأعظمهم منزله، ولكن لا نصرف له حقا من حقوق الله تبارك وتعالى، فندعي أنه يعلم الغيب أو يقضي الحاجات أو يجيب الدعاء أو يغيث الملهوفين، هذا شرك مع الله تبارك وتعالى، وهو الذي دعانا إلى التوحيد وحررنا من الشرك، قال تبارك وتعالى {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} وفي قوله تبارك وتعالى {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

الحلقة (٩)

موضوع الحلقة تفسير الآيتين (١٠٥ و ١٠٦) من سورة البقرة

يقول الله تبارك وتعالى {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}

في هذه الآية الكريمة يبين جل وعلا شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين لأهل الإيمان للمؤمنين وقد حذرنا تبارك وتعالى من مشابهتم لتقطع المحبة بيننا وبينهم إلا محبة دعوتهم إلى الخير وبيان محاسن الإسلام وتعاليمه لهم فهذا أمر مطلوب يقول تبارك وتعالى {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} قوله ما يود أي ما يتمنى أي هم لا يتمنون ولا يودون {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} قال ابن عباس رضي الله عنهما أهل الكتاب هم يهود المدينة ونصارى نجران ولاشك أن الآية عامة.

قوله تبارك وتعالى {وَلَا الْمُشْرِكِينَ} أي: مشركي مكة وهو معطوف على "أهل" {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} ويجوز أن يكون عطفا على "الذين" يعني في قوله {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني إما أن تكون عطفا على أهل الكتاب وإما أن يكون عطفا على الذين، وهذا هو رأي النحاس، قوله تبارك وتعالى {أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ} بعض المفسرين يقول أن {مِنْ} في {مِنْ خَيْرٍ} زائدة وهذا كلام لا يصح ولا يجوز في كلام الله جل وعلا أن يقال أن "الباء" أو "من" أو بعض حروف الجر إنها زائدة، ولكن يقال صلة يقال تقوي المعنى، لكن أن يعبر بالزيادة هذا كلام لا يجوز ولا يصدر من مؤمن بالله تبارك وتعالى وبكتابه، وهو اسم لمن لم يسم فاعله ويقال أيضا هو نائب فاعل، فمن النحويين من يقول نائب فاعل ومنهم من يقول ما لم يسم فاعله لأن ينزل فعل مبني للمجهول والمراد بالخير هنا هو النبوة والإسلام.

وأن أهل الكتاب والكفار لا يودون لنا الخير ومصدر الخير لنا هو طريق الأنبياء والرسل، وأكرمهم وأفضلهم نبينا صلى الله عليه وسلم الخاتم للأنبياء قبله، وهناك قول آخر أن المراد بالخير العلم والفقه والحكمة، فهم يحسدوننا على ما عندنا من الخير من علم وفقه وحكمة بهذا الدين.

ثم قال تبارك وتعالى {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} هذا فضل الله تبارك وتعالى أنه يختص بعباده من يشاء بفضله ورحمته وإحسانه وقد اختلف المفسرون رحمهم الله في المراد **"بالرحمة"** هنا:

• **القول الأول** فروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال (يختص برحمته أي بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم)

• **القول الثاني** قال ابن عباس رضي الله عنهما (أي الإسلام) المراد بالرحمة هنا الإسلام.

• **القول الثالث**: قال قوم الرحمة هي القرآن.

• **القول الرابع**: أن الرحمة عامة لجميع أنواعها التي منحها الله عباده قديما وحديثا.

وهذا هو الصحيح أن الرحمة عامة وما ذكر من الأقوال السابقة هو تفسير بالمثال، تفسير بالنوع، وذلك أقوالهم ليس بينها

تضاد وإنما هذا اختلاف تنوع.

{**وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**} ختمت هذه الآية بأن الله جل وعلا ذو (بمعنى صاحب) الفضل وصاحب الإحسان على عباده كما قال جل وعلا (وما بكم من نعمة فمن الله) فالله جل وعلا هو المتفضل المحسن على عباده نسأل الله جل وعلا أن يكرمنا بفضله.

الآية التي بعدها (١٠٦) من سورة البقرة

هي قوله تعالى {**مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئَهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}

◀ سبب نزول هذه الآية

وهي آية عظيمة والمفسرون لهم كلام كثير حول هذه الآية لكن نوجز الكلام فيما يرتبط بها بنقاط ومسائل ستأتي إن شاء الله تعالى :

١. أن يهود قالت لما نسخت القبلة، عندما كانت القبلة إلى بيت المقدس ثم حولت بأمر الله تبارك وتعالى في قوله تعالى {**قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**}

حولت بعد ذلك إلى الكعبة المشرفة، فاليهود لما حولت القبلة قالوا إن محمدا يحل لأصحابه إذا شاء ويحرم عليهم إذا شاء فنزلت الآية، قالوا إن محمدا إذا أراد شيئا قال مرة هنا، وإذا أراد أن يجرم قال هكذا، فكان الدين تلاعب وكأن الدين هو الذي يغير فيه ويبدل حاشاه عليه الصلاة والسلام، {**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**}.

٢. وهناك رواية أخرى توضح هذا، وهو أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة وطعنوا في الإسلام بذلك، وقالوا إن محمدا يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه، فما كان هذا القرآن إلا من جهته، قالوا إن هذا القرآن ليس من الله ولكنه من محمد صلى الله عليه وسلم، ويناقض بعضه بعضا، فأنزل الله الآية.

❖ مفردات هذه الآية والمسائل المرتبطة بها

قوله تعالى {**مَا نَنْسَخُ**} قال الزجاج: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، وأيضا له معاني كثيرة ستأتي إن شاء الله، تقول العرب نسخت الشمس الظل إذا أذهبته وحلت محله.

وفي المراد بالنسخ ثلاثة أقوال:

- القول الأول: أنه رفع اللفظ والحكم، أن تنسخ الآية لفظا وحكما.
- القول الثاني: أنه تبديل الآية بغيرها، روي هذا والذي قبله عن ابن عباس رضي الله عنهما.
- القول الثالث: رفع الحكم مع بقاء اللفظ، يعني أن الآية تتلى في كتاب الله عز وجل ولكنها منسوخة، رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود.

قوله تبارك وتعالى {**مَا نَنْسَخُ**} فيها قراءتان:

القراءة الأولى: قرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين {**مَا نَنْسَخُ**} قال أبو علي الفارسي في كتابه (الحجة في القراءات السبع) وهنا أحب أن أقول فائدة مهمة لطالب العلم يجب أن يعرف طالب العلم كتب القراءات السبع التي توثق منها القراءة وهي كثيرة من أشهرها:

○ أولا: ((كتاب السبعة)) لابن مجاهد لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد.

- **ثانياً:** ((التبصره في القراءات السبع)) لمكي بن أبي طالب القيسي.
- **ثالثاً:** في العشر هناك كتاب ((النشر في القراءات العشر)) لأبن الجزلي.
- **رابعاً:** هناك ما هو أوسع في القراءات الأربعة عشر ((إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر)).
- **خامساً:** هناك كتب لتوجيه القراءات من ناحية الإعراب وكذا هناك كتاب ((الكشف عن وجوه القراءات السبع)) لمكي بن أبي طالب القيسي.

○ **سادساً:** كتاب ((الحجة في القراءات السبع)) لأبي علي الفارسي.

○ **سابعاً:** ((حجة القراءات)) لابن زنجلة، وأيضاً كتب التفسير عموماً تعنى بتوجيه القراءات ما بين مقل ومكثر.

المهم هذه القراءة وهي قراءة بن عامر { **مَا نُنَسِّخُ** } **القراءة الثانية:** **قرأ الباقون بالفتح { مَا نُنَسِّخُ }** وهما قراءتان سبعيتان ثابتتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله تبارك وتعالى { **أَوْ نُنَسِّهَا** } فيها قراءتان: **القراءة الأولى:** **قرأ ابن كثير وأبو عمرو { نُنَسَّأَهَا }** أي نؤخرها، قال أبو زيد تقول العرب: نسأت الإبل عن الحوض، فأنا أنسوؤها، إذا أخرتها، ومنه النسيئة في البيع.

وفي معنى هذه القراءة ثلاثة أقوال:

- **القول الأول:** أي نؤخرها عن النسخ فلا ننسخها وقد ذكره الفراء.
- **القول الثاني:** أي نؤخر إنزالها فلا ننزلها البتة، وقد ذكر هذا أبو علي الفارسي
- **القول الثالث:** أي نؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها، وقد ذكر هذا أبو علي الفارسي.
- **وقرأ الباقون { أَوْ نُنَسِّهَا }** بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة، المعنى **نُنَسِّهَا** أي من النسيان.

قال تبارك وتعالى { **تَأْتٍ بِخَيْرٍ مِّنْهَا** } أي بالين منها وأيسر، كما سيأتي بأنواع النسخ أنه قد يكون من الأثقل إلى الأخف، أي بالين منها وأيسر على الناس قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

قوله تعالى { **أَوْ مِثْلَهَا** } أي في الثواب والمنفعة وتكون الحكمة للابتلاء والاختبار وهذا نوع من أنواع النسخ أن ينسخ إلى مثل، يعني إلى بدل ليس إلى أخف ولا إلى أثقل بل إلى مثله.

هنا مسائل أحب أن أذكرها في باب النسخ وعلم الناسخ والمنسوخ، من العلوم المهمة في علوم القرآن الكريم فيه مؤلفات مستقلة وهو يدرج ضمن علوم القرآن الكريم "الناسخ والمنسوخ" للنحاس "نواسخ القرآن" لابن الجوزي وكتب كثيرة، وأيضاً هو يوجد كعلم من علوم القرآن الكريم فالعلماء يقولون النسخ من العلوم المهمة لا يستغني عن معرفته العلماء لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام ومعرفة الحلال والحرام، ويذكر العلماء أن علياً رضي الله عنه دخل المسجد يوماً فرأى رجلاً يقص، فسأله وقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت، وأمر به أن يخرج من المسجد، فكيف يفتي للناس ويعلمهم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ، قال: هلكت وأهلكت ثم أمر به فأخرج من المسجد، وروي هذا أيضاً عن ابن عباس.

← **مسألة أخرى العلماء يقولون النسخ في كلام العرب على وجهين:**

المعنى الأول: إما نقل يعني يكون بمعنى النقل، كنقل كتاب من آخر، وعلى هذا يكون القرآن كله منسوخاً، أي من اللوح المحفوظ وإنزاله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وهذا لا مدخل له في الآية، ومنه قوله تبارك وتعالى { **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** } أي نأمر بنسخه وإثباته، يعني القرآن كله منسوخ على هذا، وهو إنزاله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة، وهذا

مذكور في علم نزول القرآن الكريم.

المعنى الثاني: بمعنى الإبطال والإزالة وهو المقصود هنا في هذه الآية، يعني ليس إبطال الكلام، بل تحويله من شيء إلى شيء.

وهم يقولون أيضاً أن هذا النوع ينقسم إلى قسمين:

▪ **القسم الأول:** زوال الشيء وإقامة آخر مقامه، أن يزال حكم ويؤتى بحكم آخر، وهذا أيضاً له أصل في اللغة، ومنه ما ذكرت آنفاً، قول العرب نسخت الشمس الظل إذا أذهبتة وحلت محله، وهو معنى قوله تعالى {مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا}

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: النسخ نسخ الكتاب، والنسخ أن تزال أمراً كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بآخر، كالأية تنزل بأمر ثم تنسخ بأخرى.

▪ **القسم الثاني:** إزالة الشيء دون أن يقوم آخر مقامه، كقولهم نسخت الريح الأثر، ومن هذا المعنى قوله تبارك وتعالى {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} أي: يزيله فلا يتلى ولا يثبت في المصحف بدلاً، يعني ينسخ الشيء فلا يبقى مثل أن تأتي الريح كما هو أصل في اللغة تزال الأثر، إذا أزالته فلا يبقى شيء بعده.

← هنا مسألة أخرى وهي: من الناس من أنكروا النسخ وهم طوائف من المتكلمين ومنهم المعتزلة، وقالوا: إنه لا يجوز ولا يقع في هذه الشريعة، وهم محجوجون بالأدلة بوقوعه بالكتاب والسنة وكلام السلف رحمهم الله، أيضاً اليهود يزعمون أنه لا نسخ وأنه لا يقع النسخ ولهم في ذلك حجج وشبه باطلة بينها أهل العلم، ولله جل وعلا الحكمة والأمر من قبل ومن بعد، فالنسخ فيه حكم ومصالح وأيضاً النسخ عندهم وجد في التوراة أن عندهم نسخ فهذا بلا شك تناقض وتعارض منهم.

← هنا مسألة اختلف العلماء في الأخبار هل يدخلها النسخ؟ أم لا؟ الجمهور على أن النسخ إنما هو مختص بالأوامر والنواهي أما الخبر فلا يدخل النسخ، الخبر هو القصص أو الحديث عن شيء معين هذا لا يدخل فيه النسخ، وإنما هو في الأوامر والنواهي، أما الأخبار فلا نسخ فيها، ولكن قد يتجاوز في بعض الأمور أو إذا تضمن حكماً شرعياً جاز نسخه، ويضربوا لهذا مثلاً إذا صح مثل هذا في قول الله تبارك وتعالى {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} فيقول العلماء: إن هذه أول آية كانت بالخمير، أن الله جل وعلا امتن على عباده أنه من الثمرات يأكلون ويشربون ويتخذون منها سكرًا، يعني السكر، ثم بعد ذلك جاءت الآية في سورة البقرة {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ} هذه المرحلة الثانية، ثم الثالثة جاءت في سورة النساء {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}، ثم المرحلة الرابعة التحريم النهائي {فَاجْتَنِبُوا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ}

من يرى أن تحريم الخمر مرت بأربعة مراحل يدرج هذا الأمر في الآية {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} هذا رأي، والصحيح: أن النسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي، أما الأخبار فليس فيها نسخ، إلا إذا

تضمنت حكماً شرعياً فيمكن أن يقال هذا ويستدل بهذه الآية في سورة النحل.

← هنا مسألة وهو أن طالب العلم يقرأ دائماً في كلام السلف التخصيص، ويُطلق عليه السلف هنا نسخاً، ولكن المراد به هنا "التخصيص" ومعروف عندنا في أصول الفقه وأيضاً في علوم القرآن الخاص والعام والمطلق والمقيد.

جملة من سلفنا رحمهم الله كانوا يطلقون على التخصيص نسخاً، وفي الحقيقة إذا محصنا النظر وتأملنا كثيراً لا نجد أن هناك النسخ بمعنى النسخ الاصطلاحي وإنما هو التخصيص، فيجب أن يعرف طالب العلم المصطلحات والمراد بها، لأنها مهمة في حياته العلمية وحياته العملية أيضاً، فسلفنا رحمهم الله كانوا يطلقون على التخصيص نسخاً وفي الحقيقة أنه تخصيص

وليس نسخا.

❖ أحوال وأنواع النسخ:

١، أن هناك نسخ الأثقل إلى الأخف، ويضربون لهذا مثلا من القرآن بنسخ ثبوت العشرة لاثنين، يعني أن الإنسان يثبت أمام عشرة كما جاء في سورة الأنفال ثم نسخ أنه يثبت الشخص لاثنين، قديما كان صعبا كيف يثبت الإنسان أمام عشرة، خفف إلى أن يثبت شخص أمام اثنين.

٢، نسخ الأخف إلى الأثقل، النبي صلى الله عليه وسلم رأى اليهود يصومون عاشوراء فسألهم، فقالوا هذا يوم نجي الله فيه موسى بن عمران من فرعون فنحن نصومه شكرا لله، فقال عليه الصلاة والسلام: (نحن أحق بموسى منكم) فصامه وأمر الناس بصيامه، فأخذ العلماء أن صيام يوم عاشوراء كان مأمورا به أول الإسلام ثم نسخ بصيام رمضان، وصيام رمضان لاشك أنه أطول وفيه جهد ومشقه أكثر.

٣، قد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة مثل النسخ من التوجه من البيت المقدس إلى الكعبة.

٤، قد ينسخ الشيء إلى لا شيء، ولا يعطى الناس حكما بعده، أي ينسخ إلى غير بدل، كما يقول العلماء مثل نسخ صدقة النجوى في أول الإسلام كان أحدهم لا يستطيع أن يناجي الرسول صلى الله عليه وسلم ويتكلم معه حتى يقدم صدقة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ جُؤَاكُمُ صَدَقَةٌ} بعد ذلك نسخت، فكان الصحابة يتناجون مع الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يقدموا صدقة.

٥، قد تنسخ التلاوة والحكم كآية الرجم.

٦، قد تنسخ التلاوة والحكم معا ومنه قول الصديق رضي الله عنه كنا نقرأ [لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر] والأمثلة كثيرة.

العلماء قالوا كيف أعرف الناسخ وكيف نتوصل إلى معرفة النسخ؟

١) قالوا منها أن يكون في اللفظ ما يدل عليه، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها) إذن هذا نسخ وكان قبل نهى والآن، أمرنا بزيارة المقابر فإنها تذكركم الآخرة والله المستعان.

٢) أن يذكر الراوي التاريخ يذكر مثلا أن هذا في السنة الثالثة للهجرة ثم جاء في السنة الخامسة، من الهجرة أو السابعة من الهجرة هذا اتضح والله الحمد.

٣) (أن تجميع الأمة) و(الأمة لا تجتمع على ضلالة) تجمع على أن هذه الآية نسخت بآية أخرى أو هذا الحديث نسخ بحديث آخر واللهم لك الحمد.

والعلماء في كتب الناسخ والمنسوخ وفي كتب علوم القرآن توسعوا في هذا كثيرا، أختتم هذه الحلقة بختام الآية وهو قوله تبارك وتعالى {نَأْتٍ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا} المقصود هنا بلفظة خير التفضيل يعني يأتي الله جل علا بأفجع لكم أيها الناس إن عاجلا، بحيث أن يكون النسخ إلى أخف، وفي الآجل إذا كان النسخ إلى أثقل، أو كانت متساوية، بخير منها: إذا كان إلى أخف فهذا حصوله في الدنيا ويحتسبون الأجر عند الله، وإن كان إلى أثقل فهم يحتسبون الأجر عند الله في الآخرة وأيضا في الدنيا وما يعملونه، أو مثلها، فالحمد لله، فهذا يكون الأمر متساوي والأمر لله سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد.

وهناك رأي آخر يقول: أن "خير" ليست للتفضيل لأن كلام الله جل وعلا لا يتفاضل وإنما هو مثل قوله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله خير منها، وفي ختام الآية يقول جل وعلا {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فالأمر لله من قبل ومن

بعد شرع هذا وشرع هذا وهو اللطيف بعباده الرحيم بهم.

الحلقة (١٠)

موضوع الحلقة / تفسير الآيات (١٠٧، ١٠٨، ١١٤) من سورة البقرة

يقول تبارك وتعالى { **أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ١٠٧ } قوله تعالى { **أَلَمْ تَعْلَمَ** } هذا الفعل جُزم بلم وهو مجزوم بالسكون، والاستفهام هنا للتقرير والتوقيف.

يعني هذا تقرير لبيان عظمة الله، ومن عظمته ملكه للسموات والأرض، وأنه ليس لنا من دون الله جل وعلا ولي ولا نصير، وفتحت { **أَنَّ** } ولم تكسر لأنها في موضع نصب، وإذا كانت في موضع نصب فهذا من مواضع فتح همزة أن، وقوله تعالى { **أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** } أي خلقها وله ملكها سبحانه وتعالى وسلطانه وأمره نافذ فيها، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته، والمراد أمته، هذا يجب أن يُعلم ويؤمن به العبد أن الله له ملك السموات والأرض وهي من خلقه، وهي أعظم من خلق الناس، كما قال تبارك وتعالى { **خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ** } وأعظم مخلوقات الله العرش، وقيل المعنى أي قل لهم يا محمد ألم تعلموا أن الله سلطان السموات.

قوله تبارك وتعالى { **وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ** } { **مِنْ وَلِيٍّ** } ولي هو من وليت أمر فلان أي قمت به، ومنه ولي العهد أي القيم بما عهد إليه من أمر المسلمين، إذن من ولي أي من قائم ومن حافظ وراع، { **مِّنْ دُونِ اللَّهِ** } أي سوى الله، وبعد الله، أي هل لكم بعد الله وسوى الله ولي يقوم بأموركم ويحفظكم، وأيضا نصير ينصركم ممن بغى عليكم ويرعاكم ويجوكم.

الآية التي بعدها رقم (١٠٨) يقول تبارك وتعالى { **أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** } يقول المفسرون { **أم** } هذه هي المنقطعة، هناك نوعان لـ { **أم** } منقطعة ومتصلة، هذا في علم النحو، هنا "أم" منقطعة بمعنى "بل" أي: "بل تريدون أن تسألوا رسولكم" ومعنى الكلام: التوبيخ، يعني "هل تريدون أن تسألوا رسولكم وتكثروا عليه المسائل، اختلف في المخاطبين بهذه الآية قيل "قريش"، وقيل "اليهود"، وقيل "جميع العرب". وقوله تعالى { **كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ** } لا شك أن قوم موسى أثقلوا عليه الأسئلة وسألوه أشياء لم يكن لهم أن يسألوها، فمن سألهم إياه أن يريهم الله جهرة، وهذا بلا شك سؤال لا يحق لهم، وأيضا سألوا نبينا صلى الله عليه وسلم أن يأتي بالله والملائكة قبيلا، هذا سأله المشركون ووقع منهم، وأيضا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقلب جبل الصفا ذهابا، وهذا أيضا من التعنت ومن المشقة يريدون الإحراج، وحاشاه عليه الصلاة والسلام أن يخرج في مثل هذا بل الأمر لله.

قوله تعالى { **فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** } المراد بكلمة { **سواء** } **هنا قولان** :

- **القول الأول**: أنه بمعنى الوسط، **يعني فقد ضل الوسط، وخير الأمور أوسطها، فهذا قول صحيح**، إذن { **فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** } يعني فقد ضل الطريق الوسط الصحيح، وهذا القول قاله أبو عبيدة معمر بن مثنى المعروف كتابه مجاز القرآن.
- **القول الثاني**: أنه بمعنى القصد يعني فقد ضل قصد السبيل، أي فقد ضل الطريق الواضح، سواء هنا بمعنى القصد، وهذا قول الفراء، أي ذهب عن قصد الطريق وسمته وهو طريق طاعة الله جل وعلا، ولذلك يقول الحافظ بن كثير رحمه الله "أي فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال، وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء وأتباعهم والانقياد لهم إلى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها"، ولو كان السؤال فيه فائدة فمفتاح العلم السؤال، { **فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** } أما الأسئلة التي فيها تعنت ومشقة وإحراج هذا الذي لا فائدة فيها كما قال تعالى

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنسَوْنَ الْقُرْآنَ} بسبب هذه التعنتات وهذه المشاقات لأنبيائهم ورسولهم.

وقد ذكر الحافظ بن كثير رحمه الله في موضع آخر قول الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلَ لَكُمْ} وأيضا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته) ولما خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس ذات مرة فقال (أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا) فقام رجل فقال: يا رسول الله أكل عام فسكت عليه الصلاة والسلام ولم يجبه، وقال: (أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا) فسأل الرجل مرة أخرى وقال: أفي كل عام يا رسول الله فسكت، وفي الثالثة قال عليه الصلاة والسلام: (لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم، ذروني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرت مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم)، فالإنسان يحذر، نعم النبي صلى الله عليه وسلم مات والدين كُمل ونعمة الله تمت، ولكن ينبغي على الإنسان أن لا يكثر من الأسئلة التي لا مصلحة فيها ولا فائدة منها، حيث جاء النهي عنها في هذه الآية الكريمة، والاستفهام هنا كما هو واضح فيه إنكار وفيه توبيخ لمن يسألون هذه الأسئلة التي لا مصلحة فيها، يقول تبارك وتعالى {يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ}.

وختاما في تفسير هذه الآية ذكر المفسرون في سبب نزولها أن رافع بن خزيمة ووهب بن زيد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إئتنا بكتاب من السماء نقرأه، وفجر لنا أنهار نتبعك، فنزلت الآية فيهم وفي غيرهم.

تفسير الآية (١١٤) من سورة البقرة

وهي قول الله عز وجل {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيًا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

اختلف في المراد بالمساجد هنا {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ} أولا ومن أظلم أي لا أحد أظلم، وهذا أسلوب دائما يتكرر في القرآن، أي لا أحد أظلم، ماذا عمل؟ ماذا صنع؟ أن يمنع المسلمين المؤمنين من مساجد الله تبارك وتعالى أن يذكر فيها اسمه وتعمر بطاعة الله وبذكره من صلاة وقراءة ومجالس علم وغير ذلك.

المساجد هنا اختلف فيها فقيل أن المراد بالمساجد على ثلاثة أقوال

- **القول الأول:** أن المراد المسجد الأقصى.
- **والقول الثاني:** أن المراد المسجد الحرام مسجد الكعبة.
- **والقول الثالث:** أنها المساجد عموماً وهذا هو الصحيح ولا شك أن القول الأول والثاني يدخلان في القول الثالث، المسجد الأقصى أو المسجد الحرام أو المساجد عموماً هذه الأقوال كلها صحيحة.

اختلف أيضا من الذين منعوا مساجد الله؟ من الذين عنوا بهذه الآية؟ وهي بلا شك عامة على كل حال إلى قيام الساعة، لكن بداية من الذين نزلت فيهم؟ على قولين:

- **القول الأول:** أنهم النصارى، قاله ابن عباس وقاله أيضا مجاهد، كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه، قال قتادة هو بخت نصر وأصحابه خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى.
- **القول الثاني:** قال ابن زيد هم المشركون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حالوا بين رسول الله يوم الحديبية وبين أن

يدخل مكة هو وأصحابه، حتى نحر هديه وهادنهم وقال لهم ما كان أحد يُصد عن البيت، وقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فلا يصد، قالوا لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق، فردوه عليه الصلاة والسلام، يقول ابن عباس أن قريشا منعوا النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام فأنزل الله **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ}** وهذه الآية تعم من منع وصد الناس عن ذكر الله وسعى في خراب بيوت الله فهو متوعد بهذه الآية العظيمة، لكن الكلام هنا فيمن نزلت فيهم أولاً:

ابن جرير الطبري رحمه الله **يرجع القول الأول** ويحتج في أن قريشا لم تسع في خراب الكعبة، وأنها كانت تعظمها وتحترمها وأما الروم فهم الذين سعوا في تخريب بيت المقدس هذا اختيار ابن جرير الطبري.

والحافظ ابن كثير **اختار القول الثاني** وهو أن الآية نزلت بداية في كفار قريش الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام، يقول الحافظ ابن كثير "أنه تعالى لما وجه الهم في حق اليهود والنصارى، شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنعوه من الصلاة في المسجد الحرام" رد ابن كثير على ابن جرير "وأما اعتماده، هو يتكلم عن الطبري، أن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة، فأبي خراب أعظم مما فعلوا أخرجوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستحذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى **{وَمَا لَهُمْ آلًا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}** وقال سبحانه **{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}**.

المهم هذا ترجيح ابن كثير يقول كونهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخول المسجد الحرام هذا هو أعظم الخراب، ليس المقصود بالخراب أنهم ينقضون الأحجار ويهدمون الجدران ويوسخونها بالدنس وغير ذلك، بل هناك أعظم من الخراب وهو أن تمنع الناس من أن يدخلوا المسجد الحرام أن يؤدوا الصلاة فيه، أن يطوفوا بالكعبة، وأنكم الآن إن لم تدنسوها بالأقذار أو غير ذلك، لكنكم دنستموها بهذه الأصنام، ومعروف أن قريش جعلت حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً ولما جاء عام الفتح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربها بعضاً ويقرأ الآية **{ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ }** فكانت تنهاوى أمامه **والله أعلم كأن قول الحافظ ابن كثير هو الأقرب.**

قوله تبارك وتعالى **{أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ}**

هذا الأسلوب يقول عنه المفسرون هو: خبر معناه الطلب، ظاهره إخبار أن الله جل وعلا يخبرنا أنه لا يدخلها هؤلاء المشركون إلا خائفين، لكن معناه الطلب، فيه أمر فيه شيء؟ ما التقدير؟ التقدير أي لا تمكنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها إلا خائفين، ونستفيد نحن من ذلك أننا لا نتمكن هؤلاء المشركين من دخول مساجد الله ومنها المسجد الحرام أو المسجد النبوي، مثلاً، إلا خائفين.

ولذلك لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر من العام القابل في سنة تسع لما حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس أن ينادى في رحاب منى ألا لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان له أجل فأجله إلى مدته، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وبعد ذلك انقطع وما صار يدخلون كما قال تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}** الآية فلا شك أن في هذه الآية فيها بيان حكم شرعي وفيها تهديد لهؤلاء أن لا يقربوها وأن لا يدخلوها وأن لا يمكنوا منها.

بعض المفسرين يذهب إلى أن في هذه الآية بشارة للمسلمين، في قوله تعالى **{أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ}** أنه

سيظهرهم وينصرهم وتكون لهم الغلبة على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد، لأنه في فترة من الزمن ما كان لهم سلطة على مكة، حتى فتحت في عهد رسول الله في السنة الثامنة من الهجرة، وأنه سيدل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم إلا خائفا يخاف أن يؤخذ فيعاقب، أو يقتل إن لم يسلم، وقد أنجز الله هذا الوعد، وأوصى رسوله أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان، وأن تجلى اليهود والنصارى منها إلى غير ذلك، ثم يقول بعضهم وما ذلك إلا تشريفا لبيوت الله وإعلاء لشأنها وقدرها، وهذه الآية فيها بشرى، وطمأنة، وفيها بيان أن أمر الله غالب وأن الدين سينتشر، وهذا وعد الله وهو القائل { **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** }.

قوله تعالى: { **أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** } أخبر الله جل وعلا بأمرين هنا في حق هؤلاء الذين خربوا مساجد الله ومنعوا أن يذكر فيها اسمه **وَوَعَدُوا بِأَمْرَيْنِ:**

الأمر الأول: أن لهم في الدنيا خزي، **والأمر الثاني:** أن لهم في الآخرة عذاب عظيم.

- **أما الأمر الأول:** فلهم في الدنيا خزي، لأن الجزء من جنس العمل، فكما أنهم صدوا رسول الله وأصحابه عن المسجد الحرام صدوا عنه هم أيضا، ولم يمكننا من دخول مكة بعد ذلك، وكما أجلوهم من مكة أيضا وأهانوهم وحصل لهم من المشقة والتعب وبدلوا رضي الله عنهم، أيضا حصل لهؤلاء المشركين من الذلة والصغار **ودخلها رسول الله وأصحابه وأقاموا** فيها وأعلت فيها كلمة التوحيد، وهذا نوع من الخزي الذي لحقهم، ولو حصل مثل هذا في وقتنا الحاضر، فإن هؤلاء الذين قد يمنعون الناس ويصدونهم عن ذكر الله ويسعون في خراب بيوت الله لهم خزي ولهم ذلة،

كيف تكون؟ هذا أمر الله في كل زمان وفي كل مكان، أمره نافذ وأحواله وصوره متنوعة، لكن بلا شك هذا يتضمن وعيدا وتهديدا لمن تسول له نفسه أن يجروا على بيوت الله، التي هي خير البلاد وخير المواقع كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

- **والأمر الثاني:** أيضا لهم في الآخرة عذاب عظيم وهذا هو الوعيد الآخر على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتهنوه، سواء كان هذا في المسجد الحرام من نصب الأصنام حوله ودعاء غير الله عنده والطواف به عريانا وغير ذلك من الأفاعيل التي يكرهها الله ورسوله، وكان **الحمص أهل مكة لا يطوفون**، ولكن إذا جاء رجل أو امرأة إن كان يعرف أحدا من الحمص أعطاه ثوبا له فطاف به، لكن إذا لم يعرف أحدا فإنه يطوف بالبيت عريانا، وهذا بلا شك في غاية الجهل والسفول، نسأل الله العافية والحمد لله على نعمة الإسلام ونعمة الإيمان.

ختاما ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو الله جل وعلا بدعاء عظيم نختم به هذه الحلقة رواه الإمام أحمد عن بسر بن أرطاة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو (اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجْرِنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ) وهذا حديث حسن كما قال عنه الحافظ ابن كثير، وقد رواه الإمام أحمد في مسنده، وخير الدعاء كما قال العلماء ما جاء في كتاب الله وما ثبت عن رسوله، الذي أوتي جوامع الكلم، ما علم خيرا إلا دل أمته عليه، ولا علم شرا إلا حذرنا منه، صلى الله عليه وسلم.

الحلقة (١١)

موضوعها تفسير الآيتين رقم (١١٥ و ١٤٢) من سورة البقرة

يقول البارى تبارك وتعالى { **وَاللَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** } ١١٥ قوله تعالى { **وَاللَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** } أي هما ملك له وما بينهما من الجهات والمخلوقات، وخصهما بالذكر والإضافة إليه تشريفا، مثل بيت الله ونحو ذلك، ولأن سبب الآية اقتضى ذكرها، وقد اختلف العلماء من المفسرين وغيرهم في المعنى الذي من أجله نزلت هذه

الآية على أقوال:

• **القول الأول:** أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم، وقد كان رسول الله يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه، فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفه الله إلى الكعبة، ولهذا يقول تعالى {**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ** **وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**} يعني سواء على القبلة القديمة أو على القبلة التي وجهك الله لها بعد ذلك، وقد روى أبو عبيد القاسم ابن سلام في كتاب النسخ والمنسوخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (أول ما نسخ لنا من القرآن فيما ذكر والله أعلم شأن القبلة قال تعالى {**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**} فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق، ثم صرفه إلى بيته العتيق ونسخها فقال {**قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**} انتهى كلامه رضي الله عنه.

وقوله تباك وتعالى {**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**} يقول ابن عباس: أي قبلة الله، أينما توجهت شرقاً أو غرباً، وقال مجاهد حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها، الكعبة.

• **القول الثاني:** قال ابن جرير - رحمه الله - تعالى قال آخرون بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه إلى الكعبة، وإنما أنزلها ليُعلم نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاؤوا من نواحي المشرق والمغرب، لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك ولا ناحية إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجوه وتلك الناحية، لأن له تعالى المشارق والمغارب، قالوا ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم إلى المسجد الحرام.

• **القول الثالث:** قال آخرون بل نزلت هذه الآية على رسول الله إذذن من الله جل وعلا أن يصلي المتطوع حيث توجه من شرق أو غرب في مسيره في سفره، وفي حال المسايقة وشدة الخوف، أي أن هذه الآية {**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ**} في حق صلاة التطوع، يصلي حيث شاء إذا كان مسافراً، وأيضاً يدخل في هذا في حالة الحرب الشديدة {**فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا**} في حال المسايقة واشتداد الحرب، فلا يلزم المصلي في استقبال القبلة بل يصلي حيث شاء، واستدل أصحاب هذا القول بما رواه ابن عمر أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته، أي أن هذا في النافلة وفي السفر، يصلي النافلة إذا كان مسافراً حيث توجهت به راحلته، ويذكر أن رسول الله كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية {**أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**} رواه البخاري ومسلم، وفي صحيح البخاري من حديث نافع عن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها ثم قال: فإن كان خوف أشد من ذلك صَلَّوْا رِجَالًا قِيَامًا عَلَى أقدامهم وركباناً مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، قال نافع ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

إذن هذه الآية {**لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ**} محمولة على هذا القول أما في صلاة النافلة إذا كان مسافراً يصلي حيث توجهت به راحلته، أو في حال اشتداد الخوف في حال المعركة، عندما لا يستطيع المسلمون إقامة صلاة الخوف بل كل يصلي وحده، يصلي حيث توجه.

• **القول الرابع:** قال آخرون نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة، ناس خرجوا في الصحراء ولا يعرفون أين القبلة عميت عليهم، فلم يعرفوا شطرها، يعني وجهتها، فصلوا على أنحاء مختلفة فقال الله تعالى: لي المشارق والمغرب فأين وليتم وجوهكم فهناك وجهي وهو قبلتكم، وإن صلاتكم ماضية، واستدلوا بما رواه عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله في ليلة سوداء مظلمة، فنزلنا منزلاً، فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجداً يصلي فيه فلما، أن

أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة، فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه إلى غير القبلة، فأنزل الله تعالى **{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ}** رواه الترمذي وابن ماجه.

والحقيقة أن هذا قول صحيح، لو أن إنسانا اجتهد في صحراء ولم يعرف التوجه إلى القبلة، أو في ليل ولم يعرف التوجه إلى القبلة، وصلى ولما أصبح تبين أنه صلى إلى غير القبلة فصلاته صحيحة والله الحمد، قال الحافظ ابن جرير رحمه الله: "ويحتمل فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي أستجيب لكم دعائكم"، قال مجاهد لما نزلت **{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}** قالوا إلى أين؟ فنزلت **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ}** فهذا أيضا قول صحيح أن الآية تحمل على الدعاء أن الإنسان يدعوا ربه حيث أراد، شرقا غربا شمالا جنوبا إلى أي جهة، ولكن بلا شك العلماء رحمهم الله ذكروا من آداب الدعاء أن يستقبل الداعي القبلة، هذا أدب ومستحب، لكن كون الناس يلزمون به هذا ليس صحيح **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ}**، والحقيقة أن الآية ظاهرها في الصلاة وليست في الدعاء ولكنها تعتبر دليلا لمن يقول أن من آداب الدعاء التوجه إلى القبلة وهذا هو الصحيح أن من آداب الدعاء التوجه إلى القبلة.

قوله تبارك وتعالى **{إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}** أي يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والإفضال، وهو القائل سبحانه **{ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ }** وقوله تعالى **{ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا }**.
قوله تعالى **{إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}** عليم أي عليم بأعمالهم ما يغيب عنه منها شيء ولا يعزب عن علمه مثقال ذره بل هو بجميعها عليم.

الآية (١٤٢) من سورة البقرة:

يقول جل وعلا **{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**.

روى الأئمة واللفظ لمالك عن ابن عمر قال (بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت، فأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا على الكعبة) يعني كانوا وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة، قيل في صلاة الظهر وقيل أنها صلاة العصر وسيأتي لهذا بيان.

◀ سبب نزول الآية :

ما رواه البخاري عن البراء رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت "يعني الكعبة"، وأنه صلى الله عليه وسلم صلى أول صلاة العصر وصلى معه قوم، وهذا دليل أن الصلاة صلاة العصر، فخرج رجل مما كان صلى مع النبي فمر على أهل المسجد وهو ما يسمى الآن بمسجد القبليتين وهم راعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا، لم ندر ما نقول فيهم، يعني فيه ناس قتلوا استشهدوا أو ماتوا قبل أن تحول القبلة، ماذا يقول البراء رضي الله عنه، لا ندر ما نقول فيهم فأنزل قول الله عز وجل **{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ }** والمقصود بالإيمان هنا: الصلاة، كما سيأتي إن شاء الله، في هذه الرواية أنها صلاة العصر وفي رواية أخرى أنها صلاة الصبح، جاء هذا عند الإمام مالك رحمه الله وروى أيضا أنها صلاة الظهر والله أعلم، **ولكن الأرجح والله أعلم** كما رجحه كثير من المفسرين أنها صلاة العصر.

قوله تعالى **{ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ }** السفهاء جمع سفيه وهو: خفيف العقل، من قولهم ثوبٌ سفيه إذا كان خفيف

النسخ، وقال المؤرخ: السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم، وقال قطرب: الظلوم الجهول، والمراد بالسفهاء هنا: اليهود، الذين قالوا بالمدينة ما قالوا، وقيل أن المراد بالسفهاء: المنافقون، وقال الزجاج كفار قريش لما أنكروا تحويل القبلة قالوا قد اشتاق محمد إلى مولده، وعن قريب يرجع إلى دينكم، وقالت اليهود قد التبس عليه أمره وتحير، وقال المنافقون ما ولاهم عن قبلتهم واستهزءوا بالمسلمين، الله جل وعلا أخبر أنه سيقول السفهاء من الناس، سيأتي كلام لك يا محمد صلى الله عليه وسلم ولأصحابك من هؤلاء السفهاء، سواء قلنا هم كفار قريش فقد قالوا إن محمداً قد اشتاق إلى بلده مكة وهي الأصل، فاشتاق وتوجه إليها وقريب سترك دينه ويرجع إليكم، وهناك قول آخر من قال أنهم اليهود قالوا التبس عليه دينه وبدأ يتحير ويختار مرة هنا ومرة هناك إذن عنده التباس وحيره، المنافقون جعلوها باب للسخرية والاستهزاء بالمؤمنين وهذا كله باطل.

قوله تبارك وتعالى: { مِّنَ النَّاسِ } { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ } لماذا خص السفهاء بقولهم من الناس؟

قال المفسرون: لأن السفه يكون في الجمادات والحيوانات لأنها لا تعقل ولا تفهم، لكن المقصود من الناس، وأيضا ليس كل الناس وإنما جملة منهم، قوله تعالى { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ } قوله { ولاهم } أي عدلهم وصرافهم، هنا قد اختلف العلماء في كيفية استقباله بيت المقدس على ثلاثة أقوال، في الأصل كان عليه الصلاة والسلام يستقبل بيت المقدس كيف كان يستقبله هل كان بوحي؟ هل أخذه عن طريق ملة إبراهيم عليه السلام الحنيفة؟ فيه أقوال:

• **القول الأول:** قال الحسن كان ذلك منه عن رأي واجتهاد.

• **القول الثاني:** أنه كان مخيرا بين بيت المقدس وبين الكعبة، فاختر القديس طمعاً في إيمان اليهود واستمالتهم، قاله الطبري وقال الزجاج امتحاناً للمشركين لأنهم ألفوا الكعبة.

• **القول الثالث:** وهو الذي عليه الجمهور ومنهم ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام استقبل بيت المقدس بأمر الله ووحيه وهذا هو الصحيح، ثم نسخ بعد ذلك وأمره أن يستقبل بصلاته الكعبة، واستدلوا بقوله تعالى { وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ } جعلنا أي أن الله هو الذي وجهه إلى بيت المقدس، فليست المسألة اجتهاد ولا اختيار وإنما بوحي من الله واستدلوا بهذه الآية وهي واضحة الدلالة على هذا الأمر.

← وهنا مسألة، اختلف العلماء حين فرضت الصلاة على النبي وكان بمكة، هل كانت إلى بيت المقدس؟ أو كانت إلى الكعبة؟ يعني النبي فرضت عليه الصلاة وهو في مكة، السؤال الآن لما كان في مكة هل كان يتوجه إلى الكعبة أو كان يتوجه إلى بيت المقدس؟ على قولين:

١، قالت طائفة كان يتوجه إلى بيت المقدس ثم استمر على ذلك وهو في المدينة ثم نسخ ورجع إلى الكعبة.

٢، قال آخرون أول ما فرضت الصلاة عليه إلى الكعبة ولم يزل يصلي إليها طول مقامه بمكة على ما كان عليه صلى الله عليه وسلم، فلما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس ثم بعد ذلك صرفه الله إلى الكعبة، والحافظ ابن العربي رجح هذا القول وقال هذا أصح القولين عندي، وذلك أن النبي لما قدم المدينة أراد أن يستألف اليهود فتوجه إلى قبلتهم ليكون ذلك أدعى لهم، فلما تبين له عنادهم وأيس منهم أحب أن يحول إلى الكعبة فكان ينظر إلى السماء والله أعلم، الحقيقة أن الترجيح بين القولين يحتاج إلى مراجعة الأدلة وإلى جمعها والنظر فيها، هل كان في مكة يستقبل الكعبة أو بيت المقدس على القولين المشهورين الذين ذكرتهما.

واستدل العلماء بهذه الآية على أنها دلت على وجود النسخ في القرآن، بل قال ابن عباس إنها أول ما نسخ في القرآن هو ما

كان في شأن القبلة.

- أيضاً دلت هذه المسألة على جواز نسخ السنة بالقرآن، فإن النبي صلى نحو بيت المقدس وليس في ذلك قرآن، وإنما صلاته إلى بيت المقدس سنة نسخها القرآن بهذه الآية.

- أيضاً فيها دليل على جواز القطع بخبر الواحد، وذلك أن استقبال بيت المقدس كان مقطوعاً به في الشريعة عندهم، ثم إن أهل قباء وقيل مسجد بني سلمة لما أتاهم الآتي وأخبرهم أن القبلة قد حولت إلى المسجد الحرام قبلوا قوله واستداروا نحو الكعبة، فتركوا المتواتر بخبر الواحد، وهذا فيه دليل على الأخذ والقطع بخبر الواحد، وهذه مسألة معروفة ومشهورة عند العلماء وقد بحثها الأصوليون، وهي حجية الأخذ بخبر الواحد إذا كان ثقة.

← **وهنا مسألة** أيضاً وهي أن هذه الآية وما احتف بها دليل على أن من لم يبلغه الناسخ أنه متعبد بالحكم الأول، خلافاً لمن قال أن الحكم الأول يرتفع بوجود الناسخ لا بالعلم به والأول أصح، بلا شك إذا كان الإنسان لا يعرف الناسخ مثل هؤلاء، أهل المسجد صلوا صلاتهم الأولى وقيل أنه مضى من صلاتهم ركعتان، **فهل الركعتان بطلت؟**

لا الصحيح أنها صحيحة ولا إشكال عليهم في ذلك فهم صلوا بناء على الأصل وعلى ما هم يعرفونه، أما النسخ الذي بعد ذلك عملوا به فلا يعني أنه بطل فعلهم ذلك، قال: والأول أصح، لأن أهل المسجد لم يزالوا يصلون إلى بيت المقدس إلى أن أتاهم الآتي فأخبرهم بالناسخ فمالوا نحو الكعبة.

وفي الآية دليل على أن القرآن من حكم نزوله منجماً ومفرقاً، مسابرة للحوادث والوقائع، وقصة استقبال بيت المقدس دليل على أن القرآن كان ينزل على رسول الله شيئاً بعد شيء حال بعد حال على حسب الحاجة حتى أكمل الله الدين، قال تعالى { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** }.

قوله تبارك وتعالى { **قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** } أي له ملك المشارق والمغرب وما بينهما، فله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء، فالشأن كله في امتثال أوامر الله، والحقيقة ختام الآية بهذا ختام عظيم، لأن الإنسان عبد مأمور والملك لله والأمر أمره، وهو يشرع ما يشاء تكون القبلة إلى هذا ثم تحول، هذه لحكم ومصالح وهو العليم الخبير.

قوله تعالى { **قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } قوله { **يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** } أي إشارة إلى هداية الله هذه الأمة إلى قبلة إبراهيم عليه السلام وهي الكعبة والصراط المستقيم هو الذي لا اعوجاج فيه ولا شك أن ما هُدينا إليه هو الخير، وسيأتي في حلقة قادمة مسائل ترتبط باستقبال القبلة، فلا يخفى عليكم أن استقبال القبلة شرط من شروط الصلاة، ولا بد من القيام بهذا الشرط، لكن يعفى عنه في مثل النافلة إذا كان تطوعاً وكان مسافراً فيصلي حيثما توجهت به، وأيضاً في حال المسايقة في حال اشتداد الحرب وصحیح صلاة الخوف جاء بيانها لكن في حالة أخرى أنه لا يستطيع أن يصلوا جميعاً، فلو صلوا وحداناً وفي حالة اشتداد الحرب يصلي حيثما توجه وهذا فيه دليل على أنه ينبغي المحافظة على الصلاة وأدائها في أوقاتها.

والأمر الثالث أنه يدخل فيه من اجتهد في تحري القبلة في صحراء وهو في ليل مظلم فصلى حيثما اجتهد فلما أصبح الصباح أو لما جاء أحد في الطريق وأخبره بخلاف هذا، فإن صلاته صحيحة ولا يلزم بالإعادة، وهذا من فضل الله وتيسيره على هذه الأمة.

الحلقة (١٢)

موضوع هذه الحلقة تفسير الآيتين (١٤٣ و ١٤٤) من سورة البقرة:

يقول تبارك وتعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ} البقرة ١٤٣

قوله {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} المعنى: كما أن الكعبة وسط الأرض، كذلك جعلناكم أمة وسطاً، أي جعلناكم وسط الأمم، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم، أي أن أمة محمد أفضل الأمم بعد الأنبياء والرسول.

والوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، وقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} قال: عدلاً، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وفي التنزيل في الآية الأخرى قال: أوسطهم أي أعدلهم وخيرهم، ووسط الوادي خير موضع فيه وأكثره كلاً وماءً، ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً، أي هذه الأمة لم تغلوا غلو النصارى في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم وفي الحديث (خير الأمور أوسطها)، الوسط إذن **يحتمل معنيين:**

- **القول الأول:** وسط بين الإفراط والتفريط وبين الغلو والجفاء.
- **القول الثاني:** أنها عدل، خير الأمم وأعدلها وأقومها.

قوله سبحانه وتعالى {لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}: قول يقول: أي في المحشر للأنبياء على أممهم، أي أن هذه الأمة شهيدة على الأمم الأخرى لأنبيائهم، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يارب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته صلى الله عليه وسلم فيشهدون أنه قد بلغ)، وهذا من فضائل هذه الأمة أنها تشهد على الأمم الأخرى أن أنبياءهم قد بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة.

هناك قول آخر: قال بعضهم أن يشهد بعضهم على بعض بعد الموت، أي أن الإنسان إذا مات يشهد الناس له إما بالخير وإما بالشر نسأل الله العافية، ويستدلون بهذا بما ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنزة، فأثني عليها خيراً، فقال: (وجبت وجبت)، ثم مر عليه بأخرى فأثني عليها شراً فقال: (وجبت وجبت)، فقال عمر: فدا لك أبي وأمي مر بجنزة فأثني عليها خيراً فقلت وجبت وجبت وجبت، ومر بجنزة فأثني عليها شراً فقلت: وجبت وجبت وجبت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أنثيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أنثيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض) ورواه البخاري بمعناه، وفي بعض طرقه في غير الصحيحين، وتلا قوله تعالى {لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}.

استدل القرطبي - رحمه الله - بهذه الآية على صحة الإجماع ووجوب الحكم به، لأنهم إذا كانوا عدولاً شهدوا على الناس، فكل عصر شهيد على من بعده، فقول الصحابة حجة وشاهد على التابعين، وقول التابعين على من بعدهم، إلخ كلامه رحمه الله تعالى.

قوله تبارك وتعالى {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}: فيه أقوال:

- **قيل** معناه: بأعمالكم يوم القيامة،

- **وقيل:** "عليكم" بمعنى لكم، أي يشهد لكم بالإيمان،
- **القول الثالث:** أي يشهد عليكم بالتبليغ لكم أنه قد بلغ، وفي حجة الوداع عليه الصلاة والسلام قال: إنكم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت الرسالة... إلخ، قال صلى الله عليه وسلم: اللهم اشهد وبدأ يشير بأصبعه إلى السماء.

قوله تبارك وتعالى {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا} الضمير هنا ما المراد بالقبلة؟ ما المراد بالآية هنا؟

- **القول الأول** قيل: أنها هي القبلة الأولى، لدليل { كُنْتَ عَلَيْهَا } وهناك قول آخر أن المراد: القبلة الثانية، ولكن الحقيقة أن الأقرب هو القول الأول.

قوله تعالى {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ}: اختلف بالمراد في هذه الجملة من الآية {إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ} اختلف بالمراد به على أقوال:

- **القول الأول:** قال علي رضي الله عنه: لنعلم: أي لنرى، والعرب تضع العلم مكان الرؤية، والرؤية مكان العلم كما في قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} بمعنى: ألم تعلم.
- **القول الثاني:** أن المعنى: إلا لتعلموا أننا نعلم، فإن المنافقين كانوا في شك من علم الله تعالى بالأشياء قبل كونها.
- **القول الثالث:** أن المعنى: لنميز أهل اليقين من أهل الشك، رواه الطبري عن ابن عباس.
- **القول الرابع:** أن المعنى: أي ليعلم النبي وأتباعه، وأخبر الله تعالى بذلك عن نفسه كما يقال فعل الأمير كذا، وإنما فعله أتباعه، أي: إلا ليعلم الرسول من يتبعه، وهذا فيه بعد.

• **القول الخامس:** أن معناه: ليعلم محمد، فأضاف علمه إلى نفسه تعالى تخصيصاً وتفضيلاً، وهذا فيه تكلف. لكن على كل حال هذه الآية فيها كما أخبر جل وعلا فيها ابتلاء وامتحان ليعلم ويعرف من هو متمسك بدينه يسمع ويطيع، يؤمن ويصدق، ومن هو متشكك أو مستهزئ أو يتحير في دينه وغير ذلك.

قوله تعالى {إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ} قوله تعالى {يَتَّبِعُ الرَّسُولَ} أي: فيما أمر به من استقبال الكعبة {مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ}: يعني ممن ارتد على دينه، لأن القبلة لما حولت ارتد من المسلمين قوم وناق قوم.

قوله تبارك وتعالى {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً}: أي: تحويل القبلة، قاله ابن عباس ومجاهد: والتقدير في العربية: وإن كانت التحويلة، أي تحويل القبلة، لكبيرة.

قوله تبارك وتعالى {إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}: أي إلا على الذين هدى الله قلوبهم، وأيقنوا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه، وأن الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فله أن يكلف عباده بما شاء، وينسخ ما شاء، وله الحكمة التامة، والحجة البالغة في جميع ذلك.

قوله تبارك وتعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} المقصود بالإيمان هنا هي الصلاة، وهذا من أدلة دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وقد اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس كما ثبت في صحيح البخاري في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه على ما تقدم، وروى الترمذي عن ابن عباس قال: لما وُجِه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله، كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}.

قوله تبارك وتعالى {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ}: أي إن الله جل وعلا بجميع عباده ذو رأفة، والرأفة كما يقول العلماء أعلى

معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة، أما الرحيم فإنه ذو الرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وأراد جل وعلا بذلك بيان أنه أرحم بعباده من أن يضيّع لهم طاعة أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها، وأرأف بهم من أن يؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم، فالمعنى لا تأسوا على موتاكم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس، فإني لهم على طاعتهم إياي بصلاتهم التي صلوها مثيب، لأني أرحم بهم من أن أضيع لهم عملا عملوه لي، ولا تحزنوا عليهم فإني غير مؤاخذهم بتركهم الصلاة إلى الكعبة، لأني لم أكن فرضت ذلك عليهم وأنا أرأف بخلقهم من أن أعاقبهم على تركهم ما لم أمرهم بعمله، ذكره الطبري رحمه الله تعالى.

الآية الثانية ذات الرقم (١٤٤) قوله تعالى {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} ١٤٤

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا، وكان يجب قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله تبارك وتعالى وينظر إلى السماء، فأنزل الله {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ} إلى قوله {فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} فارتابت من ذلك اليهود فقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قل لله المشرق والمغرب وقال: فأينما تولوا فثم وجه الله، ولذلك قال العلماء رحمهم الله هذه الآية مقدمة في النزول على قوله {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ}، لأنهم لم يتحدثوا ويستهنؤوا إلا بعد أن حولت القبلة.

قوله تبارك وتعالى {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ}: معنى تقلب وجهك في السماء: أي تحول وجهك إلى السماء، قاله الطبري، وقال الزجاج: تقلب عينيك في النظر إلى السماء، والمعنى متقارب.

وخصت السماء بالذكر؛ لأنها المختصة بتعظيم ما أضيف إليها، ويعود منها المطر، وأيضا هي التي كانت فيها الواقعة. قوله تبارك وتعالى {فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا}: قوله {تَرْضَاهَا} أي: تحبها، قال السدي: كان إذا صلى نحو بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر به، وكان يجب أن يصلي إلى قبل الكعبة، فأنزل الله تعالى {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ} قوله تبارك وتعالى: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} أي: ناحية المسجد الحرام، {وَجْهَكَ شَطْرَ} شطر يعني الناحية والجهة، وشطر المسجد الحرام أي ناحية المسجد الحرام والمراد الكعبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (البيت قبله لأهل المسجد، والمسجد قبله لأهل الحرم، والحرم قبله لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي) ونُصب {شَطْرَ} لأنه ظرف مكان.

من هذا الحديث أخذ العلماء ما ذكره القرطبي رحمه الله في قوله: "لا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبله في كل أفق، وأجمعوا على أن من شاهدها وعابها فَرَضَ عليه استقبالها، وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له وعليه إعادة كل ما صلى".

يقول رحمه الله: "وأجمعوا على أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقائها" يقول رحمه الله: "فإن خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلك بكل ما يمكنه من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك".

قوله تبارك وتعالى {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}: أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الأرض شرقا وغربا شمالا وجنوبا ولا يستثنى من هذا شي سوى النافلة في حال السفر، فإنه يصلها حيثما توجه، وكذا في حال المسابقة في

القتال يصلي، وكذلك من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده، استدلت المالكية بهذه الآية {قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} على أن المصلي ينظر أمامه لا إلى موضع سجوده، وقد ذهب إلى هذا بعض أهل العلم من غير المالكية وذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد وأبي حنيفة إلى أنه ينظر إلى موضع سجوده، وهذا هو الأكدر، وهو عون بعد الله عز وجل على الخشوع في الصلاة، الأحاديث والسنة دلت على أنه يجعل بصره في موضع سجوده، وهذه الآية في استقبال القبلة تكون متوجه شطر المسجد الحرام، أما في الصلاة فنجعل البصر في موضع السجود كما دلت السنة.

وقوله تعالى {وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}: أي: اليهود والنصارى، {لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ}: أي أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة هو الحق.

فقد يقال هنا تساءل كيف يعلمون ذلك وليس من دينهم ولا في كتابهم؟ **أجيب عنه بجوابين:**

■ **الأول:** أنهم لما علموا من كتابهم أن محمد صلى الله عليه وسلم نبي، علموا أنه لا يقول إلا الحق، ولا يأمر إلا به، وهذا هو المفترض، المفترض أن الرسول صادق لا يكذب بل هو أفضل الرسل.

■ **الثاني:** أنهم علموا من دينهم جواز النسخ، وإن جحد بعضهم، فصاروا عالمين بجواز تحويل القبلة، يعلمون جواز النسخ فلم لا يصدقون بهذا الدين؟.

ختمت الآية بقوله تبارك وتعالى {وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ لِمَا يَعْمَلُونَ} في قوله تبارك وتعالى: {يَعْمَلُونَ} **قراءتان:**

القراءة الأولى: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي {تعملون} على مخاطبة أهل الكتاب أو أمة محمد صلى الله عليه وسلم، **القراءة الثانية:** وهي قراءة الأربعة الباقيون غير هؤلاء الثلاثة قرؤوا بالياء "يعلمون"، على كل حال قراءة التاء {تعملون} أو قراءة الياء {يعلمون} دليل على أنه الله تعالى يعلم أعمال عباده ولا يغفل عنها، وأنه لا يهمل شيئاً منها، وفي ضمن أن هذا تهديد ووعد، فإذن يجب على الإنسان أن يخاف الله ويخاف أن يعصيه، فهو عالم لكل شيء.

الحلقة (١٣)

تفسير الآيات (١٤٥ / ١٤٦ / ١٤٧ / ١٤٨) من سورة البقرة:

يقول الباري تبارك وتعالى {وَلَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ١٤٥}

يخبر تعالى عن كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ما يعرفونه من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما اتبعوه وتركوا أهواءهم، وهذا هو دين اليهود مع وضوح الحق وإيراد الأدلة، إلا أنهم يكابرون ويعاندون، وهذا يدخل فيه أيضا النصارى وكل من جحد وعاند {وَلَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} كما قال جل وعلا {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ* وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} قوله تعالى {وَلَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} أي أنهم كفروا وقد تبين لهم الحق فليست تنفعهم الآيات والعلامات.

قوله تبارك وتعالى {وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ} هذا لفظ الخبر، لكنه يتضمن الأمر، وهذا أسلوب كثير في القرآن الكريم، يأتي الخبر كلام خبر ليس بأمر ولا نهي، ولكنه يتضمن الأمر، والمعنى كما قال المفسرون رحمهم الله: أي لا تترك إلى شيء من ذلك، أي لا تترك إليهم وإلى متابعتهم وإلى الأخذ عنهم.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله "في هذا إخبار عن شدة متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما أمره الله تعالى به، وأنه كما

هم مستمسكون بأرائهم وأهوائهم، أي أهل الكتاب، فهو أيضا مستمسك بأمر الله وطاعته واتباع مرضاته، وأنه لا يتبع أهواءهم في جميع أحواله، ولا كونه متجها إلى بيت المقدس لكونه قبلة اليهود، وإنما ذلك عن أمر الله تعالى "لما كان عليه الصلاة والسلام متوجها إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا لم يكن لإرضاء اليهود أو أنه يتابع اليهود لا، بل هو لأمر الله سبحانه وتعالى ثم نسخ فتوجه إلى الكعبة، ثم أخبر الله تعالى أن اليهود ليست متبعة قبلة النصارى، ولا النصارى متبعة قبلة اليهود، فقال سبحانه **{وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ}** وهذا إعلام من الله جل وعلا باختلافهم وتدابيرهم وضلالهم، ففي هذه الآية بيان لحالهم وما كانوا عليه من الاختلاف.

قوله تبارك وتعالى **{وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ}** أي دينهم وفعلهم هذا يعتبر هوى **{مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}** الخطاب في هذه الآية للنبي عليه الصلاة والسلام ويدخل في ذلك أمته، ممن يجوز أن يتبع هواه، بحيث من اتبع هواه كان ظالما، ليس النبي صلى الله عليه وسلم ممن يقع في ذلك حاشاه عليه الصلاة والسلام، المراد بهذا النهي والتحذير لأمته أن تقع فيه، وإنما خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك تعظيما للأمر ولأنه منزل عليه،

قد يقول قائل: أن النبي صلى الله عليه وسلم إن شاء الله لا يكون ظالما ولا يتبع الهوى فلماذا خوطب ولم يجعل الخطاب لأمته؟ قيل السبب تعظيما للأمر، ولأنه المنزل على النبي عليه الصلاة والسلام، قال الطبري: أي ولأن التمسك يا محمد رضى هؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لك ولأصحابك كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، فاتبع قبيلتهم، أي فرجعت إلى قبيلتهم، من بعد ما جاءك من العلم: أي من بعد ما وصل إليك من العلم بإعلامي إياك أنهم مقيمون على باطل وعلى عناد منهم للحق، إنك إذا لمن الظالمين: فإنك إن فعلت ذلك من عبادي الظلمة أنفسهم المخالفون أمري التاركين لطاعتي، وحاشاه عليه الصلاة والسلام أن يقع في هذا الزيغ وإنما المراد التحذير لأمته من أن تقع في مثل هذا.

نتكلم عن الآية (١٤٦) من سورة البقرة: يقول تبارك وتعالى **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦}** قوله تبارك وتعالى **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ}** الضمير في قوله تعالى **يَعْرِفُونَهُ** عائد إلى نبينا صلى الله عليه وسلم، أي: يعرفونه معرفة يقينية دقيقة مثل ما يعرفون أبناءهم، قاله مجاهد وقتادة وغيرهم، وقيل المقصود: تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أنه حق، قال هذا القول ابن عباس وابن جريج، وغيرهما، والأقرب أن المقصود بهذا هو نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد أخبروا بذلك عن أنفسهم كما سيأتي، والقول الثاني له حظ من النظر أيضا لأن الآيات في استقبال القبلة وتحويل القبلة وما ارتبط بذلك،

← قال بعض المفسرين: خص الأبناء بالذكر دون الأنفس، ما قال تعالى كما يعرفون أنفسهم أو غير ذلك وإن كانت ألسن أي النفس فلماذا؟ قالوا إن الإنسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه، ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه، ومتى درس ومتى حصل له الأمر الفلاني تجددت هذه المعلومات لا يغفل عنها الأبوان ولا يجهلون، لكن الإنسان لو تسألته عن حياته قد يجهل أمورًا بخلاف أمور أبنائه، فالله جل وعلا أراد أن يبين أنهم يعرفونه حقا كما يعرفون أبناءهم، فهل بعد هذا زيغ وضلال وجحود وعناد.

وقد روي أن عمر رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام "أتعرف محمدا صلى الله عليه وسلم كما تعرف ابنك قال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه، جبريل، إلى أمينه في أرضه، سيدنا محمد، بنعته وعرفته، أما ابني لا أدري ما كان من أمه" قد يكون من رجل آخر فالمهم أن معرفتهم يقينية و حقيقية أن الرسول صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

وقيل المراد أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم من بين أبناء الناس كلهم؛ لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه إذا رآه بين أبناء الناس كلهم **وهذا توجيه صحيح.**

قوله تبارك وتعالى { **وَإِنَّ قَرِيْبًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ** } قيل أن المراد بالحق هو محمد صلى الله عليه وسلم، قاله مجاهد وقتادة، وقيل استقبال الكعبة أي يعلمون أن هذا هو الحق.

- **فالقول الأول:** أنه محمد صلى الله عليه وسلم لا مرية فيه.
- **القول الثاني:** أنه استقبال الكعبة، وقد جاء هذا عندهم، وإن لم يأت عندهم فهو مما أخبر به عليه الصلاة والسلام الصادق المصدوق، كما أخبرت بذلك التوراة عندهم.

{ **وَإِنَّ قَرِيْبًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** } هذا ظاهر أنهم يعاندون وأنهم ما كتموا الحق ولم يظهره للناس إلا عنادا واستكبارا، كقوله جل وعلا ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم { **فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** } عياذا بالله جل وعلا من ذلك.

الآية (١٤٧) من سورة البقرة: وهي قوله تبارك وتعالى { **الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ ١٤٧** } قوله تبارك وتعالى { **الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ** } أي استقبال الكعبة، لا ما أخبرك به اليهود وما شككوا به، فالمقصود بالحق استقبال الكعبة، لم يذكر أن المراد هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء فيما سبق، أن استقبال الكعبة وما وجهت إليه هو الحق الذي لا مرية فيه ولا خلاف هذه هي قراءة السبعة المتواترة.

روي عن علي رضي الله عنه أنه قرأ **الْحَقُّ** من ربك

- ١، فهو منصوب بـ يعلمون وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فهي مرتبطة بالآيات السابقة
- ٢، ويصح نصبه على تقدير الزم الحق

٣، أما الرفع الآن هو قراءة الجمهور القراءة السبعية على وجهين: إما يكون الحق مبتدأ، فلا تكونن من الممتريين هو الخبر، هذا توجيه، أو يكون على إضمار مبتدأ، بدل أن يكون الحق هو المبتدأ يكون هو الخبر، والمبتدأ محذوف والتقدير هو الحق، أو أنه فاعل جاءك الحق فعلى قراءة الرفع إما أن يكون مبتدأ وما بعده خبر، أو يكون الحق هو الخبر وهناك مبتدأ محذوف تقديره هو الحق، أو أن يكون فاعل لفعل محذوف والتقدير: جاءك الحق.

قوله تبارك وتعالى { **فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ** } أي من الشاكين، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته، يقال امتري فلان في كذا أي اعترضه اليقين مرة والشك أخرى، فدافع إحداها بالأخرى، ومنه المراء، لأن كل واحد منهما يشك في قول صاحبه، والامتراء في الشيء الشك فيه وكذلك الكمال والمقصود فلا تكونن من الشاكين الذين لا يوقنون بل هذا هو الحق جاء به أمر الله تبارك وتعالى "آمنا وصدقنا سمعنا وأطعنا".

الآية رقم (١٤٨) من سورة البقرة: يقول تبارك وتعالى { **وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيْهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُوْنُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيْعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ١٤٨** }

قوله تبارك وتعالى { **وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ** } الوجهة وزنها فعله، من المواجهة، والوجهة والجهة والوجه بمعنى واحد، يعني توجهه، والمراد بهذه الآية: القبلة، أي: أنهم لا يتبعون قبلتك وأنت لا تتبع قبلتهم، ولكل وجهة إما بحق وإما بهوى، والعمدة في هذا أمر الله تبارك وتعالى، فالذين آمنوا وصدقوا هؤلاء أخذوا بالحق الصحيح، ومن انحرفوا فهؤلاء اتبعوا أهواءهم.

قوله تبارك وتعالى { **هُوَ مُوَلِّيْهَا** } هذا إخبار من الله تعالى، أن لكل إنسان جهة وتوجه يتولاها ويتجه إليها إما بحق قام عليه

الدليل من القرآن أو من السنة، أو أخذاً بالهوى وبما تهواه الأنفس من الباطل. قوله تعالى {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} بعض المفسرين أن الخيرات نصب بناء على نزع الخافض، والتقدير فاستبقوا إلى الخيرات، وعلى كل حال سواء قلنا هو مفعول به مباشرة أو منصوب بنزع الخافض أي بعد حذف حرف الجر فهذا صحيح، على كل حال معناها: أي بادروا وسارعوا إلى ما أمركم الله عزوجل من استقبال البيت الحرام. هذا هو الأصل الآية أنها جاءت الحقيقة كما نلاحظ الآن ونعرف أنها في الآيات التي تتحدث عن استقبال القبلة والتوجه إلى المسجد الحرام.

فالمقصود المسارعة التصديق المبادرة إلى العمل وإن كانت كما ذكر المفسرون أن هذا يتضمن الحث على المبادرة والاستعجال في جميع الطاعات بالعموم، فالمراد هنا استقبال القبلة، ولكن الآية عامة في كل عمل صالح، ولذلك قال بعض المفسرين قيل المعنى: المبادرة بالصلاة في أول وقتها، وقد روى الدارقطني عن إبراهيم بن عبدالمك من أبي مخذرة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله وسلم (أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله) قال ابن العربي صاحب أحكام القرآن (رضوان الله أحب إلينا من عفو، فإن رضوانه عن المحسنين وعفوه عن المقصرين) الرضا يكون لمن سابق وبادر ولذلك الإنسان يحرص أن يكون من المبادرين بالخيرات يبكر إلى الصلاة يسارع في مرضي الله جل وعلا، وقد جاء في هذا آيتين قال سبحانه { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } وأيضا قوله سبحانه { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ }، وثبت في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (بادروا بالأعمال سبعا).

فينبغي للمسلم أن يكون مسارعا مسابقا في مرضاة الله تبارك وتعالى والله جل وعلا يقول { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا } ما يعمل العبد وما يسارع فيه من مرضي الله جل وعلا هذا في حسناته تزداد به ويزداد رفعة، ومن تقاصر وتراجع فإنما يظلم نفسه، وقد قال العلماء رحمهم الله "ليس المحروم من حرم الدينار والدرهم، ليس المحروم من حرم الزوجة والولد، المحروم حقا من حرم المسارعة والمسابقة في مرضي الله جل وعلا" يرى الناس يتسابقون في الخيرات وفي الأعمال الصالحة وهذا المسكين في مكانه لا يتقدم ولا يزداد من الأعمال الصالحة، عيادا بالله جل وعلا من الخذلان.

قوله تبارك وتعالى { أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا } "أيما" تكون هذا شرط، فعل الشرط وجوابه { يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا } ولذلك حذف "الياء" لأنه جزم بحذف حرف العلة، جواب الشرط ليس الآية { يَأْتِي بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا } بل { يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا } يعني: يوم القيامة هذا هو جواب الشرط، ثم بين جل وعلا أنه على كل شيء قدير فقال { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } ووصف نفسه تعالى بالقدرة على كل شيء لتناسب الصفة مع ما ذكر من الإعادة بعد الموت، فالله جل وعلا سيبعث الناس من قبورهم وسيجمعهم في المحشر وسيحشرهم في المحشر ويحاسبون على أعمالهم وتنشر لهم صحائفهم والله جل وعلا قادر على كل شيء، الذي قدر على الخلق من أول وهلة قادر على إعادته والكل هين عليه جل وعلا أول الخلق وآخره.

تفسير الآية ذات الرقم (١٤٩) من سورة البقرة: يقول تبارك وتعالى { وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } هذه الآية في سياق الآيات السابغات حول استقبال القبلة وتحويلها من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، فهذا تأكيد للأمر باستقبال الكعبة والاهتمام بذلك، والسبب هذه الآيات التي نزلت في هذا الموضوع، قد يقول بعضنا يقول يا أخي استقبال القبلة ماذا فيه؟ لا، هذا الأمر التحويل كان صعباً على النفوس، ليس صعباً بمعنى المعاندة والمشاقة لا حاشا وكلا منهم رضي الله عنهم، إلا المنافقون أو اليهود هذا أمر آخر، لكن هذا الأمر فيه

صعوبة ويحتاج إلى جزم وإلى بيان وتأکید وجاء والله الحمد هذه الآيات المنزلة في هذه المسألة، ولذلك قال العلماء "أكد الأمر ليرى الناس الاهتمام به فيخف عليهم وتسكن نفوسهم إليه" إذن هذه الحقيقة كما جاء بيانه في كلام بعض المفسرين وقيل أراد بالأول {قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} أي: الكعبة إذا عاينها صليت تلقاءها.

ثم قال {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} المقصود هنا: سائر المساجد، فمرة أخرى قيل أن المراد الأول في قوله تعالى {قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} يعني إذا عاينت الكعبة لاشك لا بد أن تتوجه إليها وفي قوله سبحانه {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} أنه لجميع من كان خارج الحرم، وفيه هذه الآية أيضا {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} قال القرطبي رحمه الله "قلت هذا القول فيه حمل كل آية على فائدة، وقد روى الدارقطني عن أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في سفر فأراد أن يصلي على راحلته استقبل القبلة وكبر ثم صلى حيث توجهت به" أخرجه أبو داود وبه قال الشافعي وأحمد وأبو ثور" وذهب مالك إلى أنه لا يلزمه الاستقبال لحديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته، وقالوا وفيه نزل {فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَوَجَّهَ اللَّهُ} قلت: أي القرطبي، ولا تعارض بين الحديثين، لأن هذا من باب المطلق والمقيد، فقول الشافعي أولى وحديث أنس في ذلك حديث صحيح، ولذلك قال العلماء "أن الأولى في صلاة النافلة أن يحرص في بداية الصلاة أن يتوجه إلى القبلة إن تيسر له وبعد ذلك لو انحرفت راحلته أو توجه إلى غير القبلة فلا حرج عليه إن شاء الله".

قوله تبارك وتعالى {وَأِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} هذا مثل الآية السابقة {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} هنا مرة أخرى وهذا يدل على أن الأمر كان فيه صعوبة على النفوس ولذلك جاءت هذه الآية لبيان الاهتمام بهذا الأمر لتسكن نفوسهم وتطمئن قلوبهم ولذلك قال الله جل وعلا مرة أخرى {وَأِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} أي وإن التوجه شطر المسجد الحرام للحق الذي لاشك فيه من عند ربك، فحافظوا عليه وأطيعوا الله في توجهكم قبله، ثم ختمت الآية بنحو ما ختمت به الآية السابقة قوله تبارك وتعالى {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} أي فإن الله سبحانه وتعالى ليس بساهي عن أعمالكم وليس بغافل عنها فهو جل وعلا محصها لكم حتى يجازيكم بها يوم القيامة، ولاشك أن في ختام هذه الآية {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} فيه فائدة عظيمة أن الإنسان يحاسب نفسه ويقررها، يأتريها على طاعة الله عز وجل، ويلزمها الأوامر، ويجاهدتها في ذلك وفي المقابل يحذر أن يقع في معصية أو يزل في خطيئة أو يقع في ذنب، فان وقع في ذلك وكلنا ذلك الرجل، وكل بني آدم خطأ ولكن وخير الخطائين التوايب، عليه أن يتوب ويرجع إلى الله فباب التوبة والله الحمد مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها، وما لم تغرغر الروح في الحلقوم، كما قلت من يقرأ هذه الآية وغيرها يؤمن ويصدق بعلم الله تبارك وتعالى وأنه ليس بغافل عن أعمال عباده وهو القائل كما في الحديث القدسي (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

الحلقة (١٤)

موضوع هذه الحلقة تفسير الآيتين (١٥٠ و ١٥١):

يقول الباري تبارك وتعالى {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّيْ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} هذه الآية رقم (١٥٠) من سورة البقرة هذه هي آخر آية فيما يتصل باستقبال القبلة، وقد ذكر المفسرون أن من حكمة إنزال الله جل وعلا هذه الآيات أن هذا الأمر كان فيه صعوبة على النفوس، وقد يشق عليهم، وحاشا أن يكون الصحابة ممن

يرفضون أمر الله، لكن طبيعة النفوس، فأنزل الله جل وعلا هذه الآيات بيانا لتعظيم هذا الأمر، وتأكيداً له، وطمأنة لنفوسهم، ليهتدي من هداة الله ويثبت على الدين، ويزيغ ويضل من شاء الله له ذلك مثل المنافقين واليهود الذين استهزءوا وقد سبق بيان هذا كله.

قوله تبارك وتعالى {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} أي من أي مكان وبقعة شخصت وخرجت يا محمد والخطاب أيضا لأمته، فول وجهك تلقاء المسجد الحرام وهو شطره، في أي مكان، نحن قلنا من كان أمام الكعبة في المسجد الحرام هذا يجب أن يتجه إلى عين الكعبة، ومن كان خارجها فليتوجه لتلقاها {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} يعني تلقاء وجهته.

قوله تبارك وتعالى {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} أي أينما كنتم أيها المؤمنون من أرض الله فولوا وجوهكم في صلاتكم تجاهه وقبله.

قوله تبارك وتعالى {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا} اختلف المراد بالناس هنا {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} على أقوال:

• **القول الأول:** قال مجاهد هم مشركوا العرب، وحجتهم قولهم "راجعت قبلتنا"، وقد أجيب عن هذا بقول الله سبحانه {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ} يعني أنهم قالوا رجعت يا محمد إلى قبلتنا، وجاء برواية أنهم قالوا "سيعود إليكم بعد أن خرج عنكم" فالله جل وعلا أنزل قوله {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}

• **القول الثاني:** قيل معنى {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} أي لئلا يقولوا لكم قد أمرتم باستقبال الكعبة ولستم ترونها، فلما قال جل وعلا {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} زال هذا، يعني بعض الناس يقولون أنتم أمرتم باستقبال الكعبة وأنتم لا ترونها، فأنا مثلا في هذا المكان أو غيره خارج المسجد الحرام لا أرى الكعبة، ويكفي والله الحمد وهذا من تيسير الله أنني أتوجه لتلقاء المسجد الحرام.

• **القول الثالث:** أن المراد أهل الكتاب، فإنهم يعلمون من صفة هذه الأمة التوجه إلى الكعبة فإذا فقدوا ذلك من صفتها ربما احتجوا بها على المسلمين، ولئلا يحتجوا بموافقة المسلمين إياهم في التوجه إلى بيت المقدس وهذا أظهر، يعني {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} أي هؤلاء أهل الكتاب لئلا يكون لهم على المؤمنين حجة في إتباع المؤمنين لهم من قبل، حيث كان يصلون إلى بيت المقدس، لذلك قال أبو العالية {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} يعني بهم أهل الكتاب، حين قالوا صرف محمد إلى الكعبة، وقالوا اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه، وكان حجتهم على النبي صلى الله عليه وسلم في انصرافه للبيت أن قالوا "سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا"، على كل حال يكون مراده بهذا {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} مشركوا قريش والله أعلم.

اختلف المفسرون أيضا في معنى الاستثناء في هذه الآية {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} هل الاستثناء هنا على ظاهره أو فيه توجيه آخر في هذا أقوال:

• **القول الأول:** قال أبو عبيدة "إلا" هنا بمعنى "الواو" أي والذين ظلموا منهم يعني {لئلا يكون للناس عليكم حجة والذين ظلموا منهم} حتى لا تكون لهم حجة، وقالوا إن الاستثناء بمعنى الواو يرد في لغة العرب كقول الشاعر:

ما بالمدينة دارٌ غير واحدة*** دار الخليفة إلا دار مروان، يعني ودار مروان ف (إلا) هنا بمعنى الواو هذا قول.

وكما قيل في قول تعالى {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} قالوا إن التقدير "والذين آمنوا وعملوا

الصالحات"، لكن الزجاج أبطل هذا القول،

• **وله قول آخر،** قال إن هذا غير صحيح عند حذاق النحويين، لا تأتي إلا بمعنى الواو، إلا لاستثناء شيء من شيء، فكيف تنزع هذا الاستثناء تماماً وتقول بمعنى الواو، فيقول حقيقة أن هذا خطأ عند حذاق النحويين، وقال إن الصحيح أنها بمعنى لكن، يعني لكن الذين ظلموا فإنهم يحتجون، يعني قال إنه عرفكم الله أمر الاحتجاج في القبلة في قوله: **{وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا}** لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا من ظلم باحتجائه فيما قد وضع له، كما تقول "مالك علي حجة إلا الظلم أو إلا أن تظلمي" أي مالك حجة البتة ولكنك تظلمي.

إذن يرى أن الاستثناء هنا منقطع وأن إلا بمعنى لكن، يعني يكون معنى الآية "لئلا يكون للناس عليكم حجة لكن الذين ظلموا منهم يحتجون بكذا وكذا" هذا رأي الزجاج.

• **القول الثالث:** قالت فرقة أن إلا استثناء متصل، **{إلا الذين}** استثناء متصل وروي معناه عن ابن عباس واختار هذا القول الطبري، قال "نفى الله أن يكون لأحد حجة على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في استقبالهم الكعبة، والمعنى لا حجة لأحد عليكم إلا الحجة الداخضة، يعني هم ليس لهم حجة وليس لهم دليل إلا حجة داخضة، فالاستثناء على بابه فهو استثناء متصل.

فإذن **{إلا الذين ظلموا منهم}** إلا هنا استثناء متصل يعني إلا الذين ظلموا يحتجون بحجة ولكنها حجة باطلة داخضة، حيث قالوا: ما ولاهم، ما الذي جعل محمدا يتحير في دينه؟ وما هذا إلا أنه مخطف وإلى غير ذلك، على كل حال لعل هذا هو القول الأقرب أن الاستثناء متصل بالآية.

قوله تبارك وتعالى **{لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ}** الحجة بمعنى الحاجة والمخاصمة والمجادلة، وسماها الله جل وعلا حجة وحكم بفسادها، حيث كانت من ظلمة **{إلا الذين ظلموا}** فهي حجة داخضة باطلة.

قوله تبارك وتعالى **{فَلَا تَخْشَوْهُمْ}** أي الناس هؤلاء الذين احتجوا عليكم وتكلموا، **{وَإِخْشَوْنِي}** أي: لا تخشوا شبه الظلمة المتعنتين، واجعلوا الخشية لله سبحانه فهو أهل أن يخشى وأن يتقى سبحانه وتعالى.

قال المفسرون الخشية: أصلها طمأنينة في القلب تبعث على التوقي، والخوف فزع القلب تخف له الأعضاء، ولخفة الأعضاء به سمي خوفاً، فالخشية طمأنينة في القلب، والخوف فزع في القلب، وعلى كل حال المسلم مطالب بهذا وبهذا أي أن يخشى الله تبارك وتعالى وأن يخاف منه تبارك وتعالى.

ومعنى الآية: التحقير لكل من سوى الله عز وجل، فلا تخشوهم وإخشوني، والأمر بإطراح أمرهم ومراعاة أمر الله جل وعلا، الإنسان لا يخاف في الله لومه لائم أمر الله وطاعته مقدم والإنسان لا يخشى إلا الله تبارك وتعالى ولا عبرة لأحد، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول "من أَرْضَى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أسخط الله برضى الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس".

قوله تبارك وتعالى **{وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ}** معطوف على "لئلا" أي ولأن أتم، قاله الأخرش، وقيل مقطوع في موضع رفع بالابتداء والخبر مضمرة، والتقدير "ولأتم نعمتي عليكم عرفتكم قبلي" قاله الزجاج، وهذا كلام جميل، يعني من أجل أن الله يتم النعمة عرفنا القبلة ووجهنا إليها، والأمر لله من قبل ومن بعد.

وإتمام النعمة: الهداية إلى القبلة **{وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ}** تمام النعمة أن نوجه إلى القبلة وقد حصل لله الحمد، أي ولأتم نعمتي عليكم فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوها، وقيل إن تمام النعمة دخول

الجنة، وقيل إنه تمام الشريعة، ومن ذلك التوجه إلى القبلة، والأول مورداً إلى الثاني، فإن من آمن وصدق وسمع وأطاع، آمن بالله وعمل صالحاً فهو من أهل الجنة برحمة الله سبحانه وتعالى.

قوله تبارك وتعالى **{وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}** أي إلى ما ضلت عنه الأمم هديناكم إليه وخصصناكم به، ولهذا كانت هذه الأمة أشرف الأمم وأفضلها، مافي شك أن أمة الإسلام أفضل الأمم وأشرف الأمم وخير الأمم هديت ولله الحمد إلى أعدل دين وإلى أفضل شريعة، ومن ذلك التوجه إلى الكعبة بعد أن كان التوجه لبيت المقدس، وكما قلت لله الأمر من قبل وبعد.

ننتقل إلى الآية رقم (١٥٨) من سورة البقرة: وهي قول الله تبارك وتعالى **{إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ**

اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}

◀ **سبب نزول الآية** روايات كثيرة اقتصر على بعضها منها:

١، ما رواه البخاري عن عاصم بن سليمان قال سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة فقال "كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله عز وجل **{إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ}** الآية، لأنه يقال أن عليهما صنمان وكانوا يعبدونهما، فلما جاء الإسلام تخرجوا أن يسعوا بينهما، على كل حال سيأتي بيانه وأنه ولله الحمد لا علاقة له بشرعية السعي بين الصفا والمروة.

٢، رواية أخرى رواها الترمذي عن عروة بن الزبير قال "قلت لعائشة ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً، وما أبالي أن لا أطوف بينهما" فقالت "بئس ما قلت يا ابن أخي، طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون، ويسمى السعي طوافاً، وإنما كان من أهل لمناة الطاغية التي بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة، يعني تخرجوا فأنزل الله **{فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا}** ولو كانت كما تقول لكانت "فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَلَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا" ثم قالت وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما".

٣، رواية ثالثة قال الزهري (ذكرت لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ذكرت له ما روي عن عائشة فأعجبه وقال "إن هذا لعلم، ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم إنما كان من لا يطوف بين الصفا والمروة من العرب يقولون: "إن طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية" وقال آخرون من الأنصار إنما أمرنا بالطواف بالبيت ولم نؤمر بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى **{إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ}**

٤، رواية أخرى عن ابن عباس "كان في الجاهلية شياطين تعزف الليل كله، يعني بالغناء والطرب، بين الصفا والمروة، وكان بينهما آلهة فلما ظهر الإسلام، قال المسلمون يا رسول الله لا نظوف بين الصفا والمروة فإنهما شرك، يعني فيه صنمان وفيه أغاني ومعازف كانت تعملها الشياطين، فنزلت الآية "

٥، رواية خامسة قال الشعبي "كان على الصفا في الجاهلية صنماً يقال له إساف وعلى المروة صنم يسمى نائلة، فكانوا يمسخونها إذا طافوا، يعني سعوا بينهما، فامتنع المسلمون من الطواف بينهما من أجل ذلك فنزلت الآية".

على كل حال مدار هذه الروايات على أنه كان على الصفا والمروة صنمان، وأن الناس بعضهم كان يتمسح، وكان هذا من أعمال الجاهلية، فتخرج المسلمون، وقيل إن هذا خاص بالأنصار فإن هذين الصنمين كانا خاصين بالأنصار فتخرجوا، على كل حال هذا مدار الروايات التي تجتمع عليه.

ندخل الآن في مفردات الآية قوله تعالى **{إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ}** أصل الصفا في اللغة الحجر الأملس، وهو هنا جبل بمكة معروف، وكذا المروة جبل أيضاً، ولذلك أخرجهما بلفظ التعريف **{إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ}** أما سبب التذكير والتأنيث فالصفا

مذكر والمروة مؤنث ففيه وجهان.

الوجه الأول: ذُكر الصفا لأن آدم عليه السلام وقف عليه فسمي به، ووقفت حواء على المروة فسميت باسم مروة فأنت لذلك، وحقيقة هذا الكلام غير صحيح وكله إسرائيليات، كون آدم وقف على الصفا فصار مذكراً، وحواء وقفت على المروة فصارت مؤنثاً، وهو كلام غير صحيح وهو من الإسرائيليات.

الوجه الثانية: قال الشعبي "كان على الصفا صنم يسمى إساف وعلى المروة صنماً يدعى نائلة، فارتبط ذلك بالتذكير والتأنيث وقدم المذكر" يعني هذا أيضاً الله أعلم هل هذا هو سبب التسمية أو أن العرب هكذا نطقت به، وأنا لا أرى أن هناك داعي يدعوا لأن يقال لماذا هذا مذكر وهذا مؤنث؟ هكذا سمت العرب، فسمت هذا صفا وسمت المكان الآخر مروة ولا داعي لهذه التكلفات، وإنما صحيح نعم أن القول الثاني أقرب لأنه جاء في الأحاديث أن على هذا صنم يقال له إساف (مذكر) والمروة عندها صنم يسمى نائلة (مؤنث) ولذلك أنثت، ولكن الحقيقة كما قلت هناك بُعد، والعلم عند الله.

وأيضاً هناك روايات أن إساف ونائلة زنيا عند الكعبة فمسخهما الله حجرتين فوضعا عند الصفا والمروة ليعتبر الناس بهما ثم عبدا بعد ذلك من دون الله، هذا أيضاً كلام يعوزه الدليل والله أعلم.

قوله تبارك وتعالى { **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ** } الصفا كما قلنا حجر أملس وسمي صفا لبياضه وصلابته، أما المروة فهي حجارة صغار فيها لين، وقيل أنها أيضاً صلبة، وقيل أنها حجارة سود، وعلى كل حال الآن هما جبلان معروفان يسعى الناس بينهما، والسعي كما هو معلوم وسنبينه أنه ركن من أركان الحج، وركن من أركان العمرة.

قوله تبارك وتعالى { **مِن شَعَائِرِ اللَّهِ** } أي من معالمه ومواضع عباداته، بلا شك أن الصفا والمروة السعي بينهما شعيرة من شعائر الله عز وجل، وهو جمع شعيرة، والشعائر المتعبادات التي أشعرها الله وجعلها إعلماً للناس، كغيرها من الطواف ومن النحر والحلق والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة إلى غير ذلك.

قوله تبارك وتعالى { **فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ** } أي قصد البيت لأداء الحج أو اعتمر أو زار البيت، العمرة بمعنى الزيارة يعني هذا يشمل الحاج والمعتمر، ولذلك كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما أراد أن يصعد الصفا قال: (أبدأ بما بدأ الله به فقراً الآية، ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده) ووقف عليه ودعا طويلاً وهكذا بالمروة كما هو مبين في كتب السنة والفقهاء.

قوله تبارك وتعالى { **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ** } أي لا إثم عليه وقد تقدم تأويل عائشة لهذه الآية، قال ابن العربي "وتحقيق القول في أن قول القائل: لا جناح عليك أن تفعل، إباحة الفعل وقوله "لا جناح عليك أن لا تفعل" إباحة لترك الفعل".

فلما سمع عروة قول الله تعالى { **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا** } قال هذا دليل على أن ترك الطواف، يعني يقصد السعي، جائز، ثم رأى الشريعة مطبقة على أن الطواف لا رخصة في تركه، فطلب الجمع بين هذين المتعارضين فقالت له عائشة "ليس قوله { **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا** } دليل على ترك الطواف إنما كان يكون دليلاً على تركه لو كان "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما" وإنما جاء لإفادة إباحة الطواف لمن كان يتحرج منه في الجاهلية" هو الآن ركن خلاص، لكن فيه ناس كانوا يتحرجون فأنزل الله عز وجل هذه الآية بها أن لا ينبغي للإنسان أن يتحرج وأن ما مضى مضى في فعل الجاهلية، ويبقى الأمر أنه شعيرة من شعائر الله وركن من أركان الحج والعمرة.

وقد بينت هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيما سبق أنه حين قدم رقى الصفا وقرأ الآية وقال ما ذكرته آنفاً.

← **مسألة: اختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا والمروة:**

أنا قلت **ركن وهذا هو الراجح** ولكن في المسألة خلاف:

• **القول الأول:** ذهب الإمام الشافعي وأحمد إلى أنه ركن من أركان الحج والعمرة، وهذا المشهور من مذهب مالك لقوله عليه الصلاة والسلام (اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي) رواه أحمد والدارقطني، وكتب بمعنى: أوجب فـ "اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي" يعني أوجب عليكم السعي، لقوله تعالى { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } وقوله عليه الصلاة والسلام (خمس صلوات كتبهن الله على العباد)

فمن تركه أو شوط منه ناسياً أو عامداً رجع من بلده أو من حيث ذكر، يعني من بلده أو قبل ما يسافر أو إن سافر يرجع، فيسعى، ولكن قبل السعي لا بد أن يطوف، لأن السعي متصل بالطواف، كما قال العلماء سواء كان بحج أو عمرة، هذا هو القول الأول أنه ركن.

• **القول الثاني:** أنه واجب وليس بركن، وهو رواية عن الإمام أحمد، وقال به طائفة من أهل العلم.

• **القول الثالث:** قال أبو حنيفة وأصحابه الثوري والشعبي أنه ليس بواجب (لا ركن ولا واجب)، فإن تركه أحد الحاجج حتى يرجع إلى بلده جبره بالدم، لأنه سنة من سنن الحج، هذا قول إنه سنة، فقول يرى إنه ركن والقول الثاني إنه واجب والقول الثالث إنه سنة.

والصحيح أنه ركن من أركان الحج كما سبق بيانه.

والنبي صلى الله عليه وسلم قد بين لنا مناسك الحج وهنا قال {اسعوا فإن الله قد كتب عليكم السعي} وأيضا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول {خذوا عني مناسككم} فصار هذا بيانا لمجمل الحج، فالواجب أن يكون فرضاً كبيانه لعدد الركعات، وهذا هو الراجح إن شاء الله أنه ركن من أركان الحج، أن السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة ركن من أركانها. قوله تبارك وتعالى {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا} فالمراد في هذا أقوال:

• **القول الأول:** الزيادة في السعي ثامنة وتسعة، أو سعي مستقل بلا حج ولا عمرة، ولكن هذا القول **غير صحيح**، كون الإنسان يزيد ثامنة وتسعة هذا قول غير صحيح.

• **القول الثاني:** قيل يطوف بينهما في حجة تطوع أو عمرة تطوع، هذا أيضا **فيه نظر**.

• **القول الثالث:** قيل المراد تطوع خيرا في سائر العبادات، **هذا صحيح** لأن التطوع في سائر العبادات والبحث عن النوافل في سائر العبادات هذا طيب.

• **القول الرابع:** قيل أي تطوع بالحج والعمرة، وهذا القول انتصر له الطبري رحمه الله، فقال "ومعنى ذلك من تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه فإن الله شاكراً له على تطوعه له بما تطوع به من ذلك ابتغاء وجهه"، وهذا هو القول

الراجح، إنما تطوع خيرا من تطوع بالعمرة والحج بعد الفريضة، أدى فريضة الحج وفريضة العمرة تطوعاً، أخذ عمرة أخذ حجاً قام بالحج قام بالعمرة هذا من التطوع، وأيضا الآية إن شاء الله جميع الأعمال الصالحة.

ختم الآية { فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } أي يثيب على القليل بالكثير، عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدا ثوابه، يقول جل وعلا { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا } فاللهم لك الحمد بالإسلام والإيمان ولك

الحمد أن علمتنا القرآن هذا والله أعلم.

الحلقة (١٥)

موضوع هذه الحلقة تفسير الآيتين (١٧٢ و ١٧٣) من سورة البقرة.

يقول الله تبارك وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } هذا تأكيد للأمر الأول في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا } وخصّ المؤمنون هنا بالذكر تفضيلاً، والمراد بالأكل الانتفاع من جميع الوجوه، وقيل هو الأكل المعتاد، والصحيح أنه يعم جميع المنافع، وهذا يأتي في القرآن كثيراً مثل قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا } فليس المقصود الأكل فقط، وإنما المقصود الانتفاع، وإنما خصّ الأكل بالذكر لأنه أقرب منتفع وأشد حاجة، فأشد الحاجات حاجة الأكل فذكر، وإلا ليس خاصاً بالأكل فقط.

ورود الحث على أن يكون زاد المؤمن حلالاً طيباً فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين)، فقال: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } ثم ذكر صلى الله عليه وسلم: (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك).

{ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ } أي أثنوا على الله بما هو أهله على النعم التي رزقكم وطيبها لكم، وهو القائل سبحانه: { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ }، ويقول سبحانه: { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا }

وقوله تعالى في ختام الآية { إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } أي كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين، فكلوا مما أباح لكم أكله وحلله وطيبه لكم، ودعوا ما يزينه الشيطان لكم من تحليل ما حرمه الله جل وعلا، فالحق أن المؤمن يؤمن ويصدق ويسمع ويطيع ويترك ما حرم الله ابتغاء ما عند الله جل وعلا وخوفاً من العقاب فكل جسم نبت من سحت فالنار أولى به، عياداً بالله جل وعلا من ذلك، فسبل الحلال والحمد لله كثيرة وهي الأغلب وهي الأكثر، وما حرم علينا إلا القليل لحكمة ومصالحة والله المستعان.

بعد ذلك يقول الله تعالى: { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }

فهذه فيها بعض المستثنيات من بعض المحرمات التي حرمت علينا يقول الله تعالى: { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ }، فقوله تعالى (إنما): أداة حصر تتضمن النفي والإثبات، فنثبت ما تناوله الخطاب وتنفي ما عداه، وقد حصرت هاهنا التحريم لبعض الأمور، وجاء أكثر من ذلك في سورة المائدة وفي مواضع أخرى وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تبارك وتعالى (الميتة) يعرف العلماء الميتة: ما فارقت الروح من غير ذكاة مما يذبح، وما ليس بمأكل فذكاته كموته كالسباع وغيرها، هذا من المعلوم أنه لا يؤكل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذي مخلب من الطير، وعن كل ذي ناب من السباع، وهذه الآية العامة دخلها التخصيص في قوله صلى الله عليه وسلم: (أحلت لنا ميتتان الحوت والجراد و دمان الكبد والطحال) أخرجه الدارقطني، وكذلك حديث جابر في العنبر يخصص عموم القرآن بصحة سنده وقد رواه البخاري ومسلم لما شارف الصحابة على الهلاك وجدوا حوتاً ضخماً فأكلوا منه وذهبوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى آخر القصة التي تدل على تخصيص هذه الآية.

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في مسألة الجراد حديث عبد الله بن أبي أوفى صحيح مسلم (غزونا مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم سبع غزوات كنا نأكل الجراد معه) وظاهر هذا الحديث أكله كيف مات، سواء مات بعلاج أو حتف أنفه أو ضرب لأن الجراد لا يحتاج إلى تذكية، والتذكية تحتاج إلى ما يحتاج أن يذكر فقط.

❖ مسائل مرتبطة في الميتة

← **المسألة الأولى:** اختلف العلماء هل يجوز أن ينتفع بالميتة؟

قيل يجوز الانتفاع بها لأن النبي صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميمونة فقال (هلا أخذتم إهابها) الحديث. قول آخر: أن جملتها محرمة، فلا يجوز الانتفاع بشيء منها على أي وجه من وجوه الانتفاع، وهذا القول هو ظاهر قوله تعالى {حَرَّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ} هذا عام، وقد خصص بحديث ميمونة وروايات أخرى، كقوله صلى الله عليه وسلم (لا تنتفعوا من الميتة بشيء) ثم جاء بعد ذلك أمره صلى الله عليه وسلم بالانتفاع بجلد الميتة للحديث السابق (هلا أخذتم إهابها فدبغتموه) وعلى أية حال هذه أدلة مبنية فهذا عام وهذا خاص والحمد لله.

← **المسألة الثانية:** إذا نحررت الناقة أو ذبحت البقرة أو الشاة وكان في بطنها جنين ميت، الصحيح أنه جائز أكله من غير تذكية له في نفسه، لأن ذكاة الجنين ذكاة أمه، كما ثبت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن يخرج حياً فيذكي الذكاة الشرعية ويكون له حكم نفسه، أما إذا خرج ميتاً بعد ذكاة أمه فذكاته ذكاة أمه على ما سبق.

← **المسألة الثالثة:** اختلف العلماء في جلد الميتة، هل يطهر بالدباغ؟

قيل أنه يطهر، وقول آخر أنه لا يطهر، والصحيح أنه يطهر لقوله صلى الله عليه وسلم (أيما إهاب دبغ فقد طهر). أما شعر الميتة وصفوها فظاهر سواء جز منها في حياتها أو بعد موتها، ولا حرج في استعماله، قال العلماء لأنه كان طاهراً لو أخذ منها حال الحياة، فوجب أن يكون كذلك بعد الموت، إلا أن اللحم لما كان نجساً في حال الحياة كان كذلك بعد الموت، إلا أن يذكي الذكاة الشرعية كما قال العلماء.

قوله تعالى: "والدم" اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به، فلا يدخل فيه التبرع بالدم بل هو من أفضل الأعمال التي يتقرب بها لإنقاذ أخيه المسلم.

فعلى كل حال أن العلماء قالوا أن الدم حرام ونجس لا يؤكل ولا ينتفع به، لكن الذي تعم به البلوى معفو عنه، مثل الدم الذي يكون في اللحم والعروق وما يقع على البدن أو الثوب فلا حرج فيه فالشيء اليسير معفو فيه.

يقول تعالى: { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا }، فالمحرم هو الدم المسفوح الذي يخرج بعد الذبح مندفعاً، وهو النجس الذي حرمه الله تعالى، ولأن التحفظ من هذا فيه إصر وفيه مشقة والإصر والمشقة في الدين موضوع؛ وهذا أصل في الشرع أنه كلما حرجت الأمة في أداء العبادة وثقل عليها خفف عنها وهذا من فضل الله تبارك وتعالى، فحينئذ ما خالط اللحم من دم يسير وبقي في العروق فهذا لا حرج فيه وإنما النجس هو الدم المسفوح.

وقوله تعالى {وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ} خص الله تبارك وتعالى ذكر اللحم من الخنزير ليدل على تحريم عينه، ذكي أم لم يذكي وهو يعم الشحم والغضاريف والكبد وغيره، وقد أجمعت الأمة على تحريم ذلك كله ولا خلاف في تحريم الخنزير، سواء كان في البر أو خنزير البحر على الصحيح في مسألة خنزير البحر أنه محرم، والخلاف فيه خلاف يسير والصحيح أنه محرم كغيره، وقد ذكر

اللحم هنا لأمرين:

الأول: لأنه أقرب منتفع به، **والثاني:** تأكيداً له بعينه وتخصيصاً له بالذكر في التحريم؛ ومما لا شك فيه أن لحم الخنزير أكله فيه

من المضار والأمراض فهو يتغذى على العذرات والأقذار، وقد ذكر الإمام ابن القيم أن أكله يذهب الغيرة من الرجل. وقوله تعالى: { وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ } أي ما ذبح لغير الله أو ذكر عليه غير اسم الله تعالى وهو ذبيحة المجوسي والوثني وغيرهم مما لم يذبح لله تعالى، فالوثني يذبح للوثن والمجوسي للنار، فهؤلاء ذبائحهم لا تحل، سواء قيل عليها بسم الله ولكن نوى به غير الله عز وجل، مثل من يذبح لأصحاب القبور والأضرحة ليتقرب لله عز وجل، ناوياً التقرب لصاحب القبر ليشفي له مريضاً أو نحوه من العبادات التي لا تصرف إلا لله، فإن ذلك شرك وسواء، من صرح بغير اسم الله فلا شك في كونه محرماً، كما ذبح للنار أو للصنم فكل ذلك حرام، لأن الله تعالى يقول: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }، { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (لعن الله من ذبح لغير الله)

{ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ } " قال العلماء الإهلال رفع الصوت، يقال أهل بكذا أي رفع صوته، ومنه إهلال الصبي واستهلاله وهو صياحه عند ولادته، وقد جرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة، وغلب ذلك باستعمالهم حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم.

وقوله تعالى { فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ } أي من اضطر إلى شيء من هذه المحرمات، كمن أكره من ظالم، أو مجوع، فلو أكل وهو مضطر فإن الله يعفو عنه ويتجاوز عنه، قوله { غَيْرَ بَاغٍ } نصب على الحال أي لا باغياً، ولا عادياً، وقيل على الاستثناء، وبأغ أصله باغي، ولكن حذفت الياء وجعل التنوين علامة عليها.

وقد اختلف في المراد بقوله تعالى: { غَيْرَ بَاغٍ } على أقوال:

- القول الأول: قال قتادة والحسن والربيع وابن زيد وعكرمة غير باغ في أكله فوق حاجته، ولا عاد بأن يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها، يأكل ما يسد رمقه ويسكّن جوعته، لكن يأكل ويتمادي ليسمن نفسه هذا لا يجوز.
- القول الثاني: قال السدي غير باغ في أكلها شهوة وتلذذاً، ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع.
- القول الثالث: قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما غير باغ على المسلمين، ولا عاد عليهم، وهذا مذهب طائفة من العلماء أنه لو كان قاطعاً للطريق ويعتدي على المسلمين فلا يجوز له أن يترخص بأكل هذه المحرمات فيزداد بغياً وعدواناً على الناس، وهذه المسألة سوف نذكرها بالتفصيل.

قال القرطبي: وهذا صحيح، أي مرجحاً قولهم، فإن أصل البعض في البغي قصد الفساد يقال بغت المرأة تبغي بغاءً إذا فجرت، وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد، والعرب تقول: خرج الرجل في بغاء إبل له أي في طلبها. قوله تعالى: { وَلَا عَادٍ } أصله عائد فهو من المقلوب، قلب مكان، كشاكي السلاح فالأصل شائك، فأباح الله تعالى في حالة الاضطرار أكل جميع المحرمات إذا عجز واضطر غير باغ ولا عاد، فإنه يجوز له أن يأكل منها.

← مسألة: اختلف العلماء إذا اقترن بضرورته معصية، كقطع الطريق وإخافة السبيل هل يأكل من هذه المحرمات، على قولين:

أحدهما: لا يجوز له الأكل من هذه المحرمات وهو قول مالك والشافعي في أحد قوليه لأجل معصيته، لأن الله سبحانه وتعالى أباح ذلك عوناً له، والعاصي لا يحل أن يعان على معصيته، فإذا أراد أن يأكل فليتب إلى الله جل وعلا.

والثاني: أنه يباح له قاله أبو حنيفة والشافعي في القول الآخر، والحقيقة أن لكلا القولين فيه حظ من النظر ولعل الأقرب هو قول من قال بأنه يجوز له بأن يأكل ولعل الله جل وعلا أن يهديه، وما أجمل ما قاله ابن القيم: "ما أحقك يا ابن آدم تعصى

الله بنعم الله"

ثم ختم الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي يغفر المعاصي فأولى أن لا يؤاخذ بما رُخص فيه بل من رحمته جل وعلا أنه رخص لعباده أن يأكلوا من تلك المحرمات للضرورة.

بعض المفسرين يقول أن هناك شيء محذوف أي من اضطر غير باغ ولا عاد فأكل فإن الله غفور رحيم، وعموماً فيها بيان أن من أكل من هذه المحرمات غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم، والحمد لله.

الحلقة (١٦)

تفسير الآيتين (١٧٨، ١٧٩) من آيات الأحكام من سورة البقرة:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْوٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

◀ **سبب نزول الآية:** أن بني النضير غزت بني قريظة في الجاهلية وقهروهم، وكان إذا قتل النضيري القرطي لا يقتل به، بل يفادى بمائة وسق من التمر، وإذا قتل القرطي النضيري قتل، وإن فادوه فدوه بمائتي وسق من التمر ضعف دية القرطي، فأمر الله تعالى العدل بالقصاص وألا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين لأحكام الله جل وعلا.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان في بني إسرائيل القصاص، ولم تقم فيهم الدية، فقال الله لهذه الأمة {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ} الآية.

فالعفو أن يقبل الدية في العمد، {فاتباعه بالمعروف وأداءً إليه بإحسان} وهذا من فضل الله **أن جعل الله لهذه الأمة ثلاثة أمور:** إما القصاص، وهناك العفو الناقص بأن يطلب الدية، وهناك العفو الكامل بأن لا يطلب دية ولا قصاصاً.

قوله تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ} أي فرض وأثبت، والقصاص مأخوذ من قَصَّ الأثر، وهو اتباعه، ومنه القاص لأنه يتبع الآثار والأخبار، فكأن القاتل سلك طريقاً من القتل فقص أثره فيها، ومنه قوله تعالى: {فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا}، وقيل القص القطع، يقال قصصت ما بينهما، ومنه أخذ القصاص لأنه يجرحه مثل جرحه أو يقتل به.

◀ **مسألة:** لا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيمه إلا ولي الأمر، وهذا من الحقوق الواجبة على ولاية الأمور، ويختصون بها أنهم هم الذين يقيمون القصاص، وهذا مقرر في عقيدة السنة والجماعة، فبهم تقام الحدود وتنفذ أحكام الشريعة، وهذا مذكور في (لمعة الاعتقاد).

◀ **مسألة:** لو قيل أن القصاص مكتوب على هذه الأمة وهو لازم وفرض؛ فكيف يكون القصاص غير واجب، كمن أراد عفواً ناقصاً بدية أو كاملاً بدون دية؟

فيكون الجواب: إذا أردتم القصاص، فأعلم الله تعالى عباده أن القصاص هو الغاية عند التشاح.

وقوله تعالى {فِي الْقَتْلِ} القتل جمع قتيل، لفظ مؤنث تأنيث الجماعة.

وقوله تعالى {الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى} اختلف في تأويل هذا **على قولين:**

الأول: قالت طائفة جاءت الآية مبينة لحكم النوع إذا قتل نوعه، فبينت حكم الحر إذا قتل حراً، والعبد إذا قتل عبداً، وهكذا وقالوا إن الآية لم تتعرض لأحد النوعين إذا قتل الآخر، فالآية محكمة وفيها إجمال يبينه قوله تعالى: {وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ}

فيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} وبينه صلى الله عليه وسلم بسنته لما قتل اليهودي بالمرأة التي رض رأسها بين حجرين.

الثاني: قالوا إنها منسوخة بآية المائة.

ولكن الأقوى والأفضل هو القول الأول وهو الأولى.

← **مسألة: ١**، ذهب الكوفيون والثوري إلى قتل الحر بالعبد والمسلم بالذمي، واحتجوا بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ} وقالوا إن هذه الآية عامة وقوله {وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} فقالوا والذي مع المسلم متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص، وهي حرمة الدم الثابتة على التأييد، فإن الذي يحقون الدم على التأييد، والمسلم كذلك، وكلاهما قد صار من أهل دار الإسلام، والذي يحقق ذلك أن المسلم يقطع بسرقة مال الذمي، وهذا يدل على أن مال الذي ساوى مال المسلم، إلى آخر قولهم.

٢، **الجمهور من العلماء قالوا:** لا يقتل الحر بالعبد للتنويع والتقسيم في الآية، وقالوا أيضاً إن المسلم لا يقتل بالكافر، ذمياً أو معاهداً، ولكن إذا رأى ولي الأمر أنه يقتل من باب كف الشر وقطع دابر الفساد فله ذلك.

الجمهور أيضاً على أنه لا يقتل مسلم بكافر ولقوله صلى الله عليه وسلم (لا يقتل مسلم بكافر) رواه البخاري، أما حديث أنه صلى الله عليه وسلم قتل يوم خيبر مسلماً بكافر فهذا لا يصح عنه صلى الله عليه وسلم وهو منقطع.

والحديث الذي أخرجه البخاري هو صحيح وهو يخص عموم الآية {وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ}.

← **مسألة:** أجمع العلماء على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل سيان كما سبق بيانه، وكذلك القصاص بينهما فيما دون النفس.

← **مسألة:** روى الدارقطني والترمذي عن سراقه بن مالك قال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد الأب من ابنه ولا يقيد الابن من أبيه، وهذا الحديث فيه كلام لأهل العلم ونقاش طويل، وهي لو أن أباً قتل ابنه أو أن ابناً قتل أباه، أما لو قتل الابن أباه فإنه يقتل، لكن لو قتل الأب ابنه فيه أقوال لأهل العلم، منهم من يرى أنه لا يقتل، لأن الأب هو سبب وجود الابن، ومنهم من يقول أنه يقتل، وهذه مسألة خلافية لا تناقش هنا.

مسألة: استدل الإمام أحمد بهذه الآية على أنه لا تقتل الجماعة بواحد، قال لأن الله شرط المساواة ولا مساواة بين الجماعة والواحد، وقد قال تعالى: {وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ}، ولكن يرد عليهم أن المراد قتل من قتل كائناً من كان، لأن العرب كانت تريد أن تقتل بمن قتل من لم يقتل، وتقتل في مقابلة الواحد مائة شخص افتخارا واستظهاراً، وهذه الآية رداً على العرب، فمن العرب من يرى إذا قتل شخص شخصاً فإنهم يقتلون شخص آخر لا القاتل أو يقتلون مائة شخص وهذا من ظلمهم وتجاوزهم، ولهذا ورد أن عمر قتل سبعة برجل (بصنعاء) وقال رضي الله عنه مقولته المشهورة (لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعاً)، وقتل علي رضي الله عنه الحرورية بعبد الله بن خباب، فإنه توقف عن قتالهم حتى يحدثوا، فلما قتلوا ابن خباب كما تذبج الشاة وأخبر علي بذلك، أمر بقتلهم في قصة معروفة.

وهذا هو الراجح أنه لو تمالأ قوم، عدد، على قتل شخص واحد فإنهم يقتلون به.

← **مسألة:** قال أهل العلم ولي المقتول بالخيار؛ إن شاء اقتص، وإن شاء أخذ الدية، وإن لم يرض القاتل.

قوله تعالى: {فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ} أي ترك له دمه، في أحد التأويلات، ورضي منه بالدية {فاتباعاً بالمعروف} أي فعل صاحب الدم اتباعاً بالمعروف في المطالبة بالدية، وعلى القاتل أداء إليه بإحسان أي من غير ممانعة أو تأخير عن الوقت.

قوله تعالى: {ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ} أي من كان قبلنا لم يفرض الله عليهم غير النفس بالنفس، ففضل الله على هذه الأمة بالدية إذا رضي بها ولي الدم، فالحمد لله، وعندنا ما هو أفضل منها وهو العفو الكامل؛ يقول ابن عباس رضي الله عنهما (رحم الله هذه الأمة وأطعمهم الدية ولم تحل لأحدٍ قبلهم) فكان أهل التوراة إنما هو القصاص وعفو ليس بينهم أرش،

وكان أهل الإنجيل إنما هو عفوٌ أمروا به، وجعل لهذه الأمة القصاص والعفو والأرش والحمد لله.
قوله تعالى: { **ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ** } لأن أهل التوراة كان لهم القتل، ولم يكن لهم غير ذلك، وأهل الإنجيل كان لهم العفو، ولم يكن لهم قودٌ ولا دية، ولكن هذه روايات، فإن المشهور عن اليهود كان عندهم القتل والنصاري عندهم العفو فقط.

قوله تعالى: { **فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ** } أي قتل بعد أخذ الدية وسقوط الدم قاتل وليه، فمثلاً إنسان اعتدى بعدما أخذ الدية ولكن ذهب وقتل القاتل، أو قتل أكثر، { **فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** } قال الحسن: (كان الرجل في الجاهلية إذا قتل قتيلاً فر إلى قومه، فيجيء قومه فيصالحون بالدية، فيقول ولي المقتول إني أقبل الدية حتى يأمن القاتل ويخرج فيقتله، ثم يرمي إليهم بالدية، والعياذ بالله، فهذه خديعة لأنه يريد أن يقبض على القاتل فيقبل بالدية حتى يأمن القاتل فيخرج إليه فيقتله، وهذا من بغي الجاهلية وظلمها.

وقد روى الإمام أحمد عن أبي شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من أصيب بقتل أو خبل، فإنه يختار إحدى ثلاث: إما أن يقتص، وإما أن يعفو وإما أن يأخذ الدية؛ فإن أراد الرابعة، فخذوا على يديه)، يعني أن يريد الدية ويريد أن يقتل أي يجمع بين الاثنتين، فخذوا على يديه ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالداً فيها.

الآية الثانية رقم (١٧٩) من سورة البقرة:

{ **وَأَنكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** }

وهذا من الكلام البليغ والوجيز، بمعنى أن القصاص إذا أقيم وتحقق ازدجر من يريد قتل الآخرين، وحياء الناس حياة طيبة لا تنغصها القلاقل ولا يخافون، بل يأمنون على أنفسهم ودمائهم، وهذا من حكم القصاص العظيمة، والعلماء يقولون أن الإنسان إذا كان فيه عضو فاسد في جسده وطلب الأطباء منه أن يقطع، ألا يضحى بهذا العضو من أجل سلامة جسده؟! بلا شك سيوافق، والعرب يقولون القتل أنفى للقتل، وهذا من حكم العرب والنكات البلاغية في هذه الآية، ولا مقارنة بين كلام الله وكلام العرب.

وهذه الآية فيها تأكيد لما سبق وهو أن العلماء أجمعوا أن هذا من حقوق السلطان أو ولي الأمر إقامة القصاص، وأنه لا يجوز لأحد أن يتعدى أو يقتل أو يقتص لنفسه فهذا خطأ، بل هذا من حقوق ولي الأمر وهو من الواجبات عليه، بأن يقيم الحدود والقصاص بين الناس وأيضاً يشمل نفسه إذا تعدى على أحد من الرعية، فهو واحد منهم، فثبت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرجل شكى إليه عاملاً قطع يده: لئن كنت صادقاً لأقيدنك منه، وروى النسائي عن أبي سعيد الخدري قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم شيئاً إذ أكب عليه رجل فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرجون كان معه، فصاح الرجل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعال فاستقد)؛ قال: بل عفوت يا رسول الله).

وروى أبو داود الطيالسي خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ألا من ظلمه أميره فليرفع ذلك إليّ أقيده منه، فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه يا أمير المؤمنين لئن أدب رجل مئاً رجلاً من أهل رعيته لتقصنه منه؟ قال: فكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه، ومنه قصة الرسول في غزوة أحد لما كان يسوي الصفوف، فنهز رجلاً في بطنه فصاح ثم قال يا رسول الله: إنك طعننتني في بطني، فقال عليه السلام: استقد مني، فطلب من الرسول أن يكشف له، فقبل جسد النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أن يكون هذا آخر ختام له من الدنيا وأظنه استشهد في تلك المعركة.

قوله تعالى: {يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} أي يا أصحاب العقول السليمة، {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} أي تتقون القتل فتسلمون من القصاص، فيكون ذلك داعية لأنواع التقوى في غير ذلك، فإن الله يثيب بالطاعة على الطاعة، وقيل لعلكم تنزجرون وتركون محارم الله ومآثمه.

والتقوى: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، تتقي بها عقاب الله، بأن تفعل أوامره واجتنب نواهيه، وقد روي عن سلفنا الصالح رحمهم الله أقوال في المراد بالتقوى ذكرها فيه بعض أسسها وقواعدها، كقول علي رضي الله عنه التقوى: "هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة من الدنيا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل".

وقال عبد الله بن مسعود: "التقوى أن يطاع الله فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر"، وقال طلق بن حبيب: "التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تحشى عقاب الله"، وقال الحسن البصري رحمه الله: "التقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك".

الحلقة (١٧)

تفسير الآيات (١٨٠، ١٨١، ١٨٢) من سورة البقرة

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ}

قوله تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمْ} معناه فرض وأثبت فإن قيل: لم قال كتب، ولم يقل كتبت والوصية مؤنثة؟، فالجواب إنما قال ذلك لأنه أراد بالوصية الإيصاء بالوصية، وقيل لأنه تخلل فاصل، فكان الفاصل كالعوض عن تاء التأنيث، تقول العرب: حضر القاضي اليوم امرأة، فلما كان الفاصل ذهبت تاء التأنيث، ولم يقل حضرت المرأة القاضي اليوم. وقوله {إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} ليس المراد والمقصود هو الموت وإنما المقصود أسباب الموت، ومتى حضر السبب استغنت (كنت) به العرب عن المسبب.

اشتملت هذه الآية الكريمة على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين:

١، قال العلماء: كان ذلك واجباً على أصح القولين قبل نزول آية الموارث، أي أن الإنسان يجب أن يوصي لوالديه وأقاربه، فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه الآية، فأصبحت الموارث المقدره فريضة من الله يأخذها أهلها حتماً من غير وصية، ولهذا جاء في الحديث في السنن وغيرها عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إِن اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِمَوْتٍ}، وعن محمد بن سيرين قال: جلس ابن عباس فقرأ سورة البقرة حتى أتى هذه الآية {إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ} فقال نسخت هذه الآية.

٢، وقيل إنها منسوخة فيمن يرث، وثابتة فيمن لا يرث، ولكن على قول هؤلاء لا يسمى هذا نسخاً في اصطلاحنا المتأخر، وعلى كل حال هذا مذهب كثير من العلماء أن الوصية في حق من لا يرث، بل جاء في الحديث الآخر {إِلَّا أَنْ يَجِيزَ الْوَرِثَةُ} فلو أوصى لوارث، مثلاً أب له خمسة أبناء أوصى لواحد منهم، فالورثة بعد ذلك لهم الحق، إن أرادوا تنفيذ وصية والدهم برأ بوالدهم وصلة لرحمهم فهذا طيب، وإن لم ينفذوه فالشأن لهم.

قوله تعالى أي {إِن تَرَكَ خَيْرًا} مالا قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهم، وبعضهم قال إنما المقصود بالمال إذا كثيراً، أما إذا كان قليلاً فلا وصية فيه، لأن ذلك فيه ضرر على الورثة، ومن العلماء من عمم وقال إن هذا يشمل المال قليله وكثيره.

قوله {لِوَصِيَّةٍ} الوصية عبارة عن كل شيء يؤمر بفعله ويعهد به في الحياة وبعد الموت، وخصصها العرف بما يعهد بفعله وتنفيذه بعد الموت.

قوله تعالى: **{ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ }** الأقربون جمع أقرب، قال قوم: الوصية للأقربين أولى من الأجنبي بنص الله تبارك وتعالى عليه، حتى قال الضحاك: "إن أوصى لغير قرابته فقد ختم عمله بمعصية"، وروي عن بعض أهل العلم كالإمام أحمد قال: من أوصى لغير قرابته وترك قرابته محتاجين فبئس ما صنع، وفعله مع ذلك جائز ما ضل لكل من أوصى له، من غنى وفقير، قريب وبعيد، مسلم وكافر.

قوله تعالى: **{ بِالْمَعْرُوفِ }** أي بالعدل والإحسان والرفق، والمراد بالمعروف أن يوصي لأقاربه وصية لا تحجف بورثته، من غير إسراف ولا تقتير، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن سعداً قال له: (يا رسول الله إن لي مالاً ولا يرثني إلا ابنة لي، أ فأوصي بثلاثي مالي؟ قال: لا؛ قال: فبالشطر؟ قال: لا، قال: بالثلث: قال: بالثلث والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس).

وفي صحيح البخاري أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الثلث والثلث كثير.

قوله تعالى **{ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ }** أي ثابتاً ثبوت نظر، لا ثبوت فرض ووجوب، لأن الوصية ليست واجبة بدليل قوله **{ عَلَى الْمُتَّقِينَ }** وهذا يدل على كونها ندباً، فلو كانت فرضاً لكانت على جميع المسلمين، فلما خص الله من يتقي أي يخاف تقصيراً، دل على أنه غير لازم إلا فيما يتوقع تلفه إن مات، فليزمه فرضاً المبادرة بكتبه والوصية به في الحال، لأنه إن سكت عنه كان تضييعاً له وتقصيراً منه.

← **مسألة:** اختلف العلماء في وجوب الوصية على من خلف مالاً، بعد إجماعهم على أنها واجبة على من عنده ودائع وعليه ديون، لأن ذلك لا خلاف في كونها واجبة، لكن الخلاف في الذي عنده مال أكثر ليس فيه ديون ولا ودائع هل تجب؟ أكثر العلماء على أن الوصية غير واجبة، كما سبق بيانه على أنها واجبة على من ليس عليه شيء من ذلك وهو قول مالك والشافعي وغيرهما، وقالت طائفة الوصية واجبة على ظاهر القرآن قاله الزهري.

وقال أبو ثور: ليست الوصية واجبة إلا على رجل عليه دين أو عنده مال لقوم، وغير ذلك، **والأقرب إن شاء الله تعالى أن الوصية سنة وليست بواجبة**، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده) وفي رواية (بيت ثلاث ليال) وفيها قال عبدالله بن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي).

← **مسألة:** ذهب الجمهور من العلماء إلى أنه لا يجوز لأحد أن يوصي بأكثر من الثلث لقوله صلى الله عليه وسلم: (إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس) وقوله (الثلث والثلث كثير).

← **مسألة** أجمع أهل العلم أن للإنسان أن يغير وصيته ويرجع فيما شاء منها مادام أنه في حياة.

← **مسألة:** لا تصح الوصية لو ارث إلا إن أجاز الورثة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لو ارث إلا أن يشاء الورثة)؛ وفي بعض الروايات: (إلا أن تجيز الورثة).

يذكر المفسرون ما رواه الدارقطني عن أنس رضي الله عنه قال: كانوا يكتبون في صدور وصاياهم هذا ما أوصى به فلان بن فلان، صيغة الوصية: (أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى من ترك بعده من أهله بتقوى الله حق تقاته، وأن يصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم

مسلمون)، هذا ليس واجب ولا سنة، بل هذا درج عليه السلف الصالح أنهم كانوا يكتبونه في بداية كتابة الوصية ثم يذكرون بعدها ما يريدون الوصية به.

وقال تعالى: {فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

قوله تعالى: {فَمَنْ بَدَّلَهُ} الضمير يرجع إلى الإيصاء، وكذلك الضمير في قوله {سَمِعَهُ}، وهو كقوله تعالى: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ} أي وعظ، لأن الوصية في معنى الإيصاء وقد سبق بيانه، والمعنى أن من بدل الوصية فحرفها وغير حكمها وزاد فيها أو نقص وكذلك كتبها كل هذه المعاني داخلية في التبديل الذي تُوعَد من وقع فيه.

قوله تعالى: {بَعْدَ مَا سَمِعَهُ} يحتمل أن يكون سمعه من الوصي نفسه، ويحتمل أن يكون سمعه ممن يثبت فيه ذلك عنده.

وقوله تعالى: {فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ} الضمير إثمه عائد على المبدل لا على الموصي.

وقوله تعالى: {سَمِيعٌ عَلِيمٌ} إثبات صفة السمع والعلم لله وتعالى.

❖ استنبط العلماء من هذه الآية:

١، الدين إذا أوصى به الميت خرج عن ذمته، ووجب على وليه الاستعجال في قضائه وعليه الوزر في تأخيره.

٢، لا خلاف أنه إذا أوصى بما لا يجوز، كمن أوصى بخمر أو خنزير أو شيء من المعاصي فإنه يجوز تبديله ولا يجوز إمضاؤه؛ كما لو أوصى بأكثر من الثلث أيضاً.

٣، إن الله تعالى لا يخفى عليه من جنف الموصين وتبديل المعتدين.

قوله تبارك وتعالى: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ} رقم الآية ١٨٢

قوله تعالى: {فَمَنْ خَافَ} أي خشي وقيل علم؛ فمن خشي من هذا الموصي جنفاً أو إثماً.

قوله تعالى {مِنْ مَوْصٍ} فيها قراءتان؛ قرأ بالتشديد (مَوْصٍ) أبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وخفف الباقون (مِنْ مَوْصٍ).

قوله تعالى: {جَنَفًا} الجنف هو الجور، وقيل الجنف الميل؛ يقال أجنف الرجل أي جاء بالجنف، كما يقال أأم أي أتى بما يلام عليه، وتجانف لإثم أي مال؛ قال مجاهد: أي فمن خاف أي من خشي أن يجنف الموصي ويقطع ميراث طائفة ويتعمد الأذية أو يأتيها دون تعمد ذلك هو الجنف، فإن تعمد فهو الجنف في إثم؛ والمعنى على الموصي؛ فإن خاف أن يحرم بعض الورثة أو يوصي بشيء كثير ليضر بهم أو نحو ذلك، {فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ} يعني من وعظ في ذلك وأصلح ما بينه وبين ورثته أو بين الورثة فيما بينهم فهو على أجره، {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ} فإن أصلح بينهم فلا إثم على الموصي إذا عملت فيه الموعظة، ورجع عما أراد من الأذية؛ قال ابن عباس وقتادة والربيع وغيرهم معنى الآية من علم وراءه وأتى على علمه بعد موت الموصي أن الموصي جنف وتعمد أن أذية بعض ورثته فأصلح ما وقع بين الورثة من الإضرار والشقاق فلا إثم عليه، أي لا يلحقه إثم المبدل المذكور قبل، وإن كان في فعله تبديل ما، ولكنه تبديل لمصلحة فلا حرج عليه، والتبديل الذي فيه الإثم هو تبديل الهوى، فللموصي أن يصلح القضية ويعدل فيها على الوجه الشرعي، ولكن بعد مشورة القاضي وليس له أن يبذل من تلقاء نفسه، لأنه باجتهاداته الفردية قد يزل أو يُتَّهم فهذا أفضل وأولى.

الخطاب في قوله تعالى: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا} الأصل أنه لجميع المسلمين، أي إن خفتهم من موصٍ ميلاً في الوصية وعدولاً عن الحق ووقوعاً في إثم ولم يخرجها بالمعروف، وذلك بأن يوصي بالمال إلى زوج ابنته أو لولد ابنته لينصرف المال إلى ابنته، أو أوصى لابن ابنة والغرض أن ينصرف المال إلى ابنه، أو أوصى لبعيد وترك القريب، فبادروا إلى السعي في الإصلاح

بينهم، فإذا وقع الصلح سقط الإثم عن المصلح، والإصلاح فرض كفاية إن قام به البعض سقط الإثم عن الباقين وإن لم يفعلوا أثم الكل.

← **مسألة:** بعض الناس لا يوصي بما عنده من خير إلا إذا مات، فلماذا لا يوصي حال حياته ولا يتصدق حال حياته ويوزع المال بيديه، فهذا أفضل، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما سئل أي الصدقة أفضل قال: (أن تصدق وأنت صحيح صحيح تحشى الفقر وتأمّن الغنى).

← **مسألة:** قال العلماء من لم يضر في وصيته، من باب الترغيب، كان كفارة لما ترك من زكاة أو تقصير فقد روى الدارقطني عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حضرته الوفاة فأوصى فكانت وصيته على كتاب الله كانت كفارة لما ترك من زكاته)؛ فإن ضر في الوصية فقد روى الدارقطني عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الإضرار في الوصية من الكبائر)؛ وروى أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرها الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار).

وجاء في حديث عمران بن حصين أن رجلاً أعتق ستة مملوكين له عند موته، ولم يكن له مال غيرهم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فغضب من ذلك وقال: (لقد هممت أن لا أصلي عليه، ثم دعا مملوكيه فجزأهم ثلاثة أجزاء، ثم أقرع بينهم فأعتق اثنين، وأرق أربعة)، ورواه مسلم إلا أنه قال في آخره: وقال له قولاً شديداً بدل قوله (لقد هممت أن لا أصلي عليه)؛ فكفى بذلك زاجراً وواعظاً في عدم الإضرار بالوصية.

الحلقة (١٨)

موضوع الحلقة: تفسير الآيتين (١٨٣) (١٨٤) من سورة البقرة.

يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} قوله تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} يأمر الله تعالى عباده المؤمنين ويحاطبهم أمراً لهم بالصيام وهو: الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع وسائر المفطرات بنية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والصيام في اللغة: الإمساك وترك التنقل من حال إلى حال.

ويقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام، قال تبارك وتعالى مخبراً عن مريم {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا} أي سكوتاً عن الكلام، والصوم ركود الريح وهو إمساكها عن الهبوب.

❖ فضل الصيام:

فضله عظيم وثوابه كثير فالله جل وعلا قد اختصه بنفسه قال الله عز وجل في الحديث والقدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) الخ.

قال العلماء وإنما خصّ الصوم بذلك، وإن كانت العبادة كلها له، لأمرين باين الصوم بهما سائر العبادات:

١. أن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها مالا تمنع منه سائر العبادات، يمنع الأكل والشرب والجماع وغير ذلك من المفطرات.

٢. أن الصوم سر بين العبد وبين ربه لا يظهر إلا له، فلذلك أصبح مختصاً به وما سواه من العبادات ظاهر، فلربما فعل شيء من العبادات تصنعاً ورياء، فلهذا أصبح الأجر أخصّ بالصوم من غيره.

قوله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ}

ذكر جلّ وعلا: أنه كما أوجبه على هذه الأمة فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوةً فليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك.

وقد اختلف أهل التفسير في موضع التشبيه في قوله { كما كتب على الذين من قبلكم }، التشبيه يرجع إلى من ؟

له عدة أقوال:

• **القول الأول:** قال الشعبي وقتادة التشبيه يرجع إلى وقت الصوم وقدر الصوم، فإن الله تعالى كتب على قوم موسى وعيسى صوم رمضان فغيروا، وزاد أحبارهم عليه أياماً، وغيروه عن وقته، وقال مجاهد كتب الله صوم شهر رمضان على كل أمة فأخذت الأمم بالوثيقة فصاموا قبل الثلاثين يوماً وبعدها يوماً، قرناً بعد قرن حتى زادت عليهم الأيام.

• **القول الثاني:** أن التشبيه راجع إلى أصل وجوبه على من تقدم، لا في الوقت والكيفية، التشبيه في الأصل أنه واجب فهو واجب علينا في هذه الأمة.

• **القول الثالث:** أن التشبيه واقع على صفة الصوم الذي كان عليه من منعهم من الأكل والشرب والنكاح، فإذا حان الإفطار فلا يفعل هذه الأشياء من نام، وكذلك كان في النصارى أولاً، وكان في أول الإسلام ثم نسخ لقوله تعالى: { **أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ** } .

• **القول الرابع:** قال معاذ بن جبل وعطاء التشبيه واقع على الصوم لا على الصفة ولا على العدة، وإن اختلف الصيامان بالزيادة والنقصان والمعنى { **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** } أي في أول الإسلام ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، { **كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** } وهم اليهود، لكن هذا القول فيه نظر وليس عليه دليل، **والصحيح أصل الصوم فرض علينا كما فرض على أولئك.**

قوله تبارك وتعالى: { **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** } هذه أهم حكمة ومصلحة من مصالح الصيام، وهو تحقيق مقام التقوى لله جلّ وعلا، قال أهل العلم لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان.

ولهذا ثبت في الصحيحين (**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**) قيل المعنى تتقون: أي تضعفون، فإنه كلما قل الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصي، وقيل لتقوا عن المعاصي، وقيل هو على العموم، وهذا هو الصحيح، أن الصوم كما قال صلى عليه وسلم: "هو جنة"، أي أنه حاجز يمنع الإنسان من الوقوع فيما حرم الله تبارك وتعالى، وهذا هو الفائدة المرجوة، فمن أهم حكم الصيام: تحقيق مقام التقوى لله سبحانه وتعالى.

آية (١٨٤) قال تبارك وتعالى { أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }

قوله سبحانه وتعالى { **أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ** } اختلف في نصب أيام، فقيل هو منصوب لأنه مفعول ثانٍ لكتب { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ** } وقيل نصب على الظرف بكتب أي: كتب عليكم الصيام في أيام إما أنه مفعول ثاني أو ظرف سيان.

{ **أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ** } : المراد بها شهر رمضان، يقول العلماء هذا مما يدل على سرعة انقضاء الشهر، وهذا من باب التسهيل والتحبیب للطاعة، أن شهر رمضان ليس طويل ليست أشهر، شهر واحد أيام معدودات تنقضي عن قريب.

قوله تبارك وتعالى { **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً** } المريض كما قال العلماء له عدة أحوال:

١، أن يكون مرضه لا يرجى برؤه كصاحب السرطان ونحوه، فلا يجب عليه الصيام لأنه لا يستطيعه، والله جلّ وعلا يقول

{ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** } وقال سبحانه: { **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** }، لكن يجب عليه أن يطعم بدل الصيام عن كل يوم مسكينا، لأن الله سبحانه جعل الإطعام معادلاً للصيام حين كان التخيير بينهما أول ما فرض الصيام، فتعين أن يكون بدلاً عن الصيام عند العجز عنه لأنه معادل له، ويختار في الإطعام بين أن يفرقه حياً على المساكين، لكل واحد مد من البر، ربع الصاع النبوي، ووزنه أي المد نصف كيلو، وعشر غرامات بالبر الرزين الجيد، وبين أن يصلح طعاماً فيدعوا إليه مساكين بقدر الأيام التي عليه، هذا إذا كان مرضه لا يرجح برؤه لا يجب عليه الصوم ويطعم بدله.

٢، أن لا يشق عليه الصوم ولا يضره فيجب عليه الصوم لأنه ليس له عذر يبيح الفطر.
٣، أن يشق عليه الصوم ولا يضره فيه مشقة ولا ضرر شديد فيفطر، لقوله تعالى: { **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** } ويكره له الصوم مع المشقة، لأنه خروج عن رخصة الله وتعذيب لنفسه وفي الحديث { **إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ أَنْ تَوَقَّى رِخْصَهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تَوَقَّى مَعْصِيَتَهُ** } رواه أحمد وابن حبان وغيرهما.

٤، أن يضره الصوم فيجب عليه الفطر ولا يجوز عليه الصوم، لأنه يقتل نفسه والله جل وعلى يقول: { **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** } وقال تعالى: { **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** } وقال عليه الصلاة والسلام { **إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا** } رواه البخاري.

٥، لو حدث له المرض في أثناء نهار رمضان وهو صائم وشق عليه الإكمال جاز له الفطر لوجود المبيح للفطر.
٦، لو برأ في نهار رمضان وهو مفطر لم يصح صوم ذلك اليوم إذا كان قد أفطر في أوله ولم يبيت النية فإنه لا يقبل له، وأيضاً إذا كان يجلب له المرض أو يؤخر برؤه وجب عليه أن يفطر، فإنه لا يجوز له أن يشق على نفسه.
قوله تبارك وتعالى: { **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ** } اختلف العلماء في السفر الذي يجوز فيه الفطر والقصر بعد إجماعهم على جواز الفطر في سفر الطاعة كالحج والجهاد، ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش والمباح فهذه جائز فيها الفطر.

لكن سفر العاصي اختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالمنع رجحه ابن عطية وجماعة من أهل العلم، وأيضاً إذا قصد بسفر التحيل على الفطر، وهناك قول آخر يجوز له الفطر مادام أنه مسافر حتى ولو كان في سفر معصية، يبدأ الرخصة إذا غادر بنيانه قال الإمام أحمد يفطر إذا برز عن البيوت لكن مادام أنه في البلد لا يجوز له أن يأخذ رخص السفر، ومن رخص السفر الفطر في نهار رمضان، مسافة القصر فيها خلاف قديم حديث، وهي كما عليه اللجنة الدائمة للإفتاء والشيخ ابن باز ٨٠ كيلومتر في السفر.

قوله تبارك وتعالى: { **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** } المفسرون يقولون هنا الحذف والتقدير: أي من كان منكم مريضاً أو مسافراً فأفطر فعليه عدة من أيام آخر، والجمهور من العلماء على أن أهل البلد إذا صاموا تسعة وعشرين يوماً وفي البلد رجل مريض فإنه يقضي تسعة وعشرين يوماً ولا يأخذ شهر، يعني يأخذ بحسب عدة ما وجد بذلك الشهر، فالله قال { **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** } ولم يقل عليه شهر آخر، فلو أفطر يوم يومين يقضي هذه الأيام، ولو أفطر الشهر كاملاً ٢٩ يقضي ٢٩....

قوله تبارك وتعالى: { **مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** } لم ينصرف "آخر" ممنوع من الصرف للوصفية والعدل، بعض أهل العلم استفاد من قول الله تعالى { **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** } أنه لم ينص على التتابع فأخذ منه العلماء أنه يجوز للإنسان أن يقضي ما أفطره من رمضان ولو مفرقاً لآجر عليه.

استفادوا من قوله عز وجل { **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** } وجوب القضاء من غير تعيين لزمان لأن اللفظ مسترسل، لا يختص بزمن

دون زمن، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت (كان يكون علي صوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان للشغل من رسول الله أو برسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي رواية (وذلك لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم).
 ← **مسألة** جمهور أهل العلم أن من أفطر في رمضان لعلة فمات من علته تلك، أو سافر ومات في سفره أن لا شيء عليه، واختلفوا في ممن مات وعليه صوم من رمضان ولم يقضه، فذهب الإمام مالك والشافعي والثوري أنه لا يصوم أحد عن أحد، وقال الإمام أحمد وإسحاق وأبو ثور وأهل الظاهر يصام عنه إلا أنهم خصصوه بالنذر، واحتج من قال بالصوم بما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) إلا أن هذا عام في الصوم، يخصه ما رواه مسلم أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه قال (جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أُمِّي قد ماتت وعليها صوم نذر وفي رواية (صوم شهر) أفأصوم عنها؟ قال: (أرأيت لو كان على أمك دينٌ فقضيته أكان يؤدي ذلك عنها قالت: نعم قال: فصومي عن أمك) وقد احتج مالك ومن وافق بقوله {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} وقوله {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} فمن مات وعليه صوم في النذر صام عنه وليه، أما القضاء في رمضان إن رغب أوليائه الصوم تبرعاً وإن لم يرغبوا فلا حرج عليهم.

قوله تبارك وتعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} في قوله تعالى {يُطِيقُونَهُ} قراءتان: قرأ الجمهور كذلك {يُطِيقُونَهُ} وقرأ ابن عباس: {يُطَوَّقُونَهُ}، والراجح وهذا الصحيح إن شاء الله: أن هذه الآية منسوخة.

{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٍ} كان في أول الإسلام الصيام على التخيير، إما أن يصوم وإما أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا، هذا في أول الإسلام ومن ثم بعد ذلك نُسخ وأمر الناس بالصيام، وهناك رأي لابن عباس رضي الله عنهما وهو قول في الحقيقة الصحيح يقول: إن الآية ليست منسوخة هو نسخ التخيير لكن بقي حكم، وأنها للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة في السن لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا، وهذا الصحيح الآن وعليه الفتوى أن الجملة بقيت في حق الرجل الكبير والمرأة الكبيرة في السن أنهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينا.

قال الحافظ ابن كثير: فحاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه، لقوله: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} هذا نسخ ما سبق، من كان مقيماً وصحيحاً فعليه الصوم، وأما الشيخ الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه، لأن ليست له حال يصل إليها يتمكن فيها من القضاء.

ولكن هل يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينا؟

فيه قولان للعلماء:

• **الأول:** أحدهما لا يجب عليه إطعام لأنه ضعيف عنه لسنه، فلم يجب عليه فدية كالصبي لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

• **الثاني:** وهو الصحيح وعليه أكثر العلماء أنه يجب عليه فدية عن كل يوم، كما فسره ابن عباس وغيره من السلف، انتهى كلام الحافظ ابن كثير، أقول: أن الآية باقية في حكم الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، أنهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينا، أما في حق الصحيح المقيم الصيام الذي ليس له عذر في أن يفطر فإن الصيام واجب، في حقه وقد نسخ بقول الله عز وجل {شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} وهذا الكلام اختاره الإمام البخاري رحمه الله فإنه قال: وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعد ما كبر عام أو عامين عن كل يوم مسكينا خبزاً ولحماً وأفطر.

الضمير في قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} اختلف، هل هو يعود على الذين يطيقون الصيام؟ أو على الذين يطيقون الصيام أن يطعموا إذا أفطروا؟ ثم نسخ بقوله وأن تصوموا؟ يجوز هذا ويجوز أن يعود على الفداء: أي وعلى الذين يطيقون الفداء فديةً، وعلى الذين يطيقون الصيام أن يصوموا أو وعلى الذين يطيقون الفدية أن يفتدوا.

قوله تبارك وتعالى {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ} اختلف بالمراد بهذا على أقوال:

- **القول الأول:** قال ابن عباس: أي فمن تطوع خيراً فزاد طعام مسكيناً آخر فهو خيرٌ له.
- **القول الثاني:** قال مجاهد من أطعم المسكين صاعاً، الواجب عليه مُد لكن لو فرضاً أعطى المسكين صاع هذا من تطوع الخير.

• **القول الثالث:** أن معناه من تطوع خيراً فصام مع الفدية، لكن الصحيح العموم كما اختاره الإمام الطبري رحمه الله: قال والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله سبحانه وتعالى ذكره، عمم بقوله فمن تطوع خيراً، فلم يخص بعض معاني الخير دون بعض، فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوع الخير، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوع الخير.

قوله تبارك وتعالى {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أي وأن تصوموا ما كتب لكم شهر رمضان خيراً لكم من أن تفتروا وتفتدوا، وكان هذا في أول الأمر، ولكن ثم نسخ والله الحمد، والأمر على الوجوب إلا في حق من له عذر، فهذا له تفصيل، {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} خير الأمرين لكم أيها الذين آمنوا من الإفطار والفدية أو الصوم على ما أمركم الله به، هذا في أول الإسلام ونسخ بعد ذلك {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} فكان ركن من أركان الإسلام، وفي هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل.

الحلقة (١٩)

موضوع الحلقة: تفسير الآيتين (١٨٦، ١٨٥) من سورة البقرة:

يقول الباري تبارك وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَعَلَّكُمُ تَشْكُرُونَ}

قوله تبارك وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ}: الشهر مشتق من الإشهار لأنه مشتهر لا يتعذر علمه على أحد يريده، ومنه يقال: شهرت السيف إذا سللته.

رمضان: مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا حرّ جوفه من شدة العطش، والرمضاء شدة الحر، ومنه الحديث: (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال) رواه مسلم.

قال الجوهري شهر رمضان يجمع على رمضانات وأرمضاء، وقد حكى الماوردي أن اسم رمضان في الجاهلية ناقص.

سبب تسمية رمضان بهذا الاسم اختلف فيه على أقوال:

• **القول الأول:** قيل أنه عندما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر، شدة الحر، وسمي بذلك.

• **القول الثاني:** إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب، أي يحرقها بالأعمال الصالحة التي تكون فيه.

• **القول الثالث:** أن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والفكرة في أمر الآخرة؛ كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس.

• **القول الرابع:** قيل هو من رمضت النصل إذا دققته بين حجرين ليرق أو ليدق، وسي الشهر به لأنهم كانوا يرمضون أسلحتهم في رمضان ليحاربوا بها في شوال قبل دخول الأشهر الحرم، والله أعلم.

امتدح الله سبحانه وتعالى شهر رمضان بقوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} امتدحه الله من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن بإنزال القرآن العظيم، وكان إنزال الصحف و التوراة و الزبور و الإنجيل على كل نبي أنزل عليه في جملة واحدة، أما القرآن وإنما أنزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُورَةٍ} ثم نزل بعد ذلك مفرقاً بحسب الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيباً في الشهور والأيام، وبهذا فسر قوله تبارك وتعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا. ثم قال سبحانه وتعالى: {هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقوه واتبعوه، "وَبَيِّنَاتٍ": أي دلائل وحجج بينة واضحة جليّة لمن فهمها وتدبرها، دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المنافي للغي، ومفرقاً بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

← مسألة تذكر عند تسمية رمضان بهذا الشهر الكريم "شهر رمضان":

روي عن بعض السلف أنه كره أن يقال رمضان وإنما يقال شهر رمضان، وروي حديث (لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان) وروي هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ضعيف.

ولقد انتصر البخاري رحمه الله وتعالى في صحيحه للجواز أن يقال [رمضان] لا حرج، وقال: باب يقال رمضان، وساق في ذلك أحاديث منها (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة) ودل ذلك على أنه يجوز قول رمضان هكذا لا حرج، والحديث في ذلك ضعيف.

قوله تبارك وتعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} هذا إيجاب حتم على من شهد استهلال الشهر، أي كان مقيماً في البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه أن يصوم لا محالة، وهذه الآية ناسخة للتخيير المتقدم في أول الإسلام لكن نُسح هذا التخيير.

← مسألة: قال أهل العلم يحكم لدخول شهر رمضان بواحد من الأمرين:

الأمر الأول: رؤية هلاله، لقوله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الهلال فصوموا)، متفق عليه.

وهنا لا يشترط أن يراه كل واحد بنفسه، بل إذا رآه من يثبت بشهادته بدخول الشهر وجب الصوم على الجميع.

شروط قبول الشهادة بالرؤية:

١/ أن يكون الشاهد بالغاً. ٢/ عاقلاً. ٣/ مسلماً. ٤/ موثقاً بخبره لأمانته وبصره.

٥/ ويثبت دخول رمضان خاصة بشهادة رجل، لقول ابن عمر رضي الله عنه (تراعى الناس الهلال فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أني رأيته فصام وأمر الناس بالصيام) رواه أبو داود والحاكم وقال على شرط مسلم.

وإذا أعلن ثبوت الشهر من قبل الحكومة في الراديو أو غيره وجب العمل بذلك في دخول الشهر وخروجه.

وإذا ثبت دخول الشهر ثبوتاً شرعياً فلا عبرة بمنازل القمر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم علق الحكم برؤية الهلال لا

بمنازله، فقال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا) متفق عليه.

الأمر الثاني: إكمال الشهر السابق قبله ثلاثين يوماً، إذا كمل شهر شعبان ثلاثين يوماً حكماً بدخول الشهر، لأن الشهر القمري لا يمكن أن يزيد على ثلاثين يوماً، ولا ينقص عن تسعة وعشرين يوماً، فمتى تم الشهر السابق ثلاثين يوماً حكماً شرعاً بدخول الشهر الذي يليه وإن لم ير الهلال، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين) رواه مسلم رواه البخاري في لفظه إن غمي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين.

قال تبارك وتعالى: {وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} المراد هنا في الآية من كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه، أو يؤذيه، أو كان على سفر، فله أن يفطر، فإذا أفطر فعليه عدة من أيام بقدر ما أفطره.

قوله تبارك وتعالى {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} أي إن الله جل وعلا إنما رخص لكم الفطر في حال المرض أو على السفر مع تحتمه في حق المقيم الصحيح، تيسيراً علينا ورحمةً بنا.

استدل جمع من الصحابة والتابعين بهذه الآية على وجوب الإفطار في السفر خاصة، في قوله عز وجل {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}

ولكن الاستدلال **هنا غير صحيح، الصواب:** أن الأمر في ذلك على التخيير، **وإن كان الأفضل في ذلك الفطر خاصة لمن كان**

يشق عليه الصيام في السفر، لكن المسألة على التخيير، لأنه قد ثبت في الحديث الصحيح (عن الصحابة أنهم خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم الصائم ومنهم المفطر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم) رواه مسلم، فلو كان الإفطار هو الواجب لأنكر عليهم الصيام، بل الذي ثبت بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان صائماً، لما ثبت في الصحيحين: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حرٍ شديد، حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه)، هذا فيه دليل على أن الفطر بالنسبة للمسافر في نهار رمضان ليس بواجب.

← مسألة مرتبطة بالمسألة السابقة: أن أهل العلم اختلفوا أيهم أفضل للمسافر في نهار رمضان الفطر أو الصوم، مسألة خلافية قديماً وحديثاً فيها عدة أقوال:

• **القول الأول:** قال طائفة منهم الشافعي الصيام في السفر أفضل من الفطر، لفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم، ولأنه أدى الفرض في وقته وقد قدر عليه إبراءً للذمة.

• **القول الثاني:** قالت طائفة بل الإفطار أفضل أخذاً بالرخصة، لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قد سئل عن الصوم في السفر فقال: (من أفطر فحسن ومن صام فلا جناح عليه) رواه مسلم.

وفي الحديث الآخر: (عليكم برخصة الله التي رخص لكم)، رواه مسلم، وقد روي عن جمع من السلف أنهم كانوا يفطرون ويقرؤون قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}.

• **القول الثالث:** قالت طائفة هما سواء الفطر والصيام، بالنسبة للمسافر سواء، لحديث عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال يارسول الله: إني كثير السفر فأصوم في السفر؟ فقال: (إن شئت فصم وإن شئت فأفطر) وهو في الصحيحين، وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: (سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم).

• **القول الرابع:** قيل إن شق الصيام فالإفطار أفضل، لحديث جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى

رجلاً قد ضلل عليه فقال: ما هذا؟ قالوا: صائم، فقال: عليه الصلاة والسلام: (ليس من البر الصيام في السفر).

❖ **هذه الأقوال للترجيح بينها، ويذهب كثير من أهل العلم إلى مايلي:**

- **أولاً:** الأصل الجواز يجوز الفطر ويجوز الصيام.
- **ثانياً:** لو أن إنساناً ركب طائرة، وهو مرتاح، وأراد أن يفطر لا حرج عليه أن يفطر، سواء كان بمشقة أو عدم مشقة، العلماء يقولون إذ لم يكن هناك مشقة والأمر متيسر فلو صام أفضل براءة للذمة وأداءً للواجب في وقته، وإذا كان هناك مشقة فيشرع له الإفطار والله أعلم.

❖ **القضاء هل يجب أن يكون متتابع أو يجوز التفريق هناك قولان:**

- **القول الأول:** أنه يجب التتابع، لأن القضاء يحكي الأداء مادام الأداء متتابع إذن القضاء متتابع.
 - **القول الثاني:** لا يجب التتابع، بل إن شاء فرق وإن شاء تابع، وهذا قول الجمهور، السلف والخلف، وعليه ثبتت الدلائل، لأن التتابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر، أما بعد انقضاء رمضان فالمراد صيام أيام عدة ما أفطر، ولهذا قال تعالى: { **فعدة من أيام آخر** } أي ليس هناك تحديد أنه يجب هناك على التتابع.
- قوله تبارك وتعالى: { **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** } هذه كما قال العلماء إرادة شرعية، والإرادة الشرعية هي محبوبة إلى الله جل وتعالى، ولكنها قد تقع وقد لا تقع، لكن لا يلزم تحققها ووقوعها.
- فالله جل وتعالى أراد لنا اليسر والله الحمد فقد روى الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**أن خير دينكم أيسره**)، وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا**)، وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن (**بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطوعا ولا تختلفا**)، وفي السنن والمسانيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**بعثت بالحنيفية السمحة**).
- قوله تبارك وتعالى: { **ولتكملوا العدة** } أي أمركم بالقضاء لتكملوا عدة شهركم، أي من أفطر لمرض أو سفر فليقضي حتى تكتمل عدة الشهر.

قوله تبارك وتعالى { **وَلْيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم** } أي لتذكروا الله عند انقضاء عباداتكم وما هداكم إليه وقد ضل عنه غيركم.

العلماء يقولون أن الله جل وعلا دائماً يشرع الاستغفار والتكبير والحمد والثناء عليه سبحانه بعد أداء العبادات، هنا بعد الصيام يشرع التكبير بعد الفراغ من الصلاة، { **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** } أيضاً في الحج { **فَإِذَا قُضِيَتُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ** }.

استدل العلماء بهذه الجملة من الآية { **وَلْيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم** } على شرعية التكبير ليلة العيد ويوم العيد، وقد روي عن السلف صيغ في هذا، ومن أشهرها أنهم كانوا يقولون: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد، يسن الإكثار فيها ليلة العيد ويوم العيد حتى يأتي الإمام للصلاة، هذا سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تبارك وتعالى { **وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } أي إذا قمتم بما أمركم الله من طاعته، بأداء فرائضه، وترك محارمه، وحد حدوده، لعلمكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك هذا نوع من الشكر، الشكر بطاعة الله، القيام بأوامر الله، الحذر من نواهيه، هذا من شكر الله جل وعلا.

آية (١٨٦) من سورة البقرة:

قول الله جل وعلى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**

◀ سبب نزول الآية:

روى ابن ابي حاتم وابن جرير عن الصلت بن ابي حكيم ابن معاوية بن حيدة القشيري عن ابيه عن جده أن اعرابيا قال: يا رسول الله أقریب ربنا فنناجیه؟ أم بعيداً فننادیه؟ فسکت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل قوله تعالى: **{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي }** الآية.

وعن عطاء أنه بلغه لما نزلت **{ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }** قال الناس لو نعلم أي ساعة ندعو، فنزلت **{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ }**.

مما يفسر الآية من السنة ما رواه الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري قال: كُتِبَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، فجعلنا لا نصعد ولا نعلو شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنيتنا فقال: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِن كُمْ لَا تَدْعُونَ أَصْمًا وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِن الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَةً مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ }** أخرجاه في الصحيحين. وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: **{ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي }**.

والمراد من هذا: الترغيب في الدعاء وأن الله جل وعلى لا يجيب دعاء داعٍ ولا يشغله شيء عنه، بل روى الإمام أحمد عن سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **{ إِنَّ اللَّهَ لَيَسْتَجِيبُ أَنْ يَبْسُطَ الْعَبْدُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ يُسْأَلُهُ فِيهِمَا خَيْرًا فَيُرَدِّمَهُمَا خَائِبَتَيْنِ }**.

والإنسان على خير إذا دعا ربه، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَعْجَلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخُرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَى، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، قَالُوا إِذَنْ نَكْثَرُ قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ }**.

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم: **{ لَا يَزَالُ يَسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الِاسْتَعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَبَارَكَ وَتَعَالَى: { فَإِنِّي قَرِيبٌ } أَي مِمَّنْ دَعَانِي، وَهَذَا لَا يَنَافِي عِلْوَهُ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ قَرِيبٌ فِي عِلْوِهِ، عَلِيٌّ فِي دَنْوِهِ، جَلَّ وَعَلَى. قَوْلُهُ: { فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي } الْمُرَادُ بِالطَّاعَةِ، وَقِيلَ بِالِدَّعَاءِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الدَّعَاءَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَوْلُهُ: { وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } أَي لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ }**.

وهنا قال بعض المفسرين: إن الله جل وعلا ذكر هذه الآية بين آيات الصيام وأحكام الصيام للترغيب في الدعاء وبخاصة للصائم، فإنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **{ ثَلَاثَةٌ لَا تَرُدُّ دَعْوَتَهُمْ، وَمِنْهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يَفْطُرَ }** وقال عليه الصلاة والسلام **{ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مَا تَرُدُّ }** فلذلك ينبغي للمسلم في صيامه أن يكثر من الدعاء، وخاصة عند الفطر، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول عند فطره **{ اللَّهُمَّ إِنِّي لَكَ صَمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ ذَهَبَ الظَّمَا وَابْتَلَّتْ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ }**.

يحرص الإنسان أن يكثر من الدعاء في كل زمان وكل مكان، وبخاصة مثل هذه الأوقات، وقت الصيام وبخاصة عند الفطر.

الحلقة (٢٠)

موضوع الحلقة: تفسير الآية (١٨٧) من سورة البقرة.

يقول الله تعالى {أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}

◀ سبب نزول الآية جاء في ذلك عدة روايات:

منها ما رواه البراء بن عازب قال: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فنام قبل أن يفطر لم يأكل إلى مثله، أي يستمر على الصيام، إذا نام ولم يأكل شيئاً يستمر إلى الغد، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، وكان يومه ذلك يعمل في أرضه، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك فغلبته عينه فنام، فلما جاءت امرأته رآته نائماً قالت: خيبة لك أمنت؟ فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية، ففرحوا بها فرحاً شديداً."

وعن ابن عباس قال: "كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة، ثم إن أناساً من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية."

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية، إذا صلوا العشاء الآخرة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء حتى يفطروا، وإن عمر بن الخطاب أصاب أهله بعد صلاة العشاء، وأن صرمة بن قيس غلبته عيناه بعد صلاة المغرب فنام ولم يشبع من الطعام، ولم يستيقظ حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء، فقام فأكل وشرب، فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، فنزلت هذه الآية."

يقول الله تعالى: {أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} أي: أحل لكم ليلة الصيام رخصة من الله ورفعاً لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القادمة.

الرفث: الجماع، قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد وغيرهم لأن الله سبحانه وتعالى كريمٌ يكتفي، قال الزجاج والأزهري: كل ما يريده الرجل من امرأته.

قوله تبارك وتعالى: {هُنَّ لِيَّاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَّهُنَّ} هذا من بديع الأسلوب وجمال الكلام، قال ابن عباس: هن سكن لكم وأنتم سكن لهن، وقال الربيع ابن أنس: هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن.

وحاصله: أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه، فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان لتلا يشق ذلك عليهم ويخرجوا، كأن الرجل مع امرأته يشتمل عليها وتشتمل عليه، وفي هذا بيان مدى الالتصاق والتقارب النفسي والبدني والاجتماعي بين الرجل وامرأته.

قوله تبارك وتعالى: {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ} أي يستأمر بعضكم بعضاً في مواجعة المحظور من الجماع،

والأكل بعد النوم في ليالي الصوم، كقوله تعالى { **تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ** } أي: يقتل بعضكم بعضاً، ويحتمل أن يريد به كل واحد منهم بنفسه بأنه يخونها، وسماه خائناً لنفسه من حيث كان ضرره عائداً عليه، أي إما أن تحتانون أنفسهم، كل واحد يخون الثاني، كل منهم يريد أن يعمل ولكن ممنوع منه، أو أن شخص يخون نفسه يتحدث مع نفسه، وسميت المسألة خيانة لأنه يعود بالضرر على نفسه، ولكن والله الحمد جاءت فيه الرخصة.

قوله تبارك وتعالى: { **فَتَابَ عَلَيْكُمْ** } يحتمل معنيين:

١/ قبول التوبة من خيانتهم لأنفسهم. ٢/ التخفيف عنهم بالرخصة والإباحة.

فقوله تعالى { **عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْضَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ** } أي خفف عنكم، وقوله عقيب القتل الخطأ: { **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ** } وقوله تعالى { **لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ** } ولم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم ما يوجب التوبة منه.

قوله تبارك وتعالى: { **فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ** } يحتمل العفو من الذنب، ويحتمل التوسعة والتسهيل.

قوله تبارك وتعالى: { **فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ** } كناية عن الجماع، أي قد أحل لكم ما حرم عليكم، وسمي الوقاع مباشرة لتلاصق البشريتين فيه، قال ابن العربي: هذا يدل أن سبب الآية: جماع عمر رضي الله عنه، لا جوع قيس، لأنه لو كان السبب جوع قيس لقال: فالآن كلوا، فابتدأ بالمباشرة لأنه المهم الذي نزلت الآية من أجله، فالمباشرة في شأن عمر، وقوله (وكلوا وأشربوا) هذا في شأن قيس، فالآية عامة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله تبارك وتعالى: { **وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** } المراد بهذا به عدة أقوال:

- **القول الأول:** أبو هريرة وأبن عباس وأنس وغيرهم: الولد.
- **القول الثاني:** قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الجماع.
- **القول الثالث:** قال ابن عباس: طلب ليلة القدر.
- **القول الرابع:** قال قتادة: ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم.

الحافظ إمام المفسرين الطبري رحمه الله تعالى اختار أن الآية أعم من هذا كله الإنسان يبتغي ما كتبه الله له من الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

قوله تبارك وتعالى: { **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا** } يقول العلماء جواب لنازلة قيس.

قوله تبارك وتعالى { **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** } أباح الله الأكل والشرب والجماع في أي الليل شاء الصائم، إلا أن يتبين ضياء الصبح من سواد الليل، وعبر عن ذلك بقوله { **الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ** } ورفع اللبس بقوله { **مِنَ الْفَجْرِ** }.

كما جاء الحديث الذي رواه البخاري أنزلت { **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ** } ولم ينزل { **مِنَ الْفَجْرِ** } فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في أحد رجليه الخيط الأبيض، والرجل الأخرى الخيط الأسود، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، ظنوا أن المسألة خيوط عادية، يربط هذا وهذا وينظر حتى يبين، والحقيقة والمقصود هو الفجر ضياء الصبح، فأنزل الله بعد { **مِنَ الْفَجْرِ** } فعلموا أنما يعني الليل والنهار.

وفي هذا المقام يروي أصحاب السنن قصة عدي بن حاتم قال لما نزلت هذه الآية:

"لما أنزلت هذه الآية { **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ** } عمدت إلى عقالين أحدهما أسود

والآخر أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر إليهما، فلما تبين لي الأبيض من الأسود أمسكت، فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته بالذي صنعت فقال: إن وسادك إذن لعريض، إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل" والمقصود هنا بياض النهار وسواد الليل، كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم.

العلماء استنبطوا من قول الله تبارك وتعالى {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} على استحباب السحور لأنه من باب الرخصة والأخذ بها مطلوب، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تسحروا فإن في السحور بركة)، وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور) وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على فضل السحور وأن الأفضل أن يؤخر، لما رواه الإمام أحمد عن أبي ذر قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور).

هناك مسألتان:

← **المسألة الأولى:** أخذ أهل العلم من جعله تبارك وتعالى الفجر غاية لإباحة الجماع والشراب والطعام؛ لمن أراد الصيام، أن من أصبح جنباً فليغتسل وليتم صومه ولا حرج عليه، وهذا هو مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً. واستدلوا بما رواه البخاري ومسلم في حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أنهما قالتا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من جماع غير احتلام، ثم يغتسل ويصوم، وفي حديث أم سلمة ثم يفر ولا يقضي، وفي صحيح مسلم عن عائشة: أن رجلاً قال يا رسول الله تدركني الصلاة-صلاة الفجر- وأنا جنب أفصوم؟ -جامع في الليل ولكنه لم يغتسل آخر الاغتسال وأذن الفجر وهو لم يغتسل - فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم) فقال: لست مثلنا يا رسول الله فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال عليه الصلاة والسلام: (والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي).

← **المسألة الثانية:** لما بين سبحانه محظورات الصيام وهي الأكل والشرب والجماع، ولم يذكر المباشرة وغيرها دل ذلك على صحة صوم من قبل وباشر، وثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يقبل نساءه وهو صائم، ولكن قد الإنسان يفتح عليه أبواب أخرى ولا يملك زمام نفسه، ثم يقع في الجماع الذي هو من أعظم المفطرات. قوله تبارك وتعالى: {ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} هذا يقتضي الإفطار عند غروب الشمس حكماً شرعياً، كما جاء في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، فقد أفطر الصائم).

والسنة هي تعجيل الفطر، لقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل: (إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعَجَلَهُمْ فِطْرًا).
← **وهنا مسألة** أخذ أهل العلم عن هذه الآية {ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} النهي عن الوصال، وفي الصحيحين النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تواصلوا، قالوا يا رسول الله: إنك تواصل؟ قال: إني لست كأحد منكم، إني أبيت يطعمني ربي ورسولني قال: فلم ينتهوا عن الوصال فواصل به النبي صلى الله عليه وسلم يومين وليلتين ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم كالنمل بهم).

يقول تبارك وتعالى: {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} بين جل وعلا أن الجماع يفسد الاعتكاف، وقد أجمع أهل العلم أن من جامع امرأته وهو معتكف أن هذا مفسد لاعتكاف، أما المباشرة من غير جماع وهي حقيقة مكروهة بالنسبة

للمعتكف، وبعض أهل العلم يرى أنها حرام، استدلوا أن عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف، لكن هذا محمول على أنها كانت ترجله بدون شهوة، أما إذا كان شهوة فهي محظورة. قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا في الرجل يعتكف في المسجد في رمضان، فحرم الله عليه أن ينكح النساء ليلاً أو نهاراً حتى يقضي اعتكافه.

❖ **ومعنى هذه الآية:** لا تقربوهن مادتم عاكفين في المسجد ولا في غيره، وكذا قال مجاهد وغيره، فالأمر المتفق عليه أن المعتكف يحرم عليه النساء مادام معتكفاً لمسجده، أما لو ذهب لمنزله لحاجة فلا يحل له أن يثبت فيه إلا بمقدار ما يقضي حاجته من بول أو غائط أو غيره، وليس له أن يقبل امرأته، أو يضمها إليه، ولا أن ينشغل بشيء من أمور الدنيا، والاعتكاف عبادة من أفضل العبادات.

الاعتكاف لغة: الملازمة يقال عكف على الشيء إذا لازمه مقبلاً عليه.

اصطلاحاً: ملازمة طاعة مخصوصة في وقت مخصوص على شرط مخصوص في موضع مخصوص.

قوله تبارك وتعالى: **{وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ}** جملة في موضع حال، وأجمع العلماء أنه ليس بواجب سنة، لكن يجب التعاون على إحيائها والالتزام بحدودها حتى ينتهي.

مسألة: استدل أهل العلم بقوله تبارك وتعالى **{فِي الْمَسَاجِدِ}** على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد.

لكن اختلفوا ماذا يراد بالمساجد هل هناك مساجد معينة، أو الأمر مفتوح؟ **على أقوال:**

• **القول الأول:** ذهب قول إلى أن الآية خرجت على نوع من المساجد وهو ما بناه نبي، كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والأقصى، ولا يجوز الاعتكاف في غير هذه المساجد الثلاثة.

• **القول الثاني:** قال آخرون لا اعتكاف إلا في مسجدٍ تجمع فيه الجمعة "تقام فيه الجمعة" حتى لا يخرج المعتكف من مسجده إلى مسجدٍ آخر.

• **القول الثالث:** قال آخرون الاعتكاف في كل مسجد وهذا هو القول الصحيح.

قوله تبارك وتعالى: **{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا}** أي هذا الذي بيّناه وفرضناه وحددناه من الصيام وأحكامه، وما أبجنا فيه وما حرمننا إلى غير ذلك، حدود الله جل وعلا، أي شرعها الله وبينها بنفسه، قال ابن الضحاك ومقاتل في قوله **{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ}**: أي المباشرة في الاعتكاف، لكن الآية عامة فيما سبق.

قوله تبارك وتعالى **{فَلَا تَقْرُبُوهَا}** أي لا تجاوزوها وتعدوها.

قوله تبارك وتعالى **{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ}** أي كما بين الصيام وأحكامه وشرائعه وتفصيله، كذلك يبين سائر الأحكام للناس على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، قوله جل وعلا **{لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** أي يعرفون كيف يهتدون وكيف يطيعون، كما قال تعالى **{هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}**.

الحلقة (٢١)

موضوع تفسير الآيات (١٩٠، ١٨٩، ١٨٨) من سورة البقرة:

يقول الله تعالى **{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**

◀ **سبب نزول الآية:** قيل أنه نزل في عبدان بن أشوع الحضرمي، ادعى مالاً على امرؤ القيس الكندي، واختصما إلى النبي

صلى الله عليه وسلم، فأنكر امرؤ القيس وأراد أن يجلف، فنزلت هذه الآية، فكف عن اليمين، وحكم لعبدان في أرضه ولم يخاصمه.

قوله تبارك وتعالى: **{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}** هذا الخطاب عامٌ لهذه الأمة، أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعضٍ بغير حق، فيدخل في هذا القمار، والحداع، والغصب، وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكة، وأيضاً يدخل فيه ما حرّمته الشريعة، وإن طابت به نفس مالكة، كمهر البغي، وحلوان الكاهن، وأثمان الخمور والخنازير، لأن بعضهم قد يدفع المال، ويقول أنا ما عندي مانع، أدفع ثمناً للكهنة ليخبروني بالغيب، أو مهر بغي، لا مانع أن أدفع مالاً لأفعل فاحشة الزنا بهذه المرأة، نقول: لا! ولو دفعته بطيب نفسٍ منك لكن هذا سُحت وحرام، وهي أيضاً لا يجوز لها هذا الفعل، جعله تبارك وتعالى كأكل مالٍ بالباطل، ونظير ذلك قوله تبارك وتعالى **{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}** وقوله **{وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}**: أي لا يلمز بعضكم بعضاً، ولا يقتل بعضكم بعضاً، لأن الله تعالى جعل المؤمنين إخوة، فقاتل أخيه كقاتل نفسه، ولا مزه كلامه نفسه.

الباطل في اللغة: هو الزاهب الزائل، فمن أكل هذا المال من غير وجه، فهو باطل ذاهبٌ، بل هو سُحت، وكل جسم نبت من سُحت فالنار أولى به.

قوله تبارك وتعالى **{وَتَذُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ}**

اختلف في المعنى على أقوال:

- **القول الأول:** قيل الوديعه وما لا تقوم فيه بينة، قاله ابن عباس والحسن.
- **القول الثاني:** قيل هو مال اليتيم الذي هو في أيدي الأوصياء يرفعه إلى الحكام إذا طولب به ليقطع بعضه.
- **القول الثالث:** قال الزجاج: تعملون ما يوجب ظاهر الأحكام وتتركون ما علمتم أنه الحق، والمعنى: أي لا تجمعوا بين أكل المال بالباطل وبين الإدلاء إلى الحكام بالحجج الباطلة، وهو كقوله **{وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** يعني: تجمعون بين سيئتين، بين أكل هذا المال بالباطل، ثم إذا حوكمتم أو نُظر فيكم جئتم بأدلة وحجج باطلة، فأنتم قد جمعتم بين السيئتين.

- **القول الرابع:** أي لا تُصانعوا بأموالكم الحكام وترشوهم (تعطوهم رشوة) ليقضوا لكم على أكثر منها، نسأل الله العافية.
- قوله تبارك وتعالى **{إِنَّمَا أَكَلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ}** فريقاً: أي: قطعة وجزءاً، عبّر عن الفريق بالقطعة والبعض والفريق القطعة من الغنم تشدُّ عن معظمها، وقيل في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: لتأكلوا أموال فريق من الناس.
- قوله **{بِالْإِثْمِ}**: أي بالظلم والتعدّي (أي: إنَّ أكل أموال الناس بالباطل إثم وبغي وعدوان).
- {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** أي: بطلان ذلك وإثمه، وهذه مبالغة في الجرأة والمعصية، وقد قال عليه الصلاة والسلام في المحفل العظيم في الحج (إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) وقد قال عليه الصلاة والسلام (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وقال عليه الصلاة والسلام (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بطيب نفسٍ منه).

الآية (١٨٩) من سورة البقرة وهي قوله تبارك وتعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**

❖ جاء في سبب نزول هذه الآية عدة روايات:

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة فنزلت هذه الآية {يَسْأَلُونَكَ} **عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} يقول: جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم، وعدة نسائهم، ومحل دينهم.

(٢) أنّ هذا مما سأل عنه اليهود، واعترضوا به على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال معاذ يا رسول الله! إنّ اليهود تغشانا ويكثرّون مسألتنا عن الأهلة، فما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يستوي ويستدير، ثم ينتقص حتى يعود كما كان، فأنزل الله الآية، وهذا يُعبر عنه العلماء الأسلوب الحكيم، قالوا: أن يسأل الإنسان عن شيء، فيجاب بشيءٍ آخر أهم، وهنا يقول جلّ وعلا {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ} كيف يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يعود صغيراً، هذا أمر واضح ومعلوم، الله جلّ وعلا جاب بما هو أهم، ذكر في الجواب ما هو أهم، وهو أنه مواقيت للناس، وينبغي السؤال عن الحكمة، عن المصلحة، وليس عن كيف خلقتها، فهذا أمرٌ مشاهد وكلّ يطلع عليه، ولكن الله جلّ وعلا ذكر الحكمة وهي مصلحة الناس منها.

آخر الآية يقول الله تبارك وتعالى {وَلَيْسَ الِيرُّ بَأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا}

❖ جاء في سبب نزول هذا الذي هو آخر الآية:

(١) ما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله {وَلَيْسَ الِيرُّ بَأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الِيرَّ مَنِ اتَّقَى} يعني كانوا يتعبدون ويرون أنّ من العبادة أن يأتي الإنسان من ظهر بيته، وهذا بلا شك من الخطأ الذي لا دليل عليه، ورواه أبو داود والطيالسي عن البراء قال: "كانت الأنصار إذا قدموا من سفر لم يدخل الرجل من قبل بابه، فنزلت هذه الآية "

(٢) وقال الحسن البصري: كان أقوامٌ من أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً وخرج من بيته، يريد سفره الذي خرج له، ثم بدا له بعد خروجه أن يقيم ويدع سفره، لم يدخل البيت من بابه، ولكن يتسوره قبل ظهره، فقال الله تبارك وتعالى {وَلَيْسَ الِيرُّ بَأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا}.

← مسألة: قد يسأل سائل ما ارتباط هذا بهذا، أو ما ارتباط أول الآية بآخرها، مسألة الأهلة ومسألة إتيان البيوت من ظهورها والنهي عن ذلك.

قال المفسرون: اتصل هذا بذكر مواقيت الحج لاتفاق وقوع القضيتين في وقت السؤال عن الأهلة، وعن دخول البيوت من ظهورها، فنزلت الآية فيهما جميعاً، وهذا الحقيقة إجابة موفقة، لما كان السؤال عن شيئين في آنٍ واحد، نزلت الآية فيهما جميعاً، أولها عن الأهلة، والأمر الثاني عن مسألة دخول البيوت من ظهورها، فعلى كل حال هذا وهذا، لما اجتمعا في زمنٍ واحد وجاء السؤال عنهما في وقت متقارب، نزلت الآية فيهما جميعاً.

❖ بعد ذلك ندخل في مفردات الآية

يقول الله تبارك وتعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ} جمع هلال، وجمع وهو واحدٌ في الحقيقة، من حيث كونه هلالاً واحداً في شهر غير كونه هلالاً في آخر، يعني: أنّ الأهلة تختلف، مع أنه صحيح هو هلال واحد، القمر واحد، كونه هلالاً ثم يكون بدرًا، هذا واحد في كله، لكن لما كان في كل شهر يختلف عن شهر آخر، ويرتبط به في هذا الشهر حكم، والشهر الآخر حكمٌ آخر، جاء الجمع هنا، وأريد بالأهلة هنا: الشهور، وقد يعبر بالهلال عن الشهر لحلوله فيه.

← مسألة: قد يسأل سائل: لماذا سمي الشهر بالهلال؟ لماذا سمي الشهر هلالاً؟

١) وإنما قيل: هلالٌ لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه دخل الشهر، الناس يتسامعون ويرفعوا صوتهم ويخبرون بأنه دخل الشهر، ومنه استهّل الصبي إذا ظهرت حياته بصراخه، واستهّل وجهه فرحاً وتهللاً: إذا ظهر فيه السرور.

٢) وقيل: هو مأخوذٌ من التبين، فالشهر لا يعرف ولا يتبين إلا إذا رئي الهلال.

قوله تبارك وتعالى {قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} تبينٌ لوجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه، وهو زوال الإشكال في الآجال والمعاملات والأيمان والحج والعدد والصوم والفطر ومدة الحمل والإجارة إلى غير ذلك من المصالح، كل هذه مصالح واحدة، في العبادات أو في المعاملات أو في العِدِّد أو في الأيمان أو في مدة الحمل أو في الإجارة، كل هذه حكم ومصالح من هذا، وقد امتن الله على الأمة بهذا في آيات أخرى، قال جلّ وعلا {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن يَتَذَكَّرُ أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} وقوله جلّ وعلا {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} وإحصاء الأهلّة أيسر من إحصاء الأيام، وأن يُعرف الشهر بالهلال، هذا أيسر وأسهل، وهنا الله جلّ وعلا قال: {قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}: أفرد سبحانه الحج، بالذكر لأنه مما يُحتاج فيه إلى معرفة الوقت، وأنه لا يجوز النسيء فيه عن وقته، بخلاف ما كانت تفعل العرب، العرب كانت تُقدم وتؤخر في أشهر الحج، يتلاعبون بها، هذا بلاشك من ظلمهم وبغيهم وعدوانهم، لكن الحج ذكر لأنه يُحتاج إلى معرفة الوقت فيه، ولأنه أيضاً كان السؤال مرتبط بفعل الجاهلية، فكانوا يتسورون بيوتهم من ظهورها، فهنا نوعٌ من المقاربة.

قوله تبارك وتعالى {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا} كما ذكرت آنفاً، كان الأنصار إذا حجوا وعادوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، ويرون زيادة على ذلك شرعاً أنه لا يجوز بينهم وبين السماء حائل، فإذا خرج الرجل منهم بعد ذلك، أي بعد إحرامه من بيته، فرجع لحاجة لا يدخل من باب الحجر من أجل سقف البيت، وإنما يتسّم ظهر بيته على الجدران، ثم يقوم في حجرته فيأمر بجاحته فتخرج إليه من بيته، فكانوا يرون هذا من التُسك والبرّ، كما كانوا يعتقدون أشياء أخرى، والله جلّ وعلا ردّ عليهم صنيعهم وبين أنّ هذا ليس من البرّ {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى}.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم رجلٌ منهم بالحج، فإن كان من أهل المدر يعني من أهل البيوت نقب في ظهر بيته فممنه يدخل ومنه يخرج، أو يضع سلماً فيصعد منه وينحدر عليه، وإن كان من أهل الوبر يعني أهل الخيام يدخل من خلف الخيام، إلا من كان من الحُمس وهم أهل مكة، فإنهم كانت لهم اختصاصات، ومنها أنهم يدخلون من أبواب بيوتهم، وهذا بلا شك في الحقيقة لا دليل عليه، وهو من فعل الجاهلية، وردّ الله جلّ وعلا هذا الأمر، والبرّ الحقيقي هو تقوى الله جلّ وعلا {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى}.

البر الحقيقي ومن أراد أن يصل إلى هذه الدرجة عليه بتقوى الله تبارك وتعالى، وتقوى الله جلّ وعلا: أن يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه، لذلك قال تعالى آمراً بتقواه في ختام الآية {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أي: اتقوا الله فافعلوا ما أمركم به واتركوا ما نهاكم عنه لعلكم تفلحون غداً إذا وقفتم بين يديه فيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، فالمؤمن يستعد للقاء الله جلّ وعلا في ذلك اليوم العظيم بالعمل الصالح الذي يقربه إلى الله جلّ وعلا، ومن أفضل الأعمال وأجلّها وأعلىها رتبة تحقيق مقام التقوى لله تبارك وتعالى.

الآية رقم (١٩٠) من سورة البقرة: وهي قول الله تبارك {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}

❖ سبب نزول هذه الآية:

وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صَدَّ عن البيت ونحر هديه بالحديبية، وهذه قصة معروفة، وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل، رجع، فلما تَجَهَّز في العام المقبل، خاف أصحابه ألا تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدوهم ويقاتلوهم، وكره أصحابه القتال في الشهر الحرام، فنزلت هذه الآية.

لا يخفى عليكم أيها الأخوة أنه في صلح الحديبية اتفق النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش على أمور، ومنها أنهم لا يدخلون مكة في هذا العام، وإنما يأتون في العام القادم، ومنها أن من أسلم وجاء إلى المسلمين فإنه لا يستقبله النبي صلى الله عليه وسلم، وأن من ارتد لا مانع أن تستقبله قريش، إلى غير ذلك، المهم أن الصحابة خافوا أن تردهم قريش فأنزل الله جلّ وعلا هذه الآية **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}** لو فرضاً حصل قتال فإنكم تقاتلونهم، فكونوا على الأبهة.

قوله جلّ وعلا: **{وَلَا تَعْتَدُوا}**: أي: لا تظلموا، وقد اختلف في المراد بهذا الاعتداء على التفصيل على أقوال أربعة:

• القول الأول: أنه قتل النساء والصبيان، نعم ونحن قد نهينا، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل أمراءه على الجيوش كان ينهاهم عن قتل النساء والصبيان.

• القول الثاني: معناه لا تقاتلوا من لم يقاتلكم، مادام أنهم لم يقاتلوكم فاتركوهم، ولذلك الله جلّ وعلا قال في أول الآية **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}**.

• القول الثالث: أنه إتيان ما نهوا عنه **{وَلَا تَعْتَدُوا}**: هذا في جميع المعاصي، ما في شك أن من يقع في معصية فهو معتدٍ ظالم.

• القول الرابع: أنه ابتداءهم بالقتال في الحرم في الشهر الحرام، الابتداء بالمقاتلة، لكن مادام أنهم لم يقاتلوكم لا داعي أنكم تبدؤون بقتالهم.

الحقيقة اختلف في هذه الآية أهي منسوخة أم لا؟ على قولين:

القول الأول: أنها منسوخة، الأمر بالقتال هنا منسوخ، وقد اختلف أصحاب هذا القول في المنسوخ منها على قولين أيضاً: أحدهما: أنه أولها وهو قوله **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}** قالوا: وهذا يقتضي: أن القتال يباح في حق من قاتل من الكفار، ولا يباح في حق من لم يقاتل، وهذا منسوخ بقوله **{وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ}**.

يعني الآية التي معنا فيها تفصيل: أن من قاتل يُقاتل، أما من لم يُقاتل فيكف عنه، ولذلك الله جلّ وعلا قال **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}** ولكن قالوا: إن هذا منسوخ بقوله تبارك وتعالى **{وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ}** المعنى: أي: سواء قاتلوكم أو ما قتلوكم فإنهم يقاتلون.

الثاني: أن المنسوخ منها **{وَلَا تَعْتَدُوا}**: وأيضاً هؤلاء في المراد بهذا قولان:

أحدهما: أنه قتل من لم يُقاتل.

والثاني: أنه ابتداء المشركين بالقتال، ولكن قالوا: بأن هذا منسوخ بآية السيف، على كل حال على خلاف بين العلماء: ← ما المراد بآية السيف؟ منهم من يرى أن هذه الآية **{وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ}** وهناك أقوال أخرى في المراد بآية السيف **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}** هذه أيضاً يعني: مما قيل فيها أنها آية السيف والله أعلم، هذا على القول بأن الآية منسوخة، وقلنا أنه قيل: أن المنسوخ أولها أو آخرها الذي هو **{وَلَا تَعْتَدُوا}** وهناك تفاصيل فيمن قال بالنسخ.

القول الثاني: يرى أنها محكمة، وأنها غير منسوخة، وأنها على ظاهرها **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}** الذين لم يقاتلونا، لا يقاتلون، ولذلك قالوا إنها محكمة، وأن معنى الآية: قاتلوا الذين أعدوا أنفسهم للقتال، أما من لم يُعد نفسه

للقاتل فلا يُقاتل، كالرهبان والشيوخ والمجانين وغيرهم، فهؤلاء لا يقاتلون، وهذا حكم باق غير منسوخ، إذا قيل أن المراد هم هؤلاء الطائفة فهذا بلا شك، حتى من قال إنه منسوخ، فإن الإسلام يحرم قتل العجزة وكبار السن والمكفوفين والصبيان والنساء والمجانين، هؤلاء لا يقاتلون.

في تفسير هذه الآية: مادام الكلام حول القتال والإسلام له شريعته الغراء وأحكامه السامية في مسائل القتال، فالإسلام لا يتشوف للقتل والتدمير، الإسلام لا يتشوف إلى إراقة الدماء، الإسلام دين السماحة واليسير، دين العدل، دين يرغب الخير للبشرية جمعاء، وهو دين الإنسانية، دين يفرح أن يدخل الناس فيه، ولا يفرح بإراقة الدماء ومضايقه الناس وإكراههم {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}.

فالعلماء هنا اختلفوا في أول آية نزلت في إباحة القتال **على قولين:**

• **القول الأول:** أنها قوله تعالى {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} في سورة الحج، قاله أبو بكر الصديق وابن عباس وسعيد بن جبير والزهري.

• **القول الثاني:** أنها هذه الآية {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ} والله أعلم، سواء كان هذا أو هذا فالمسألة مرتبطة بأحكام وتفصيل.

الحلقة (٢٢)

موضوع هذه الحلقة تفسير الآيات (١٩٣، ١٩٢، ١٩١) من سورة البقرة

قال تبارك وتعالى {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ}

قوله تبارك وتعالى {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ} معنى ثقفتموهم: أي وجدتموهم، يقال: ثقفته، أثقفه، إذا وجدته.

قال بعض المفسرين: قوله تعالى {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ} عام في جميع المشركين إلا من كان بمكة، يعني: لما كان قبل أن تفتح مكة، فإنهم أمروا بإخراجهم منها إلا من قاتلهم فإنهم أمروا بقتالهم، يدل على ذلك قوله في نسق الآية {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} وكانوا قد آذوا المسلمين بمكة حتى اضطروهم إلى الخروج، فكانهم أخرجوهم.

{وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ} يعني من مكة، فإنهم لا يقاتلون إلا من بدأ بالقتال، إلا من أشهر السيف، ف إن الله جلّ وعلا حرم مكة ولم يجرمها الناس، وإنما أحلت له عليه الصلاة والسلام ساعة من نهار وإنه رجعت حرمتها كما حرمتها ربنا تبارك وتعالى.

قوله تبارك وتعالى {وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ} يعني: من مكة، هم أخرجوا المؤمنين، فهم يخرجونهم، وهذا لما كان في فتح مكة، وقد عفا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم لما اجتمعوا، قال عليه الصلاة والسلام (**ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال عليه الصلاة والسلام: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"**) وهذا من عفوه عليه الصلاة والسلام وتسامحه، وإلا فقد آذوه وأخرجوه من أحب البقاع إلى قلبه عليه الصلاة والسلام وهي مكة، ومع ذلك عفا عنهم وتسامح وتجاوز.

قوله تبارك وتعالى {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} صدق الله؛ الفتنة أشد من القتل! كون الإنسان يُفتتن في دينه ويفتن بالدينار والدرهم، يُفتتن بمرض الشهوات، يُفتتن بمرض الشبهات وهو أعظم، لاشك أن الفتنة أشد من القتل، نعم الناس قد يهربون من القتل، والإنسان لا يريد أن تزهق روحه ويموت، ولكن الفتنة كما قلت أن يفتتن الإنسان في دينه فيرتد أو يشك أو

يقع في أمورٍ لا تحمد عقباها، هذه أعظم من القتل.

هنا في هذه الآية {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} اختلف بالمراد في الفتنة على قولين:

• القول الأول: أنها الشرك، قاله ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وآخرون.

• القول الثاني: أنها ارتداد المؤمن إلى عبادة الأوثان - نسأل الله العافية - الردة عن الدين، هذه أعظم من القتل، وهذا قول مجاهد.

وعلى هذا فيكون معنى الكلام على القول الأول وهو: من يرى أن الفتنة هي الشرك: "شرك القوم أعظم من قتلهم إياهم في الحرم" نعم، أي والله، كون الإنسان يبقى على الشرك هذا أعظم من أن يقتل في الحرم.

وعلى الثاني: ارتداد المؤمن إلى الأوثان أشد عليه من أن يقتل، يعني كون المؤمن يقتل، الحمد لله قد يكون شهيداً في سبيل الله، ظلم، بغي عليه، هذا أحب وأفضل من أن تطول به حياة فيعود ويرتد إلى عبادة الأوثان، وبكل حال، الحقيقة الفتنة أشد من القتل وفي الآية الأخرى في سورة البقرة {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ}.

قوله تبارك وتعالى {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ}

عندنا الآن ثلاثة أفعال {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ} {حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ} {فَإِنْ قَاتَلَكُمْ} هذه الأفعال الثلاثة فيها قراءتان:

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ} هذه هي قراءة الأربعة.

(٢) وقرأ حمزة و الكسائي {وَلَا تَقْتُلُوهُمْ}، {حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ}، {فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ} يعني: بحذف الألف في جميع هذه الأفعال، واتفق الكل على قوله {فَاقْتُلُوهُمْ}.

احتج من قرأ بالألف بقوله {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} واحتج من حذف الألف بقوله {فَاقْتُلُوهُمْ} على كل حال هما قراءتان سبعيتان ثابتتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

← مسألة وهي: اختلف العلماء في قوله {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ} هل هو منسوخ أم لا؟ هل عند المسجد الحرام لا يقاتلون حتى يقاتلونا أم أنه منسوخ؟

(١) ذهب مجاهد وجماعة من الفقهاء إلى أنه محكم، غير منسوخ، وأنه لا يُقاتل فيه إلا من قاتل، أما من لم يقاتل فإنه لا يبدأ معه بالقتال، ويدل على هذا الحديث الصحيح أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة قال: (يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة).

فبين صلى الله عليه وسلم أنه خص في تلك الساعة بالإباحة على سبيل التخصيص، لا على وجه النسخ، فثبت بذلك حظر القتال في الحرم، إلا أن يقاتلوا فيدفعوا دفعاً، وهذا الأمر مستمر والحكم غير منسوخ، يعني: أنه لا يقاتل، لكن لو فرضاً الحرم على كل حال لا يريد عاص، ما يجي واحد يقتل شخص ويروح يختفي في الحرم ويقول أنا في الحرم، لا، يخرج من الحرم ويقام عليه الحد، لو هناك بغاة أو مفسدون يخرجون إن لم يتيسر قوتلوا ولو في الحرم، ولكن إن تيسر أن يخرجوا ويقام عليهم الحد أو القصاص فهذا أمر، لكن لو لم يتيسر وقوتلوا داخل الحرم فلا حرج.

(٢) ذهب قتادة إلى أنه منسوخ بقوله {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} فقد أمر بقتالهم في الحل والحرم وعلى كل حال، فمعناه: بدؤوا أم لم يبدؤوا قاتلوا أولم يقاتلوا، فإنهم يقاتلون واستدل بهذه الآية {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}

ذكر حال الكفار قال تبارك وتعالى **{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** فهذا الكلام نوجهه للمشركين والكفار، وأيضاً من مضى زمن على حياته في الفسق وفي الفجور والمعاصي، نقول إذا كان الله جل وعلا يعرض التوبة والمغفرة والرحمة لهؤلاء الكفار إذا أسلموا، فأنت ولله الحمد الآن مسلم، ولكن زلت بك القدم في وحل المعاصي، تب إلى الله وأنب إلى الله تعالى وأبشر **{فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**.

الآية ذات الرقم (١٩٣) من سورة البقرة: يقول تبارك وتعالى **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}**

قوله تبارك وتعالى **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}** المراد بالفتنة هنا: الشرك، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم، **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}** يعني: أن من أهداف الإسلام في القتال والجهاد أنه لا يبقى شرك، ليس المقصود لا يبقى أبداً، لأن هذه سنة الله في الحياة يوجد مؤمن ويوجد مشرك، لكن المقصود أنه يفتح المجال للدعوة الإسلامية وألا يجب نور الدين عن الناس، الخ على كل حال **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}** المراد بالفتنة هنا: هي الشرك.

قوله جل وعلا **{وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ}** في سورة الأنفال: **{وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ}** وهذا من الجمع بين المتشابهات، وفيما أتذكر أنها في موضعين، هنا في سورة البقرة بدون (كل) وفي سورة الأنفال **{وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ}** وهنا في سورة البقرة بدون كل، وينبغي لحافظ القرآن أن يعتني بحفظ المتشابهات، وهناك كتب من القديم والحديث نظمت فيها أبيات شعرية، وفيها رسائل صغيرة ولله الحمد موجودة في الأسواق وفي كل مكان، تعين حافظ القرآن على حفظ المتشابهات، وسبحان الله كل حافظ له طريقته في حفظ المتشابهات، فمثلاً: كل إنسان يرى أن هذه تشبه عليه في ترتيبها ترتيباً معيناً في ذهنه، مثلاً **{كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى}** كل القرآن **{لِأَجَلٍ مُّسَمًّى}** عدا موضع واحد في سورة لقمان **{كُلُّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}**، وهنا مثلاً **{وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ}** في سورة الأنفال **{وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ}**، فينبغي لحافظ القرآن إذا أراد أن يضبط القرآن ويتقن حفظه أن يجمع المتشابهات، وكما قلت يستفيد مما كتب ومما نظم أيضاً في ترتيب المتشابهات، وأيضاً يكون له جهد خاص في ترتيب المتشابهات حتى يوفق بإذن الله جل وعلا أن يكون من الماهرين بالقرآن، وأن يكون مع السفارة الكرام البررة، الماهر بالقرآن هذا فضل الله جل وعلا يؤتيه من يشاء.

قوله تبارك وتعالى **{وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ}** قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن يخلص له التوحيد، يعني: الدين الصحيح والدين الحق هو دين الإسلام، هو إخلاص التوحيد لله تبارك وتعالى.

{فَإِنْ انتهوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} يعني: إن انتهوا هؤلاء وكفوا قتالهم، أو كفوا عن الشرك، ودخلوا في دين الإسلام **{فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}** العدوان: الظلم وأريد به هنا الجزاء، يعني فلا جزاء إلا على الظالمين، فلا مجازاة، وإنما سمي الجزاء عدواناً مقابلة للشيء بمثله، كقوله تبارك وتعالى **{فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}** ليس المقصود إن الإنسان يعتدي، لكن لما كان الشيء من جنسه أتى بلفظ مثل لفظه، مثل قول الله تبارك وتعالى **{وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا}** ليس معنى ذلك: أن الإنسان أساء إليّ أنا أسوء إليه، لا مانع أني آخذ حقّي، وأخذك لحقك والحالة هذه؛ مشاكلة ومشابهة، ولذلك أطلق عليه اللفظ "مثله" مثل هذا يقال للآخر، فهنا المقصود بالعدوان هو المجازاة، العدوان: ظلم، ويراد به الجزاء، وسمي الجزاء عدواناً مقابلة للشيء بمثله كقوله **{فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}** فلا أحد يفهم من قوله **{فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ}** أن الإسلام يؤيد العدوان ويؤيد ظلم الناس، أعود بالله حاشا وكلا، المقصود: جيء بلفظ مثل ذلك اللفظ لأنهما في سياق واحد ويراد به الجزاء.

{فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} الظالمون هنا: هم المشركون، قاله عكرمة وقتادة وآخرون، وبلا شك أيها الأخوة أن أعظم الظلم هو الشرك بالله عز وجل، لأنه وضع العبادة في غير موضعها الصحيح، ولما نزل قول الله تبارك وتعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله: وأينا لا يظلم نفسه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (إنه ليس الذي تعنون، إنه ما جاء في قول العبد الصالح {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}) فالشرك هو أعظم الظلم وأقبحه وأشنعه لأنه عبد مع الله جل وعلا غيره، صرف العبادة لمن لا يستحقها.

أختم هذه الآية أن جماعة من المفسرين منهم **قنادة** ذهب إلى قوله تعالى: {فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}: هذا منسوخ بآية السيف، وإنما يستقيم هذا إذا قلنا: فإن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم على دينهم، يعني: هذا لا يتأتى أن يقال في نسخ؛ إلا إذا كان المراد إن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم على دينهم، مع أنهم لا يزالون على دينهم، ولكنهم كفوا عن القتال، أما إذا قيل إن معناه: إن انتهوا عن دينهم فالآية محكمة بلا شك.

يعني هو المسألة الكلام عن الانتهاء الآن {فَإِنِ انْتَهَوْا}

إن قيل: إن الانتهاء هو الانتهاء عن القتال مع بقائهم على الدين فقد يقال: نعم إن هذا فيه نسخ.

لكن إن قيل: إن المراد بالانتهاء هنا هو الانتهاء عن دينهم، تركوا دينهم، دين الكفر والشرك، وانتقلوا إلى دين الإسلام، لاشك أن هذا مطلب، وهذا أمرٌ يحبه المسلمون أن يدخل الناس في دين الله عز وجل، فلا يجوز بعد ذلك الاعتداء عليهم، هذا كلام في الحقيقة جميل من كلام بعض المفسرين أنه: إذا كان المراد بالانتهاء هو انتهائهم عن دينهم، وانتقالهم إلى دين الإسلام، فإن الآية محكمة، وعليه فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن يعتدى عليهم، الحمد لله هؤلاء دخلوا في دين الإسلام هل يعتدى عليهم؟! أعود بالله، هذا لا يقوله عاقل ولو حصل شيء من ذلك فهو قد يكون خطأ، مثل ما حصل من خالد بن الوليد رضي الله عنه لما قتل أولئك القوم ولم يتبين له أمرهم، وأيضاً في قصة قبل ذلك، هذا إذا كان الأمر خطأ، أمر غير مقصود هذا شيء آخر، وإلا فنحن ولله الحمد نرغب الناس أن يدخلوا في هذا الدين ونبين لهم محاسنه وتعاليمه، وندفع عنه أيضاً التهم التي ألصقت به، فإن ديننا دين الإسلام تلصق به ما بين الفينة والأخرى بعض التهم الجائرة الباطلة، مثل أن دين الإسلام يتبنى الإرهاب، أو أن دين الإسلام يهضم حقوق الإنسان، أو أنه لا يعترف بحقوق المرأة، أو أنه دين الظلم وعدم المساواة وغير ذلك من الافتراءات غير الصحيحة، بل الإسلام دين يحارب الإرهاب، وهو الذي أقام حقوق الإنسان، وهو الذي أعطى المرأة حقوقها، ووروا إلى غير ذلك، كون أخطاء تحصل من فلان أو علان فهذا من أخطاء يتحمل خطأه، والإسلام براءً منه، أسأل الله جلّ وعلا أن يثبتني وإياكم على الدين وأن يمنحنا الفقه فيه هذا وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحلقة (٢٣)

موضوع هذه الحلقة تفسير الآيتين (١٩٥، ١٩٤) من سورة البقرة

يقول الله تبارك وتعالى {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}

◀ **سبب نزول الآية:**

وقد ذكرت أن أسباب النزول مبثوثة موجودة في كتب التفسير المتقدمة والمتأخرة، وهناك من العلماء من أفردتها بالتصنيف، ومن أوائل من أفردتها بالتصنيف الواحد في كتابه أسباب النزول، وقد جمع جملة منها وليست كلها، الحافظ ابن حجر

رحمه الله في كتابه العجائب في بيان الأسباب، ثم جاء الإمام السيوطي رحمه الله فآلف في ذلك كتاب لباب النقول في أسباب النزول، وهي كما قلت مبثوثة في الكتب، ولكن هذا العلم من أشرف علوم القرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "العلم بالسبب يعين على فهم المسبب" فالعلم بأسباب النزول بلا شك يعين على فهم الآية واستنباط الأحكام منها، فهذا يدل على أهمية العناية بهذا العلم، ولذلك فنحن في بداية تفسير كل حلقة إذا وجد هناك سبب نزول ذكره العلماء؛ فإننا نذكره ومن ذلك ما جاء في تفسير هذه الآية {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ} الآية، اختلف في سبب نزولها على قولين:

• **القول الأول:** أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل هو وأصحابه معتمرين في ذي القعدة، ومعهم الهدى، فصدّهم المشركون، فصالحهم نبي الله صلى الله عليه وسلم على أن يرجع عنهم ثم يعود في العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها بسلاح، ولا يخرج بأحد من أهل مكة، فلما كان العام المقبل، أقبل هو وأصحابه فدخلوها، فافتخر المشركون عليه إذ رده يوم الحديبية، فأقصه الله منهم وأدخله مكة في الشهر الذي رده فيه، فقال {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ}، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس ومجاهد وعطاء وأبو العالية وقتادة وآخرون.

يعني معروف أيها الإخوة صلح الحديبية وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء يريد عمرة الحديبية أن هذا كان في ذي القعدة، صدّه المشركون وحصل ما حصل من الصلح، ومن بنود هذا الصلح أن يرجع النبي صلى الله عليه وسلم في تلك السنة وأن يعود في العام القادم، وأن يدخل مكة بدون سلاح، وألا يخرج معه بأحد من الكفار، وأن يقيم فيها ثلاث ليال فقط، النبي صلى الله عليه وسلم رجع في ذي القعدة، إذ افتخر المشركون وهم قد افتخروا بأنهم قد رده عام الحديبية، فأنزل الله جل وعلا هذه الآية {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ}، أنه إن رددتموه في ذي القعدة من تلك السنة فجاءكم أيضاً في الشهر الحرام وهو نفسه شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب هذه الأربعة أشهر هي الأشهر الحرم، هذا قول لسبب نزول الآية.

• **القول الثاني:** أن مشركي العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: (أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام؟ قال: نعم!) وأرادوا أن يفتروه في الشهر الحرام فيقاتلوه فيه، يعني أرادوا أن يقع الرسول صلى الله عليه وسلم في الإثم فيقاتلوه فيه، فنزلت هذه الآية. والمعنى: إن استحلوا منكم شيئاً في الشهر الحرام فاستحلوا منهم مثله، هذا هو قول الحسن، ورجّحه الزجاج وغيره من المفسرين، يعني إن المشركين أرادوا أن يوقعوا النبي صلى الله عليه وسلم في الحرج، النبي صلى الله عليه وسلم سأله (هل تقاتل في الشهر الحرام؟ قال: لا)، فأرادوا القتال في الشهر الحرام وأحبوا أن يوقعوا النبي صلى الله عليه وسلم في الإثم، الله جل وعلا أباح له، ليس معناه أنهم إذا قاتلوا في الشهر الحرام، معناه إن النبي صلى الله عليه وسلم سيتركهم، ويأتون ويذبحون المسلمين وينتصرون عليهم، لا! هذا غير صحيح، حتى لو قاتلوا في الشهر الحرام، الشهر الحرام بالشهر الحرام، يقاتلهم المسلمون ولو كانوا في الشهر الحرام، فالأشهر الحرم لا تحول بينهم وبين قتالهم، ولا تجعلها حاجزاً عن أن ينتصروا على هؤلاء، لأنهم لو تركوهم لتغلبوا عليهم، على كل حال يكون المعنى: إن استحلوا منكم شيئاً في الشهر الحرام، فاستحلوا منهم مثله، وهذا في الحقيقة، أيضاً قول صحيح ومناسب.

على القول الأول يكون المراد: الشهر الحرام الذي دخلتم فيه الحرم؛ بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه عام أول، على كل حال سواءً على القول الأول أو القول الثاني كلاهما صحيح، يعني هم صدوهم عن ذي القعدة في تلك السنة، فدخلوا في ذي القعدة في السنة التي بعدها.

والقول الثاني: أنهم أرادوا أن يجرّوهم ويوقعوهم في الإثم، هذا لا إثم فيه، مادام أنهم الكفار قاتلوا في الشهر الحرام، والآى استحلوا مع أنهم يعظمون الأشهر الحرم؛ فلا ضير على المؤمنين أن يستحلوا هذا الشهر الحرام وأن يقاتلوا الكفار فيه ولا يمنعهم مانع من ذلك.

قوله تبارك وتعالى **{وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ}** أي: أن الله اقتص لكم منهم في ذي القعدة، كما صدوكم في ذي القعدة، يعني في العام الذي قبله، وقال الزجاج: الشهر الحرام أي: قتال الشهر الحرام بالشهر الحرام، فأعلم الله تبارك وتعالى أن أمر هذه المحرمات لا تجوز للمسلمين إلا قصاصاً، يعني: كان في بداية الأمر مجرد إن قتلوا قوتلوا فقط، ولكن يذهب كثير من أهل العلم أن ذلك نُسَخَ بآية السيف، وأنهم يقاتلون في أي وقت، وأن الجيوش الإسلامية التي ذهبت للجهاد في سبيل الله ما قالوا: أننا نترك الأشهر الحرم وما نقاتل، لا! بل يقاتلون: متى دعت المصلحة واحتيج إلى ذلك فلا حرج.

بعد ذلك يقول الله تبارك وتعالى **{فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}**، قال ابن عباس رضي الله عنهما خبر الأمة وترجمان القرآن، ونحن دائماً نتكئ في الحقيقة ونعتمد على قول ابن عباس، لأنه في الحقيقة أعلم الصحابة بالتفسير، قال رضي الله عنه: "من قاتلكم في الحرم فقاتلوه - على كل حال، سواء في الحرم أو خارج الحرم - وإنما سمي المقابلة على الاعتداء اعتداءً، لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية"، طبعاً ذكرت فيما سبق، أنه ليس المقصود **{فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا}** قد يقول قائل: أعوذ بالله دين الإسلام يؤيد العدوان ويشجع الاعتداء على الآخرين، نحن نقول: لا! إن شاء الله الأول معصية والثاني طاعة، لكن لما تشابه الحلال سمي أو أعطي اللفظ السابق: **{فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا}** ثم أيضاً **{فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}** فلا يجوز أن يتجاوز في الحد وفي القدر، بل بمثل ما صنع، وهذا أسلوب معروف عند العرب.

قال الزجاج -والزجاج إذا قيل هو: أبو إسحاق إبراهيم بن السري، صاحب كتاب معاني القرآن وإعرابه، وهذا الكتاب يعتبر في الحقيقة من أنفس الكتب المتقدمة، الزجاج هو في القرن الذي عاش فيه الطبري، وقد توفي الزجاج سنة ٣١١هـ، وله كتاب معاني القرآن، وكتب معاني القرآن المطبوع الآن والمعروف بأربعة: معاني القرآن للقرآن، ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، ومعاني القرآن للنحاس، هذه الكتب التي هي بعنوان معاني القرآن وهي تعني ككتاب الزجاج بالأمر اللغوية والقراءات وذكر أساليب العرب ونحو ذلك -.

يقول الزجاج: والعرب تقول: ظلمي فلان فظلمته، ليس مقصوداً الظلم ولكن المقصود جازيته بظلمه، وجهل فلان علي فجهلته عليه، وسبق أن تكلمت عن هذا في الحلقة السابقة.

ثم بعد ذلك ختمت الآية بقول الله جل وعلا **{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}**: يا سبحان الله!! يتكرر الأمر بتقوى الله جل وعلا ما بين آيتين أو آية، أيضاً بيان ثمرات وثمار أهل التقوى، هنا أن الله جلّ وعلا معهم، وهذه معية خاصة للمتقين أن الله يؤيدهم ويحفظهم، يسددهم متى ما حققوا مقام التقوى، ومقام التقوى كما ذكرت مقام عظيم، التقوى جنة يستجن بها العبد من المعاصي والذنوب، ولذلك قال العلماء: التقوى أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أو أمره واجتناب نواهيه، وقد ذكرت في حلقات سابقة، أن السلف الصالح رضي الله عنهم روي عنهم أقوال في بعض أسس التقوى وقواعدها.

نذكر شيء منها:

قال علي رضي الله عنه التقوى: "هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة من الدنيا بالقليل، والاستعداد ليوم

الرحيل".

وقال عبد الله بن مسعود: "التقوى أن يطاع الله فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر".
وقال طلق بن حبيب: "التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، وترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله".

وقال الحسن البصري رحمه الله: "التقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك".

الآية (١٩٥) من سورة البقرة: وهي قوله تبارك وتعالى {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}

❖ **اختلف في سبب نزول هذه الآية على قولين:**

• **القول الأول:** أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بالتجهز إلى مكة، قال ناس من الأعراب: يا رسول الله بماذا نتجهز؟ فوالله مالنا زاد ولا مال، فنزلت الآية، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

• **القول الثاني:** أن الأنصار كانوا ينفقون ويتصدقون فأصابتهم سنة (يعني: قحط وجهد) فأمسكوا فنزلت، قاله أبو جيرة ابن الضحاك، فعلى كل حال هذا أو هذا، فالآية قد تكون نزلت في هذا ولا يمنع أن تنزل الآية لأسباب متعددة، وقد بوب على هذا العلماء في علوم القرآن: أنه يتعدد السبب والنازل واحد، أو يتعدد النازل والسبب واحد وهذا له أمثله.

قوله تبارك وتعالى {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي: في مرضاته، وابتغاء ما عنده جلّ وعلا، والسبيل في اللغة: هو الطريق، وهناك قول: بأنه الجهاد في سبيل الله، في سبيل الله: أي في الجهاد في سبيل الله، وإنما استعملت هذه الكلمة في الجهاد، لأنه السبيل الذي يقاتل فيه، وهو الجهاد في سبيل الله عز وجل.

قوله تبارك وتعالى {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} بمعنى الهلاك، يعني: لا تلقوا بأيديكم إلى الهلاك، ويقال هلك الرجل يهلك هلاكاً وهلكاً وتهلكة.

لماذا عبّر بالأيدي هنا، هل المراد بالأيدي فقط {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ} فقط؟ لا! هو كما قال المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد قال: المراد بالأيدي الأنفس، يعني: ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة، فعبرّ بالبعض عن الكل، وهذا شيء كثير في لغة العرب، أن يعبرّ بالجزء عن الكل وعن الكل بالجزء، مثل {جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} معروف أن الإنسان لا يمكن أن يدخل أصبعه في أذنه، وإثماً أعلى الأصبع، وإنما المراد بيان عنادهم وتجبرهم وعدم رغبتهم في سماع الخير وسماع الدعوة إلى الله عز وجل، وهنا عبّر بالبعض عن الكل، يعني بالعكس، على كل حال هذا أسلوب من أساليب العرب والقرآن نزل بلسان عربي مبين.

لكن اختلف في المراد بالتهلكة هنا {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ} اختلف في ذلك على أقوال:

• **القول الأول:** أنها ترك النفقة في سبيل الله، هذا من الإلقاء باليد إلى التهلكة (يا سبحان الله!! نعم الإنسان عندما يترك النفقة والبذل في سبيل الله عز وجل كان كأنه ضيّع نفسه وألقى بها إلى التهلكة وإلى الضياع وإلى الهلاك، (ما نقص مال من صدقة)، هذا قول حذيفة وابن عباس والحسن وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد وغيرهم.

• **القول الثاني:** أنها القعود عن الغزو شغلاً بالمال، قاله أبو أيوب الأنصاري، ولذلك كان يقول إنكم تحملون هذه الآية على غير محلها الصحيح، "إنها نزلت فينا معشر الأنصار لما استقر الأمر وانتشر الإسلام قلنا لو رجعنا إلى مزارعنا وحوادثنا وكذا وكذا فنزلت هذه الآية: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}.

• **القول الثالث:** أنها القنوط من رحمة الله، نسأل الله العافية، نعم هذا من التهلكة، عندما يقنط الإنسان من رحمة الله، يئس من روح الله، هذا من التهلكة قاله البراء بن عازب و النعمان بن بشير.

• **القول الرابع:** أنها عذاب الله رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

وعلى كل حال الآية عامة في هذا وفي غيره، الإنسان يحذر أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، فيدخل فيه جميع ذلك مساخط الله، عذاب الله، غضب الله، الإنسان يحذر أن يلقي بنفسه في مثل هذه الأمور من قريب أو من بعيد.

قوله تبارك وتعالى {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} في قوله تبارك وتعالى {وَأَحْسِنُوا} ثلاثة أقوال:

• **القول الأول:** أحسنوا الإنفاق، إما أن تحسن بالإنفاق، تقدّم من مالك ما استطعت، وأيضاً تحسن النفقة، فتنفق الطيب ولا تنفق الرديء، تتصدق وأنت صحيحٌ شحيح، تتحسس أحوال الفقراء والمساكين، لأن بعض الناس هداهم الله يرى أن الزكاة -وهذه أمرها أعظم وأخطر، وأيضاً الصدقة- أنها حملٌ على الكتف يلقيه في أي مكان، هذا غير صحيح، ينبغي لك الحقيقة، من أنعم الله عليه بالمال وأراد الصدقة؛ أن يتحسس أحوال الفقراء والمساكين، ويبحث عنهم، وإذا كان يشق عليه وليس عنده وقت، فلو أعطها جمعيات البر الخيرية الرسمية المعتمدة، فهم والله الحمد يعرفون بيوتهم ويذهبون إليهم ويوصلون ما لديك، أما كون الإنسان يضع ماله في غير موضعه الصحيح، هذا فيه تهاون، وتساهل، فمن الإحسان في النفقة ألا تمتن بها، وتكون من الطيب ولا تكون من الرديء، أن تتحسس بها أحوال الفقراء والمساكين، وأيضاً الأقارب والأرحام أفضل من الأباعد، ونحو ذلك مما ذكره العلماء في آداب النفقة.

• **القول الثاني {وَأَحْسِنُوا} أي:** أحسنوا الظن بالله عز وجل، وهذا الإنسان مطالب به، وجاء في الحديث القدسي يقول الله عز وجل (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء) نعم يا أخي، ينبغي للمسلم أن يحسن الظن بالله تبارك وتعالى، وأسوأ الناس من يُسيء الظن بالله عز وجل، يسيء الظن أن الله لا يغفر له، أن الله لا يرحمه، أن الله لا ينصر الإسلام، أن الله يعاقبه أن الله يظلمه، أعوذ بالله، بعض الناس قد يتسخط وقد يعترض وهذا بلا شك سوء ظن بالله عز وجل {الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ} فينبغي للمسلم الحقيقة أن يستروح بآيات الرجاء وأحاديث الرجاء، وحسن الظن بالله جلّ وعلا وأنه أرحم الراحمين، أنه أرحم بعباده من أنفسهم، أنه أرحم بعباده من الأم بولدها ومن الوحش بصغارها، ينبغي للإنسان في الحقيقة أن يهتم بهذه المعاني العظيمة، وأعظمها وأجلها حسن الظن بالله تبارك وتعالى.

• **القول الثالث:** أن معناه: أدوا الفرائض، ولا شك أن أعظم الإحسان أن يحسن العبد إلى نفسه، كيف أحسن إلى نفسي؟ أؤدي فرائض الله جلّ وعلا، أقوم بالفرائض أؤدي الحقوق، أؤدي ما علي من الواجبات، هذا هو الإحسان، أنت الآن تحسن إلى الناس، جزاك الله خير، تحسن بمالك، بعملك، بإشارتك الطيبة بمشورتك، بنصيحتك، هذا كله عمل طيب، لكن يا أخي أحسن إلى نفسك، أنقذ نفسك {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} أنت مطالب يا أخي بأن تحسن إلى نفسك، أحسن إلى نفسك، وأعظم الإحسان إلى نفسك العمل الصالح، القيام بفرائض الله، أن تقيها نار جهنم، هذا هو الإحسان إلى نفسك.

ختم الآية {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} وبلا شك أن الإحسان أمره عظيم وشأنه كبير، فمن ثواب المحسنين أن الله يحبهم، وهذه صفة لله تبارك وتعالى وهي صفة المحبة، فالله أيها الإخوة نحسن إلى أنفسنا ونحسن إلى غيرنا، وقد ثبت في الحديث

الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَلِإِحْسَانِكُمْ شَفْرَتُهُ وَلِإِحْسَانِكُمْ شَفْرَتُهُ) الخ الحديث

ومرتبة الإحسان أعظم مراتب الدين، أعظم من الإسلام، وأعظم من الإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) اللهم فاجعلنا من عبادك المحسنين ومن أوليائك المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وصلى اللهم وسلم على محمد وآله وصحبه.

الحلقة (٢٤)

موضوع الحلقة تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة:

وهذه الآية مشتملة على أحكام كثيرة يقول الله تعالى {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

هذه الآية تشتمل على أحكام كثيرة ترتبط بالحج، أولاً: يذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية هي التي جاءت بفرضية الحج أو دالة عليه، وهذا قول غير صحيح، هذه الآية فيها أنه من دخل في نسك الحج والعمرة فعليه إتمامه، وليس فيها الأمر بالحج، وإنما أخذ العلماء فرضية الحج من قوله {وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَكِيمٌ غَبِيرٌ} وهذه الآية في سورة آل عمران، أما هذه الآية فليس فيها فرضية الحج، هذه الآية فيها من دخل في أحد النسكين الحج والعمرة فعليه أن يتمهما، قوله تعالى {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} **الحج في اللغة** هو القصد، **أما في الاصطلاح** هو: قصد بلد مخصوص لأداء عبادة مخصوصة، في وقت مخصوص، من شخص مخصوص، أما العمرة في اللغة: هي الزيارة.

أما الفرق بين الحج والحج؟ الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب يقول أن الحج المصدر، وبكسرها الاسم، وقال الفراء هما لغتان، على كل حال الحج أو الحج، لكن المقصود معناه في اللغة القصد، والعمرة في اللغة الزيارة، ويقال انه جاء في كتب اللغة أن المراد بالعمرة باللغة القصد مثل الحج.

← ما المراد بالإتمام؟ اختلف فيه على أقوال:

- **القول الأول:** أن معنى الإتمام أن يفصل بينهما، وهو أن يأتي بالعمرة في غير أشهر الحج، وهو مذهب عمر رضي الله عنه، وبه قاله الحسن وعطاء، وهدفه رضي الله عنه أن تتكرر الزيارة وأن يعمر البيت.
- **القول الثاني:** أن يُجرم الرجل من دويرة أهله، يعني يأتي بالعمرة في سفر والحج في سفر آخر، قاله علي رضي الله عنه وطاووس وسعيد بن جبيرة.
- **والقول الثالث:** أنه إذا شرع في أحدهما لم يفسخه حتى يتمه.
- **القول الرابع:** أنه فعل ما أمر الله فيهما من أحكام وهذا قول مجاهد.

والحقيقة هنا القول الثالث هو الأقرب وعليه أكثر أهل العلم، وهو من دخل في أحد هذين النسكين فعليه أن يتمه ولا يفرغ منه حتى ينتهي.

وقوله تعالى: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} جمهور القراء على نصب العمرة، وذلك بإيقاع الفعل عليها فتكون مفعولاً به، وهناك قراء شاذة قراءة ابن مسعود والأصمعي وغيرهما قرأوها بالرفع {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}، وعلى كل حال قراءة الجمهور تدل على أنها معطوفة، وأنها واجبة، وهذا هو الصحيح ومذهب الجمهور بأن العمرة واجبة ويستدلون بقوله تعالى {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} وهذا مذهب علي وابن عمر و ابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء، وهناك قول آخر عن ابن مسعود وجابر

رضي الله عنهما والشعبي وإبراهيم وأبي حنيفة ومالك أنها سنة وتطوع، ولكن الصحيح أنها واجبة، بدلالة هذه الآية ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (حج عن أبيك واعتمر) فدل هذا على أن العمرة واجبة، وهناك قول آخر أنها سنة (ولكنه مرجوح).

وقوله تعالى {فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ}: قال ابن قتيبة: يقال أحصره المرض والعدو إذا منعه من السفر، ومنه هذه الآية، وحصره العدو إذا ضيق عليه، وقال الزجاج: يقال لرجل إذا حبس قد حصر فهو محصور، وعلى هذا اختلف العلماء في المراد بالإحصار على قولين:

• القول الأول: أنه لا يكون إلا بالعدو، ولا يكون المريض محصراً، وهذا مذهب ابن عمر ابن عباس وأنس ومالك والشافعي وأحمد ويدل عليه قوله {فَإِذَا أَمْنْتُمْ}، فالأمان لا يكون إلا بعد ذهاب العدو والخوف، فهم يقصرون الإحصار على منع العدو، إذا جاء عدو ووقف على باب مكة ومنع الناس من الدخول فهذا يعتبر نوع من الإحصار وهم يرون أنه خاص بمنع العدو.

• القول الثاني: أن يكون بكل حابس من مرض أو عدو أو عذر أو نحوه، وهذا هو القول الصحيح، ومعنى الآية: فإن أحصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتهم، فعليكم ما استيسر من الهدى، ومثله قوله: أو به أذى من رأسه ففديه أي، فحلقت ففديه، المهم فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى، القول الراجح أن الإحصار يشمل ما لو كان في عدو أو مرض أو فرضاً لو جاءت سيول شديدة أو رياح المهم أي نوع من الإحصار يدخل في هذه الآية فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى.

وقوله {الْهَدْيُ}: الهدى ما أهدي إلى البيت من الإبل والبقر والغنم، وأصله هديّ مشدد، لكنه خفف، وبالتشديد قرأ الحسن ومجاهد وعلى كل حال هي قراءة شاذة، ولكن القراءة السبعية بالتخفيف: فما استيسر من الهدى، واختلف المراد بالهدى على ثلاثة أقوال:

• القول الأول: أنه شاة أنه يكفي أن يذبح شاة ويحل، وهذا قول علي وابن عباس والحسن و عطاء وسعيد بن جبير وغيرهم.
• القول الثاني: أنه ما تيسر من الإبل والبقر لا غير، أما الغنم فلا، قاله ابن عمر وعائشة.
• والقول الثالث: أنه على قدر الميسرة، أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأخسه شاة، أي أقله، قال أحمد الهدي من الأصناف الثلاثة من الإبل والبقر والغنم وهو قول أبي حنيفة، على كل حال الذي يجزئ منه شاة، الذي يريد أن يذبح بقرة أو ناقة هذا الأمر إليه، لكن أقله شاة.

{وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ} هذا فيه دليل على أن من محظورات الإحرام حلق الرأس، وقد قاس عليه بعض العلماء بقية الشعر من أجزاء الجسم، ومن الحكمة من هذا: عدم الترفه وعدم العناية بالزينة، فهو متوجه بقلبه وقالبه لأداء هذه الفريضة العظيمة الحج أو العمرة، فينبغي له ألا ينشغل.

وقوله تعالى: {حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ} قال ابن قتيبة المحل الموضوع الذي يحل به نحره، وفي المحل قولان:

أحدهما: أنه الحرم، قاله ابن مسعود والحسن وعطاء.

والثاني: أنه الموضوع الذي أحصر به، فيذبحه ويحل، وعلى كمال حال لو كان محصراً يذبحه في المكان الذي هو فيه، ولو كان غير محصر فإن عليه ذبحه في منى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (نحرت هاهنا ومنى كلها منحر، وفجاج مكة طريق ومنحر)، أي: إن كان محصراً يذبح في محله الذي أحصر فيه، وإن كان غير محصر يذبح يوم العيد في منى وفي فجاج مكة كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ نُسُكٍ}

هذا معروف نزل في قصة كعب بن عجرة رضي الله عنه، جاءه النبي وقد كثر القمل في رأسه، حتى تهافتت على وجهه، فقال النبي إني أرى هوام رأسك قد آذتك، فقال نعم، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يخلق رأسه وأن يفتدي، وجاءت السنة ببيانه {فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ} السنة هنا صيام ثلاثة أيام {أَوْ صَدَقَةٌ} وهي إطعام ستة مساكين {أَوْ نُسُكٍ} ذبح شاة، السنة بينت هذا أنه إما أن يصوم ثلاثة أيام، أو يطعم ستة مساكين، أو يذبح شاة، يختار واحد منها، والعلماء عموماً هذا في باقي محظورات الإحرام، عدا الجماع فهذا شيء آخر.

وقوله تعالى: {فَإِذَا أَمِنْتُمْ} أي من العدو، لأن المرض لا تؤمن معاودته، قال علقمة إذا أمنتكم من الخوف والمرض، وعلى الراجح أن الإحصار يشمل هذا كله.

وقوله تعالى: {فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ} معناه أي من بدأ العمرة في أشهر الحج، وأقام الحج من عامه ذلك فعليه ما استيسر من الهدى، وهذا هو الحق، التمتع وهو أحد أنسك الحج وهو أفضلها على الراجح، أن يأتي بهما في سفر واحد في أشهر الحج، شوال أو ذي القعدة أو ذي الحجة، والمهم أن التمتع عليه هدي، قال العلماء لأنه أتى بنسكين في وقت واحد، أو في أشهر الحج، أو في سفر واحد، فيجب عليه أن ينحر هدي.

وقوله تعالى: {فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ} قال الحسن قبل التروية بيوم، ويوم التروية، ويوم عرفة، وقيل أن هذه الأيام أمرها سهل، لو صامها قبل يوم التروية معه يوم التروية، أو صامها أيام التشريق غير أيام العيد، أو لو أجلاها حتى يرجع إلى أهله، فأمره سهل ولا حرج عليه إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: {وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ} فصيام ثلاثة أيام كما قلنا أنها إما يوم التروية وما قبله أو أيام التشريق وما بعدها، ولو أجلاها فللا حرج، وقوله وسبعة إذا رجعت والمراد به قولان:

• الأول: إذا رجعت إلى أمصاركم إلى بلادكم.

• والقول الثاني: إذا رجعت من حجكم وكلاهما صحيح.

وقوله تعالى {تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ} اختلف المراد في هذه الجملة على أقوال:

• القول الأول: أنها كاملة في قيامها مقام الهدى، فهذه العشرة شرعها الله وهي تقوم مقام الهدى.

• القول الثاني: أن الواو تقوم مقام "أو" في مواضع ومنها هذه الآية، فأزال الله احتمال التخيير في هذه الآية بقوله تلك عشرة كاملة، وفي لغة العرب قد تأتي (الواو) بمعنى (أو) و(أو) بمعنى (الواو) فأزيل بهذه (تلك عشرة كاملة) ما قد يذهب إليه الذهن بأن الواو هنا للتأخير.

• القول الثالث: أن ذلك للتوكيد، وهذا معروف في لغة العرب، قال تعالى (وإذ واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة)، فـ ٣٠ = ١٠ + ٤٠، وهنا ٣ و ٧ = ١٠، والقرآن نزل بلغة العرب، وهي تكرر الشيء للتوكيد.

• القول الرابع: أن معناه تلك عشرة كاملة في الفصل، وإن كانت الثلاثة في الحج والسبعة بعد، لئلا يسبق إلى وهم أحد أن السبعة دون الثلاثة، وهذا القول ليس بذلك.

• القول الخامس: أنها لفظ الخبر، ومعناه الأمر، والتقدير تلك عشرة فأكملوها، يعني اعتنوا بها، ولا تتساهلوا، على كل حال هي عشرة ثلاثة في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله.

وقوله تعالى: {ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} اختلف في المشار إليه على قولين:

• **أحدها:** أنه التمتع بالعمرة إلى الحج.

• **والثاني:** أنه الجزء بالنسك والصيام، ومعروف أن من كان من أهل المسجد الحرام فإنه لا تمتع عليه، فلذلك ليس عليه هدي، {ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} اللام في قوله {لمن} بمعنى على، فأما {حاضري المسجد الحرام} فقال ابن عباس هم أهل الحرم، وقال عطاء من كان منزله دون المواقيت، فمعنى الآية إن هذا الفرض لمن كان من الغرباء، وإنما ذكر "أهله" وهو المراد بالحضور، لأن الغالب على الرجل أن يسكن حيث أهله ساكنون، يعني هذا الحكم الذي مضى، والهدي، وصيام العشرة إن لم يجد الهدي، هذا فيمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، وأما من كان حاضر المسجد الحرام، فإنه ليس عليه شيء من ذلك.

قوله تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} جاء الأمر بتقوى الله هنا يعني تنبيه للحاج على أن يحرص أن يحقق مقام التقوى، الذي هو الزاد الحقيقي، يقول تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}، فالحج فريضة عظيمة ورتب عليها أجر عظيم، قال صلى الله عليه وسلم {والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة} وقال عليه الصلاة والسلام: {من حج هذا البيت، فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه، كيوم ولدته أمه} هذا الحج العظيم وفضله الكبير لا بد فيه أن يحرص الحاج على أن يوفق في حجه لطاعة الله، ويستن بسنة عليه الصلاة والسلام القائل: {خذوا عني مناسككم}، يطيب نفقته، يخلص عمله لله عز وجل، يحذر مما سيأتي بيانه {فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} ويسأل الله القبول أولاً و آخراً {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

الحلقة (٢٥)

موضوع هذه الحلقة ذات الرقم (١٩٧) من سورة البقرة:

يقول الباري تعالى {الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}

قوله تعالى: {الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} في كلمة الحج لغتان وفيها قراءتان على هاتين اللغتين، جاء عن العرب الفتح والكسر، الحج بالفتح لغة أهل الحجاز، وبالكسر لغة تميم وقيل أنها أيضا لأهل نجد، قرأ الجمهور بالفتح، وهناك قراءة شاذة قرأ فيها الحسن بالكسر ولكنها قراءة شاذة.

ومعنى هذه الجملة {الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} قال الفراء وقت الحج هذه الأشهر، وقال الزجاج أن أشهر الحج أشهر معلومات.

وقد اختلف العلماء في المراد بأشهر الحج ما المراد بأشهر الحج؟ **على قولين:**

• **القول الأول:** أنها شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة، وهذا قول أكثر أهل العلم قاله ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير، وروي عن جملة من التابعين كالحسن وعطاء وابن سيرين والشعبي وطاوس وقال به الإمام أبي حنيفة والإمام أحمد والشافعي.

• **القول الثاني:** أن المراد بأشهر الحج أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة (يعني كل شهر ذي الحجة) وهو مروى أيضا عن ابن عمر وعطاء ومجاهد وطاوس.

قد يقول سائل ما المراد إذن؟ هل يمكن أن يحج إنسان بعد يوم عرفة والنبي عليه الصلاة والسلام قال: {الحج عرفة}، قال: الإمام ابن جرير الطبري "شيخ المفسرين" إنما أراد هؤلاء أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة، وإنما أشهر الحج، وإن كان عمل قد انقضى بانقضاء منى، وكانوا يستحبون أن يفعلوا العمرة في غيرها.

قال ابن سيرين ما أحد من أهل العلم شك أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج، إذن المقصود بالقول الثاني أنهم أرادوا أن الإنسان لا يأتي بعمرة في أشهر الحج، بعد الحج، وإنما ينشيء لها سفرا جديدا، ومن أراد أن يأتي بعمرة بعد الحج فلا حرج عليه، هذا على رأي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنهما لا يستحبون التمتع للناس، وإنما ينشيء سفرا جديدا حتى لا ينقطع الزوار عن الحرم.

العلماء ذكروا أن هناك مواقيت مكانية ومواقيت وزمانية.

المواقيت الزمانية: هي ما سبق، والراجع أنها شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة، والفائدة من هذا أن الإنسان لا يلبي بالحج إلا في هذه الأشهر، ثم أيضا ومن الفوائد لو أتى بعمرة وحج في هذه الأشهر ولم تنقطع عمرته أي لم يرجع إلى بلده فإنه يعد متمتعا، وهذه مسائل معروفة، المهم أن الراجع في المراد بالأشهر شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة.

لماذا قال تعالى الحج أشهر مع أنها شهران ونصف؟ قالوا إن هذا على عادة العرب أنها تجبر الكسر، وفي بعض الأحيان تُوقع الجمع على الاثنين، وقد ذكر ابن الأنباري في توجيه هذا وجهين: أحدهما: أن العرب توقع الجمع على التثنية قوله تعالى { **أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ** } والمراد هنا عائشة وصفوان في قصة حادثة الإفك، ومع ذلك جاء الجمع هذا فيه إطلاق الجمع على التثنية، وأيضا قوله تعالى { **وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ** } وما كان في القضية إلا داوود وسليمان عليهما السلام.

▪ **الوجه الثاني:** أن العرب توقع الوقت الطويل على الوقت القصير، فيقولون قُتل ابن الزبير أيام الحجاج وإنما كان القتل في وقت قصير، هل هو قتل في كل الأيام لا.

▪ **والوجه الثالث:** أن العرب تجبر الكسر.

← **مسألة:** لو أن شخصا أحرم قبل أشهر الحج مثلا في شعبان أو رمضان؟

فمذهب عطاء ومجاهد وطاووس والشافعي أنه لا يجزئه ذلك لهذا الدليل.

وهناك قول آخر أنه يرى جواز ذلك، ويقول إن المقصود بالآية أن معظم الناس يحجون في هذه الأشهر، ولكن القول الثاني مرجوح والقول الأول هو الراجح.

قوله تعالى { **فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ** } ما المقصود بفرض؟ فيها أقوال:

• **القول الأول:** قال ابن مسعود هو الإهلال بالحج والإحرام به، وهذا هو الأرجح المقصود به الإهلال، قول لبيك عمرة ولبيك حجا، يعني أحرم أهل بالحج، وقول طاووس وروي عن علي.

• **القول الثاني:** قول علي وابن عمر ومجاهد أنه إذا قلد بدنته فقد أحرم، وهذا معروف عند العرب ولا يزال، والمقصود إذا قلد بدنته ونوى الدخول في النسك، وليس التقليد وحده.

• **القول الثالث** أنه لا يجوز الدخول في الإحرام إلا بالتلبية أو تقليد الهدي وسوقه، على كل حال الراجح أنه لا يكون الدخول بالإحرام إلا بالتلبية.

قوله تعالى: { **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** }، كلمة فلا رفث فيها قراءتان:

القراءة الأولى قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ومعهم من غير السبعة أبو جعفر، فلا رفث ولا فسوق بالتثنية بالضم على آخره.

القراءة الثانية: قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحزمة والكسائي بغير تنوين، قراءتنا حفص عن عاصم { **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ** } أما ولا جدال مجمعون على أنها بفتح اللام وليست لها قراءة أخرى.

إذن ما توجيه هاتين القراءتين؟ قال أبو علي الفارسي في كتابه الحجة للقراء السبعة أي من فتح يرى أنه نفى جميع جنس

الرفث والفسوق كقوله تعالى {لَا رَيْبَ فِيهِ} نفي جميع الريب، أما لام الجدل هذا يتناول نفي جميع الجنس، فجعلت الكلمات الثلاث كلها لنفي جميع جنس الرفث وجميع جنس الفسوق وجميع جنس الجدل، هذا توجيه من قرأ بالفتح. وحجة من رفع أنه قد علم من فحوى الكلام نفي جميع الرفث، وقد يكون اللفظ واحد والمراد بالمعنى الجميع، وعلى كل حال فهما قراءتان ثابتتان عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ما المراد بالرفث؟ ثلاثة أقوال:

- **القول الأول:** أنه الجماع وهو أشد محظورات الإحرام، قاله ابن عمر والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم.
- **القول الثاني:** أنه الجماع وما دونه من التعريض، قالوا الجماع ومقدماته.
- **القول الثالث:** أنه اللغو من الكلام، أي لغو، كلام باطل لا مصلحة فيه.

ولا شك أن الاقوال الثلاثة كلها صحيحة، وأعظمها بلاشك الجماع وله أحكام تترتب عليه، ومقدماته ودواعيه، فعلى الحاج أن يترفع عنها ويتركها.

قوله تعالى {فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ} المراد بالفسوق: ثلاثة أقوال وكلها صحيحة:

- **القول الأول:** أنه السباب قاله ابن عمر وابن عباس.
- **القول الثاني:** أنها التنازب بالألقاب، رواه الضحاك عن ابن عباس.
- **القول الثالث:** أنها المعاصي (فالمعاصي شاملة لكل ما ذكر) وهذا هو القول الراجح.

قوله تعالى {وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} الجدل في اللغة هو المراء والمخاصمة بغير حق، لكن ما المراد به هنا في الآية؟
على قولين:

• **القول الأول:** أنه لا يمارين أحد أحدا فيخرجه المراء إلى الغضب، وفعل ما لا يليق بالحج، وذهب إلى هذا ابن عمر وابن عباس وطاووس وغيرهم.

• **القول الثاني:** أنه لاشك في الحج ولا مراء، فإنه قد استقام أمره وعرف وقته، وزال النسيء عنه، إلى آخره، وأيضا يدخل في هذا أن لا يجادل الإنسان في أحكام الحج.

وقوله تعالى {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ} حقيقة هذه فيها ترغيب وترهيب، فيها ترغيب أن الإنسان ينشط لفعل الخير عامة، وفيها ترهيب أن الإنسان يتقي الله، لا يتهاون في أداء مناسك الحج، بل يعظم شعائر الله {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} فعليه أن يحذر من أن يقع في الذنوب، وإن وقع فعليه التوبة من ذلك.

ثم قال تعالى {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} أمر الله تعالى أن يتزود الإنسان، وأن لا يكون عالة على غيره، والعلماء لما ذكروا شروط الحج ذكروا: الزاد والراحلة، فمن لا يستطيع لأنه فقير لا يحج، فلا يسأل الناس لأجل الحج، ولا يكون عالة على الناس، ثم ذكر الله أن أفضل الزاد هو زاد التقوى، وذكر ابن عباس أن جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون ويسألون الناس، وروي أن عمر رضي الله عنه أنه قال من أنتم؟ قالوا نحن المتوكلون، ف ضربهم بالدرية وقال بل أنتم المتأكلون، بذل الأسباب من التوكل على الله، والله نبه هنا أن خير الزاد التقوى، والشاعر يقول:

تزود من التقوى فإنك لا تدري*** إذا جن ليل هل تصير إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة*** وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

والمعروف أنه في الكتاب والسنة إذا جاء الحديث عن أمر من أمور الدنيا ينبه المسلم أن هناك ما هو خير وأعظم وهو زاد

التقوى، فهناك في اللباس لما أمرنا بأن نظهر نعمة الله علينا ذكر الله تعالى: **{وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ}** فهنا تنبيه أن المسلم وإن كان يؤمر بأن يأخذ استعداداه وعدته، لكن ينبه إلى ما هو أعظم وهو تقوى الله وفي دين الله، وفي الحديث الصحيح أن الصحابة لما كانوا يتناقلون قطعة من حرير أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان يريد أن يهديه إلى نسائه، قال صلى الله عليه وسلم: **{لمناديل سعد في الجنة أرق أو أنعم منها}**، نقلهم الرسول من الدنيا إلى الآخرة.

ثم قال تعالى **{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}** الأمر بالتقوى جاء كثيرا في آيات الحج، وبلا شك، العلماء قالوا أن من علامات الحج المرور أن يرجع الحاج بحال أفضل مما كان عليها من قبل ذلك، ومن الأحوال الطيبة تحقيق مقام التقوى لله تعالى بأن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أو امره واجتناب نواهيه

الحلقة (٢٦)

موضوع الحلقة تفسير الآية ذات الرقم ١٩٨ من سورة البقرة:

يقول تعالى **{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِّنْ عَرَاقٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِن الضَّالِّينَ}**

◀ **سبب نزول هذه الآية** ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم ويقولون أيام ذكر، فنزلت هذه الآية.

اللَّهُمَّ لك الحمد نعم يجوز البيع والشراء والأخذ والعطاء في أيام الحج، فلا حرج في البيع والشراء في الحج، ومن المنافع أيضا طلب العلم.

وقوله تعالى **{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا}** المقصود بقوله أن تبتغوا أي تلتسوا.

وقوله تعالى: **{فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ}** الفضل هو التماس الرزق بالتجارة والكسب كله، سواء في بيع أو شراء أو تجارة، بكن الذي جاء النهي عنه يبتعد عنه المسلم، مثل النكاح والخطبة، قال عليه الصلاة والسلام: **{لا يَنْكح المحرم ولا يُنكح ولا يخطب}**.

قوله تعالى: **{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ}** وفي إضافة الفضل إلى الله سبحانه وتعالى فيها بيان أن النعم والخيرات من الله تعالى، كما قال تعالى **{وَمَا بِكُمْ مِّن نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}** وقال **{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}** **وهنا فائدة** وهي أن العلماء ذكروا أن النعمة (نعمة الأكل والشرب أو السلع) لا تتم **إلا بأمرين:**

الأمر الأول: وجود الثمن (المال) يشتري به، **والأمر الثاني:** وجود المثلث (السلعة التي سيشتريها)، وإذا اجتمع الأمران هذا فضل من الله تعالى.

قوله تعالى **{فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِّنْ عَرَاقٍ}** أفضتم بمعنى دفعتم، قاله ابن قتيبة، وابن قتيبة له كتابان الأول **تأويل مشكل القرآن**، والثاني **تفسير غريب القرآن**، وهو عبدالله بن مسلم بن قتيبة، وهذه الكلمة الأقرب أنها من تفسير غريب القرآن.

الزجاج في كتابه "معاني القرآن وإعرابه" يقول أفضتم يعني **دفعتم بكثرة**، يقال أفاض القوم بالحديث إذا اندفعوا فيه وأكثروا التصرف، والزجاج لحظ ملحظاً عظيم وهو أن الإفاضة تناسب الدفع بكثرة، ولهذا اختيرت هذه الكلمة لأنها **تفيد الاندفاع بكثرة وهذا هو الحاصل.**

وقوله تعالى **{عَرَاقٍ}** يقال عرفات ويقال عرفة، مكان في الحل خارج حدود الحرم، اختلف بسبب تسميته

القول الأول: يرى أن الله عز وجل لما بعث جبريل إلى إبراهيم فحج به وعلمه مناسك الحج، أتى عرفات فقال قد عرفت،

فسميت عرفة، وهذا الكلام ليس له دليل.

القول الثاني: أنها سميت بعرفات لاجتماع آدم وحواء وتعارفهما بها، وهذا أيضا قول غير صحيح ليس عليه دليل كلها أقوال إسرائيلية، **والصحيح أنه اسم عرفته العرب.**

وقوله تعالى { **فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ** } المشعر هو المعلم، والمراد به مزدلفة، ولها أسماء تسمى مزدلفة، وجمع، والمشعر الحرام، والمشعر سمي بذلك لأن الصلاة عنده، والمقام والمبيت والدعاء من معالم الحج وهو مزدلفة، وسميت بجمع أيضا، والمراد أن الإنسان يبيت ليلة العيد بمزدلفة وهو واجب من واجبات الحج، واختلف في حكمها من العلماء من قال أنها سنة ومنهم من قال أنها ركن ومنهم من قال أنها واجب، **والراجح أنه واجب من واجبات الحج.**

قوله تعالى { **وَادْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ** } أي جزاء هدايته لكم، فإن قيل **ما الفائدة من تكرير الذكر؟ فقد تكرر مرتان، أجب عليه بأربعة أجوبة:**

○ **الأول:** أنه كرر للمبالغة في الأمر به.

○ **الثاني:** أنه وصل بالذكر الثاني ما لم يصل بالذكر الأول، فحسن تكريره فالمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته، يعني أن الذكر مطلوب.

○ **الثالث:** أنه كرره ليدل على مواصلته، والمعنى اذكروه ذكرا بعد ذكر، جاء في حديث ابن مسعود وأنس أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يلبي، وكان يكبر، وكان يسمع الملبى فلا ينكر عليه، والمكبر فلا ينكر عليه، لأن هذا وقت ذكر، وأعظم الذكر التلبية والتكبير والتهليل.

○ **الرابع:** أن الذكر في قوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام هو صلاة المغرب والعشاء اللتان يجمع بينهما في مزدلفة، والذكر في قوله كما هداكم هو الذكر المفعول عند الوقوف بمزدلفة غداة العيد، يعني أن الذكر الأول صلاة المغرب والعشاء، **والأقرب والله أعلم أن المقصود التكرار والتأكيد والتواصل في الذكر، وأن الحاج لا ينقطع عنه.**

قوله تعالى { **وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِّينَ** } **الضمير هنا في قوله مَنْ قَبْلِهِ يعود إلى من؟ اختلف في ذلك على ثلاثة أقوال**

- **القول الأول:** أنه يرجع إلى الإسلام وهذا صحيح، هذا قاله ابن عباس.
- **القول الثاني:** أنه يرجع إلى الهدى، أي قبل الهداية وهذان القولان متقاربان.
- **القول الثالث:** أنها ترجع إلى القرآن، قاله سفيان الثوري **وهذه الأقوال كلها صحيحة، وهذا الاختلاف يسميه العلماء اختلاف التنوع، { لَمَنِ الصَّالِّينَ } أي: من الهالكين.**

وهذه الآيات أشارت إلى نسكين من مناسك الحج، ذكر الوقوف بعرفة، وذكر مزدلفة، أما الوقوف بعرفة فهو أعظم أركان الحج، وأركان الحج كما ذكر العلماء أربعة: الدخول في النسك، والوقوف بعرفة وطواف الأفاضة، ويسمى بطواف الزيارة أو الحج، وسعي الحج، وأعظمها الوقوف بعرفة، لقوله عليه الصلاة والسلام (**الحج عرفة**)، والنبي عندما وصل إلى عرفة وضربت له خيمة في نمرة، ثم لما زالت الشمس صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين في وقت الظهر بأذان واحد وإقامتين، ولم يتنفل (لم يصل الرواتب)، وقبل ذلك خطب الناس خطبة عظيمة بين فيها معالم الدين وأسس الشريعة، وأشهد الناس على ذلك، ثم تحول بعد ذلك إلى عرفة، وقال: (وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف، وارتفاعوا عن بطن عرنة) وهو وادي معروف، أمر أن لا يبقى فيه أحد، وقف يذكر الله ويدعوه ويسأله ويطلب الدعاء، وهو القائل: (**ما أكثر من يوم يعتق فيه عبده من يوم عرفة، وإن الله ينزل في عشية عرفة، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء ويقول لهم انظروا عبادي أتوني شعثاً غبراً، ما أرد هؤلاء،**

أشهدكم أنني قد غفرت لهم) والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) وقد، يقول قائل: (هذا ما فيه دعاء).

الدعاء على نوعين دعاء عبادة، هو هذا ويتضمن سؤال الله عز وجل، ودعاء مسألة: مثل يا رب ارحمني ويا رب ارزقني ونحو ذلك، وأما صعود جبل الرحمة فهذا ليس عليه دليل، وكان النبي يدعو رافعا يديه؛ بل إذا سقط خطام الناقة أخذه بيد واليد الأخرى مرتفعة وهذا كله لئلا يترك الدعاء إلى أن غربت الشمس، الوقوف بعرفة ركن، وأما الوقوف إلى غروب الشمس فواجب، أما وقت الوقوف يستمر إلى الفجر، ثم الاندفاع إلى مزدلفة ويكون بالسكينة والوقار وعدم المزاحمة، النبي عليه الصلاة والسلام وصل إلى مزدلفة وأمر المؤذن أن يؤذن ثم أقام فصلى المغرب ثلاث ركعات، ثم أقام الثانية وصلى العشاء ركعتين، ولم يفعل مثل ما يفعلون الحجاج أنهم يلقطون الحصى أول ما يصلون مزدلفة، فهذا من الخطأ، فالنبي لم يلقط الحصى من مزدلفة، لقط الحصى بين مزدلفة ومنى، لما ركب وطلعت الشمس أخذ الحصى في الطريق، على كل حال لا يوجد دليل على تحديد أخذ الحصى من هنا أو هناك، وبات عليه الصلاة والسلام تلك الليلة في مزدلفة، والمبيت في مزدلفة على

ثلاثة أقوال مشهورة:

القول الأول: أنه سنة، القول الثاني: أنه واجب، والقول الثالث: أنه ركن من أركان الحج، والراجح والذي رجحه كثيرا من العلماء أنه واجب من واجبات الحج.

اختلف العلماء: هل أوتر النبي عليه الصلاة والسلام هل قام آخر تلك الليلة (في مبيته في مزدلفة)؟، حديث جابر ماورد فيه أنه أوتر آخر الليل، لكن دلت السنة بعمومها أنه لم يترك الوتر لا حضرا ولا سفرا، وهو القائل: (الوتر حق من لم يوتر فليس منا)، وأذن للضعفاء من النساء وكبار السن والصبيان لما ذهب نصف الليل وغاب القمر أن يدفعوا إلى منى، ومن دفعوا ابن عباس، وأما من ليس بضعيف ونشيط يبيت في مزدلفة إلى الفجر، ويصلي الفجر فيها، ويذكر الله كما فعل عليه الصلاة والسلام، ذكر الله كما جاء في الحديث "حتى أسفر جدا" وهو المراد هنا {فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} وإن كان المقصود هنا المسجد، فلا يلزم الناس أن يأتوا ويصلوا في المسجد ويذكروا الله، هذا فيه مشقة وتكليف للناس ما لا يطيقون، ولكن الحاج يذكر الله في مكانه يصلي الفجر ويكبر، ويقرأ القرآن، ويصلي على النبي، ويسأل الله القبول، ويكثر من ذكر الله حتى يسفر جدا، إذا أسفر جدا انطلق إلى منى، وتحية منى كما قال العلماء هي رمي جمرة العقبة، فإذا أتى من مزدلفة ستأتيه الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى العقبة وهي الأخيرة وهي الأقرب إلى مكة يرميها بسبعة حصيات، هنا إذا جاء عند الرمي تنقطع التلبية، قال العلماء تنقطع التلبية في الحج عند رمي جمرة العقبة، فيكبر مع كل حصى، فبهذا يكون قد أدى واجب من واجبات الحج: المبيت بمزدلفة، ثم رمي جمرة العقبة، كما سيأتي بيانه في الحلقات القادمة بإذن الله

الحلقة (٢٧)

موضوع هذه الحلقة تفسير الآية (١٩٩) من سورة البقرة، قال تعالى: {ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَاصِ النَّاسِ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

سبق الحديث في الحلقة السابقة الوقوف بعرفة وأنه ركن من أركان الحج، بل هو الركن الأعظم قال عليه الصلاة والسلام: (الحج عرفة) قال تبارك وتعالى: {فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ} وتحدثت أيضاً عن واجب من واجبات الحج ألا وهو المبيت بمزدلفة، وتسمى جمعاً، قال تبارك وتعالى: {فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} وبينت هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيها، وما يترتب أو ما يمكن أن يؤخذ من الأحكام من الآية هنا ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول (لتأخذوا

عني مناسككم).

هذه الآية يقول الله تبارك وتعالى {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} كانت قريش وهم الحُمس لهم عادات ينفردون بها عن غيرهم من العرب، مثلاً أنهم كانوا يطوفون في ثيابهم، أما غيرهم من العرب فكانوا لا يطوفون في ثيابهم، وإنما من كان يعرف له شخصاً من الحُمس من قريش أعطاه ثوبه فطاف به، يعني إما أن يشتري منه أو أعطاه هدية، المهم أنه لا يطوف بثيابه لا بد أن يأخذ منه الحُمس (وهم قريش) أهل البيت، أما الذي ما عنده دراهم ولا يعرف أحداً يعطيه، يطوف عريانا بالبيت، هذا لا شك من تعنتهم واستعلائهم على العرب ومن ضلالهم وجاهليتهم، ومن ذلك أيضاً ما ذكرته عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت قريش ومن يدين بدينها وهم الحُمس يقفون عشية عرفة بالمزدلفة، -كانوا لا يخرجون عن حدود الحرم- ويقولون (نحن قطن البيت) -أي أهل البيت- وكان بقية العرب والناس يقفون بعرفات فنزلت هذه الآية).

الناس كانوا يذهبون إلى عرفة شعائر كانت معروفة عند العرب، أما قريش كانت لا تخرج خارج الحرم، ويقولون نحن آل البيت لا نخرج، فينتظرون الناس حتى يرجعوا من عرفات وهم لا يخرجون، وهذا لا شك من الجهل والضلال، النبي صلى الله عليه وسلم وقف بعرفة وقال (وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة) والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج، الزجاج رحمه الله "ذكر أنهم سمو الحُمس لأنهم تحمسوا في دينهم، أي تشددوا في دينهم، والحماسة الشدة في كل شيء، لكن هذا من ضلالهم وجهلهم كانوا لا يخرجون إلى عرفات، ولذلك لما خرج صلى الله عليه وسلم بعض الناس يقولون هل سيخرج أم لا يخرج؟ وبالفعل خرج صلى الله عليه وسلم وتعدى حدود الحرم وذهب إلى عرفة وعرفة معروفة أنها من الحل، ووقف بها وقد بينا هدي النبي عليه الصلاة والسلام في (الحلقة السابقة).

قوله تبارك وتعالى {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} اختلف في المراد بالناس على **أربعة أقوال:**

• **القول الأول:** أنهم جميع العرب غير الحُمس وهم قريش، وبدل عليه حديث عائشة السابق وهو قول عروة ومجاهد وقتادة، إذن أفيضوا من حيث أفاض الناس العرب كلهم عدا قريش.

• **القول الثاني:** أن المراد بالناس هنا إبراهيم الخليل عليه السلام، قاله الضحاك بن مزاحم يعني أفيضوا من حيث أفاض إبراهيم الخليل عليه السلام.

• **القول الثالث:** إن المراد بالناس آدم أنه أفاض، يعني أفيضوا من حيث أفاض آدم والله أعلم.

• **القول الرابع:** إن المراد بالناس أهل اليمن أنهم كانوا يفيضون من عرفات، على كل حال، أفيضوا من حيث أفاض الناس (العرب) ماعدا قريش، أفيضوا: أي ادفعوا وارجعوا من عرفة، من حيث أفاض الناس، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم، هذا قول، وبلا شك يدخل من ضمن من أفاض إبراهيم عليه السلام إذا ثبت هذا، وأيضا من كانوا يخرجون عدا قريش الحُمس، من المخاطب في قوله {أَفِيضُوا} بهذا الأمر؟ اختلف في المخاطبين في ذلك على **قولين:**

• **القول الأول:** أنه خطاب لقريش، لأنهم كانوا يخرجون إلى حدود مزدلفة ولا يخرجون أكثر من ذلك، وهو قول الجمهور.

• **القول الثاني:** أنه خطاب لجميع المسلمين، **الراجح هو القول الثاني لجميع المسلمين، ويدخل في ذلك من كان قرشياً،** بعضهم قد يقول هل أخرج أم لا أخرج؟ فالحمد لله ما دام الإنسان دخل في دين الإسلام فإنه يلتزم بهدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي خرج إلى عرفة، ووقف بها إلى أن غربت الشمس، ثم دفع من عرفة إلى مزدلفة، وبات بها إلى الفجر، ثم دفع إلى منى كما سبق بيانه.

قوله تعالى {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} هل المقصود هنا الإفاضة من عرفة إلى مزدلفة؟ أو الإفاضة من مزدلفة إلى

منى؟ (هنا خلاف): المعروف بأن مراحل الحج مناسك وشعائر يتنقل بها الشخص من مكان إلى مكان.

• **القول الأول:** الإفاضة هنا على ما يقتضيه ظاهر اللفظ هي الإفاضة من مزدلفة إلى منى صبيحة يوم النحر، هكذا الترتيب الآية الأولى {فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ}، وهنا {ثُمَّ أَفِيضُوا}، يعني عندنا إفاضتان، الإفاضة الأولى من عرفات إلى مزدلفة، {فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ}، وهنا الإفاضة الثانية، {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} يعني الإفاضة من مزدلفة إلى منى، هذا القول الأول: أن المقصود بالإفاضة هنا، ظاهر اللفظ أن الإفاضة من مزدلفة إلى منى صبيحة يوم النحر، هذه الإفاضة الثانية.

• **القول الثاني:** جمهور المفسرين: على أن الإفاضة من عرفات، يذهب كثير من المفسرين إلى أن الإفاضة الثانية هي الإفاضة من عرفات، طيب كيف توجه الآية؟ عندنا الآن إفاضتين وكلها من عرفة إلى مزدلفة؟ وظاهر الكلام لا يقتضي ذلك، كيف يقال: {فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} ثم أيضاً "ثم أفيضوا من عرفات" الحقيقة ظاهر اللفظ لا يستقيم مع قول الجمهور،

فكيف يوجه؟ هنا التوجيه أن في الآية تقديم وتأخير.

ما هو التقدير؟ التقدير "ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات فادكروا الله عند المشعر الحرام" يعني في الآية تقديم وتأخير، فكأن هذه الجملة في الآية ١٩٩ مقدمة على الجملة في الآية ١٩٨، فيكون التقدير {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} يعني من عرفات إلى مزدلفة هذا بناء على قول عائشة أن الحمس ما كانوا يخرجوا إلى عرفة، فأفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات {فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} يعني أنتم الآن أفضتم من حيث أفاض الناس، طيب إذا أفضتم {فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ}، على كل حال هما قولان في الآية.

{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} الحقيقة قد يقول قائل: **ما مناسبة ذكر الاستغفار؟**

الإنسان الآن حاج، ويعمل أعمال عظيمة، مناسك فاضلة ثم يؤمر أن يستغفر الله جل وعلا، هل هو وقع في ذنب؟! هل زل في شيء؟! هو الآن في طاعة، فقيل في هذا **جوابان:**

■ **التوجيه الأول:** نعم قد يقع من الإنسان تقصير ولو كان في مناسك الحج، قد لا يطبق السنة على التمام، قد ينقصه الإخلاص، قد يقع في معصية، قد يقع في فسوق، كما قد جاء في الآية التي قبل "فلا رفث ولا فسوق" قد يكون وقع في معاصي، فهو يستغفر الله وكلنا خطاء، وخير الخطائين التوابون، هذا التوجيه الأول.

■ **التوجيه الثاني:** أنه هكذا جرت العادة في الكتاب والسنة أنه تحتم الفرائض بذكر الله والاستغفار، فمثلا عندنا الصلاة {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ} هنا أمرنا بذكر الله، وجاءت السنة أنه النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم قال: (أستغفر الله ثلاثاً، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام)، فدل هذا على أن الفريضة تحتم بالاستغفار، أيضاً في الصيام الله جلا وعلا لما ذكر أحكام الصيام قال: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لذلك من السنة أنه إذا أعلن العيد يبدأ الصائم ليلة العيد وصبيحة العيد بالتكبير، وجاء ذلك في روايات وصيغ في السنة مثبتة، وهنا أيضاً في الحج أنت مأمور بالاستغفار، هكذا كل فريضة يعقبها الاستغفار، والإنسان لا يدعي لنفسه القبول وهو معرض للتفريط وللغفلة، بل قال بعض السلف: "استغفارنا يحتاج إلى استغفار" فالخطأ والزلل كثير، والتوفيق بيد الله سبحانه وتعالى، والمؤمن مطالب بأن يحسن الظن بالله عز وجل، وجاء الآن وترك الدار والأهل وترك الزوجة والأولاد والمال والأحباب، وجاء يبتغي وجه الله عز وجل.

وأذكر في هذا المقام أن الحافظ بن رجب رحمه الله في لطائف المعارف ذكر أن رجل جاء إلى أبي حازم سلمة بن دينار رحمه الله تعالى، فقال: يا أبا حازم من أشقى أهل هذا الموقف؟ -موقف عرفة موقف عظيم، يباهي الله فيه أهل السماء، يقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً- فقال يا أبا حازم من أشقى أهل هذا الموقف في يوم عرفة؟ -نسأل الله السلامة والعافية- قال: "من ظن أن الله لا يغفر لأهل هذا الموقف" أعوذ بالله هذا ظن السوء الذي يظن أن الله لا يغفر لهم، وأن الله لن يتجاوز عنهم، هذا ظن السوء، نحن لا نوجب على الله ولا نتألى على الله ولا نلزمه، حاشا وكلا ولا والله، الفضل من الله أولاً وأخيراً، له المنة في الأولى وفي الآخرة، لكن ينبغي للمسلم خاصة أن الحاج يحسن الظن بالله عز وجل تبارك وتعالى، ومن إحسان الظن في الله عز وجل أن تبادر بالأعمال الصالحة، أن تتوب، أن تستغفر الله عز وجل، كما قال تبارك وتعالى في هذه الآية **{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** أكثر من الاستغفار أكثر من ذكر الله عز وجل، إن الحاج لعل الله جل وعلا أن يختم لك بخير، ولذلك ينبغي للحاج خاصة ولله الحمد أن أيام منى أيام التشريق أن يحرص على ذكر الله تبارك الله، وتعالى كما سيأتي بيانه.

ختمت الآية بذكر اسمين من أسماء الله عز وجل وهما الغفور الرحيم **{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** والغفور: اسم من أسماء الله عز وجل، ومعنى مغفرة الذنوب: سترها والتجاوز عنها، ويستر على عبده ويتجاوز عن ما وقع فيه من أخطاء، والغفور قال أهل اللغة الغفور: هو الذي يكثر المغفرة، لأن بناء المفعول للمبالغة منها على وزن فاعول، وغفور على وزن فاعول مثل قول صبور وضروب، وهي تدل على المبالغة.

الاسم الثاني: الرحمة وهي من صفات الله سبحانه وتعالى ومن أسمائه عز وجل، ورحمته وسعت كل شيء، ورحمته سبحانه سبقت غضبه، وجعل الله الرحمة مائة جزء، أنزل منها جزءاً واحداً يتراحم به الخلائق، فتعطف الأم على ولدها، وترفع الدابة حافرها عن صغيرها، وأبقى عنده سبحانه وتعالى ٩٩ رحمة يرحم بها من يشاء من عباده، فهو سبحانه وتعالى غفور رحيم، أعود مرة أخرى وأقول أن ختام الحج المبيت بمنى ليال التشريق، وفيها ذكر الله سبحانه وتعالى، وإكثار من ذكر الله، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل)** وهدي النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر، فسره النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحج الأكبر هو يوم النحر، وسأل علي رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر فقال: **(هو يوم النحر)** وإذا فسر القرآن بالسنة فلا معدل عنه بعد ذلك. المهم في ذلك اليوم رمى عليه الصلاة والسلام جمرة العقبة بسبع حصيات، ثم نحر هديه، ثم حلق رأسه، ثم طاف بالبيت، وأعمال الحج في ذلك اليوم على التيسير، على الترتيب أو مقدم بعضها على بعض لا حرج، ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شي فعل في ذلك اليوم قدم أو أخر إلا وقال: **(افعل ولا حرج)**، فلو أن الإنسان طاف قبل أن يرمي، أو حلق قبل أن يطوف، لا حرج عليه في ذلك، والعلماء في ذلك يقولون إن التحلل على ذلك نوعين: هناك تحلل ناقص وتحلل كامل.

التحلل الناقص: أن يفعل اثنين من ثلاثة، والثلاثة هي رمي جمرة العقبة، والحلق أو التقصير، والطواف بالبيت، ويسمى التحلل الأول إذا فعل اثنين من ثلاثة فقد تحلل التحلل الأول، والتحلل الأول يحل له كل شيء ما عدا النساء، يلبس المخيط ويقلم أظفاره أو يتطيب على السعة.

والتحلل الكامل: إذا فعل الثلاثة كلها حل التحلل الثاني، يحل أن يفعل كل شيء ويجوز أن يأتي أهله.

ويبقى الحاج في منى يبيت ليالي التشريق، والنبي صلى الله عليه وسلم بات بمنى ليالي التشريق وهو كما هو معروف عند العلماء أنه واجب من واجبات الحج، يبيت الحاج ليلة الحادي عشر وليلة الثاني عشر إذا كان متعجلاً ينصرف، وإذا تأخر

بات ليلة الثالث عشر، ويشتغل في ذلك اليوم بذكر الله عز وجل وتلاوة القرآن وبالإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والرمي ينتهي إلى غروب الشمس في ذلك اليوم، ويجوز أن يرمي في الليل لضيق أو لخوف الزحام أو غير ذلك. يبيت يوم الحادي عشر فإذا زالت الشمس، ذهب إلى الجمرة الأولى ورمها بسبع حصيات يكبر مع كل حصة ثم يتقدم ويدعو الله عز وجل، كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذا مقام من أنزلت عليه سورة البقرة، ثم يذهب إلى الجمرة الوسطى ويرمها بسبع حصيات يكبر مع كل حصة ثم يتقدم ويدعو الله سبحانه وتعالى، ثم يذهب إلى جمرة العقبة ويرمها بسبع حصيات ولا دعاء بعدها، ويبقى في منى، والرمي يستمر من الزوال إلى غروب الشمس، ويجوز أن يرمي في الليل إذا خاف مشقة أو زحاما أو تعباً فلا حرج عليه، ويبيت ليلة الثاني عشر أيضاً فإذا بات في منى ليلة الثاني عشر وزالت الشمس يبدأ بالرمي بعد الزوال، يرميها بسبع حصيات الجمرة الأولى ثم الوسطى ثم العقبة كما فعل في اليوم الحادي عشر، إذا رغب التعجل فهذا له، وإذا رغب أن يبقى وهذا هو الأفضل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم أنه تأخر إلى اليوم الثالث عشر.

الحلقة (٢٨)

موضوع هذه الحلقة تفسير الآية ٢٠٠ من سورة البقرة: قال تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ

أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ}

في البداية ذكر المفسرون في **سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال:**

(١) أن أهل الجاهلية كانوا إذا اجتمعوا بالموسم ذكروا أفعال آبائهم وأيامهم وأنسابهم في الجاهلية، فتفاخروا بذلك، فنزلت هذه الآية، وهذا المعنى مروى عن الحسن وعطاء ومجاهد، والجاهلية والعرب عندهم الفخر بالأنساب والأحساب وهذا معروف، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اثنان من أمر الجاهلية في أمي لا يتركونها الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب). ومن ضمن المواضع التي كانوا يتفاخرون عندها في الحج، وكما ذكرت سابقاً أن الحج ملتقى القبائل وكانت الحروب بينهم، وفي أيام الحج الشخص يرى قاتل أبيه أو قاتل أخيه ولا يمسه بسوء، كله تعظيم للحرم، وبعد انتهائهم من الحج يتفاخرون: أنا من قبيلة كذا، أو هزمتنا تلك القبيلة، إلى غير ذلك من كلام الجاهلية الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

(٢) أن العرب كانوا إذا حدثوا أو تكلموا يقولون وأبيك إنهم لفعلوا كذا وكذا، فنزلت الآية وهذا مروى عن الحسن، يعني أنهم كانوا يسندون الكلام إلى من كان قبلهم، ويحلفون أيضاً بأبائهم، والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بالآباء قال: (لا تحلفوا بالآباء ولا بالأنداد ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت).

(٣) أنهم كانوا إذا قضوا مناسكهم قام الرجل في منى وقال: اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة -يعني كان القدر أو الصحن الذي يطعم فيه الطعام كبير وواسع بحيث أنه كريم- كثير المال فأعطني مثل ذلك، فلا يذكر الله وإنما يذكر أباه، ويسأل أن يعطى في دنياه، فنزلت هذه الآية الكريمة، وهذا قول السدي وهذا من أفعال الجاهلية.

ومن كتب سبب النزول ومن أوائل من ألف هذا الكتب المطبوعة "أسباب النزول" للإمام الواحدي صاحب "الوسيط" و"الوسيط" و"الوجيز" في التفسير، وله كتاب "أسباب النزول" وهو مطبوع ومحقق، حققه السيد أحمد صقر ويقع في مجلد، بعد ذلك جاء لنا كتاب "العجاب في بيان الأسباب" للحافظ ابن حجر وهو ليس بكامل، وبلا شك أنه كتاب مسند ومؤلفه من أئمة الحديث، بعد ذلك كتاب "لباب النقول في أسباب النزول" للحافظ السيوطي وهو صاحب المؤلفات الكثيرة وله أكثر من ٦٠٠ مؤلف، ما بين ١٠ مجلدات ورسائل صغيرة.

وهذه مراجع مهمة ينبغي لطالب العلم أن لا يفرط فيها، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: سبب النزول، معرفة السبب معين على معرفة المسبب.

قال تعالى { **فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ** } { **قَضَيْتُمْ** } يعني فرغتم وانتهيتم، قوله { **مناسككم** } يعني المراد العبادات المتعبدات التي فعلتموها، وفي المراد بها قولان:

- **القول الأول:** أنها جميع أفعال الحج، وهو قول الحسن بن أبي الحسن أبي سعيد البصري.
- **القول الثاني:** أنها إراقة الدماء، قاله الإمام مجاهد بن جبر، تلميذ بن عباس وأخص تلاميذه.

والراجع هو القول الأول أن المراد هو جميع أفعال الحج وإراقة الدماء ضمن أفعال الحج.

قوله تبارك وتعالى { **فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** } هنا في قوله: { **كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ** } ، **المراد فيها الحقيقة أربعة** أقوال عائدة ومستنبطة من أسباب النزول:

- **القول الأول:** إقرارهم بهم، يعني تفاخرهم وتعاليمهم واعتمادهم على آبائهم.
- **القول الثاني:** أنه حلفهم بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم سمع من يحلف بأبيه، وقال عليه الصلاة والسلام "لا تحلفوا بالآباء ولا بالأنداد من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت"، وقال عليه الصلاة والسلام: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" وبهذا لا يجوز الحلف بغير الله سبحانه وتعالى، بعض الناس يتساهل في الحلف بغير الله فيقول والنبي أو وحياتي أو وحياتك أو وشرفي أو والكعبة، كله شرك مع الله ولا يجوز، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك).

وبعض الناس يقول أنا معتاد، أو عشت في بيئة، أو اعتدت أن أحلف بالنبي، هذا لا يعني أنه يجوز لك بل هذا حرام ولا يجوز.

والعلماء رحمهم الله شراح كتاب التوحيد وغيرهم، ذكروا أن الحلف بغير الله على نوعين:

قد يكون شركاً أصغر، وقد يكون شركاً أكبر، إذا كان الحالف لا يعتقد في المحلوف وإنما يجري على لسانه فهذا شرك أصغر، وإذا كان يعتقد أن المحلوف به مثل منزلة الله أو أعظم من الله فهذا شرك أكبر.

ويذكرون في هذا المقام أن بعض اللصوص و السراق إذا قبض عليه وقال أنا ما سرقت، مثل إذا قيل له احلف بالله أنك ما سرقت، وهو سارق قام يحلف والله والله وهو كاذب، لكن إذا قيل له احلف بالسيد أو الحسين أو البدوي أو النبي توقف ولم يحلف، لأنه يعرف أنه سارق، إذن هو قد عظم هؤلاء أكثر من تعظيمه لله سبحانه وتعالى وهذا هو الشرك الأكبر، المهم أن الذكر هنا فسر أنه الحلف بالآباء.

- **القول الثالث:** أنه ذكر إحسان آبائهم إليهم، فإنهم كانوا يذكرونهم وينسون إحسان الله إليهم، تجد الواحد دائماً فعل أبي وترك أبي، أما فضل الله عز وجل وإحسانه إليه تجده لا يهتم به، والفضل من الله والمنة لله تعالى قال تعالى: { **وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا** }.

• **القول الرابع:** بعيد عن مسألة الجاهلية، والآية معناها اذكر الله ذكراً كثيراً كذكر الأطفال لآبائهم في أول نطقهم، وقد روى هذا المعنى عن عطاء والضحاك وهذا قول جميل.

فالذكر غذاء القلوب وغذاء الأرواح، { **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** }، ولما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فدلني على عمل، فقال عليه الصلاة والسلام: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر

الله عز وجل).

فالمسلم مطالب أن يذكر الله وبخاصة في شعيرة الحج، التلبية والتكبير وقراءة القرآن وقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

الإكثار من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: (من صلى على صلاة واحدة صلى الله به عليه عشرا) وفي سنن أبي داود أكثروا من الصلاة والسلام على ليلة الجمعة ويوم الجمعة قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك وقد أرميت أي بليت فقال عليه السلام: (إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء) اللهم صل وسلم على نبينا وحبينا وقدوتنا، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى اله وأصحابه وسلم.

أقول مرة أخرى {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} {كَذِكْرِكُمْ} والمراد فيها، على أربعة أقوال: أي تفاخركم بأبائكم، أو الحلف بهم، أو ذكر إحسان آبائهم إليهم ونسيان الله جل وعلا الذي له الفضل في الأولى والآخرة عليهم وعلينا، أو المقصود اذكروا الله كذكر الطفل الصغير لأبويه منذ أن يخرج.

كلمة {أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} كلمة أو للتخيير، فهل معناها هنا للتخيير؟ في معناها قولان:

- **القول الأول:** معناها **بل** وهذا الحقيقة والأقرب، كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا والتقدير: (بل أشد ذكرا).
- **القول الثاني:** بان أو بمعنى **الواو** أي ذكركم آباءكم **وأشد ذكرا، ولكن القول الأول هو الأقرب والله أعلم هي الأقرب**

فهي بمعنى (بل) بل أشد ذكرا.

{قَمِينَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا} وهذا يصدق على من كان يدعو الله يريد حظ الدنيا فقط "أعطني اللهم جفنة كبيرة ومالا حتى أكون كريما" هذا {وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} {مِنْ خَلَاقٍ} أي: من نصيب، هذا سأل الله ما في الدنيا فقط ترك ما في الآخرة وهذا خطأ نعم الإنسان يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة، هؤلاء الذين يسألون الله ما في الدنيا قال الله تبارك وتعالى عنهم: {وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ}، فإذا ضاع نصيب العبد في الآخرة ماذا يبقى له؟! إذا لم يكن له حظ عند الله والله إنه لأشقى الناس وهو المحروم حقا.

قال أهل العلم: (ليس المحروم من حرم الزوجة والولد، ليس المحروم من حرم الدينار والدرهم، المحروم من حرم خير الله جلا وعلا)، {وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ}، أي من نصيب.

هنا تنبيه: في قوله {كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} {عندما تكلمنا عن "أو" هنا، طالب العلم ينبغي له الإطلاع على علوم القرآن، ومن ضمن العلوم علم حروف المعاني، أو معاني الحروف مثل "إن وأن وبل وأم" هذه كلها لها معاني ولها مدلولات، يجب أن يهتم بها طالب العلم، نجدها ماثورة في كتب التفسير التي نستقي منها مادتنا العلمية، مثل تفسير الطبري، والتفسير الحافظ ابن حجر، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن الجوزي، وهي المراجع في هذه الحلقات، ولكن هناك كتب ألفت في معاني الحروف، وعلى طالب العلم أن لا يستغني عنها.

وأذكرها من باب الفائدة: كتاب: "حروف المعاني" للزجاجي (غير الزجاج)، هذا شخص وذاك شخص آخر، كتاب: "معاني الحروف" للرماني، كتاب: "رصف المباني في بيان حروف المعاني" للمالقي وهو إمام من الأندلس من مالقا وقد حققه د. أحمد محمد الخراط، الذي حقق كتاب "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، كتاب: "معنى اللبيب عن كتب الأعراب" لابن هشام النحوي المصري وهو من أئمة النحو، كتاب: "جواهر الأدب في معرفة كلام العرب" للإربدي، وهذه خمسة كتب مهمة جدا، ومن الكتب الحديثة كتاب: "دراسات الأسلوب في القرآن الكريم" وهو مفخرة هذا الزمن لمؤلفه الشيخ محمد عبد

الخالق عظمة، وهو كان أستاذ في جامعة الإمام، وقد مكث في تأليفه ٣٠ سنة، واستحق في سنة من السنوات جائزة الملك فيصل العالمية عليه، فعلى طالب العلم الرجوع إليها.

الحلقة (٢٩)

تفسير الآيتين (٢٠١، ٢٠٢) قال تعالى:

{ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }

هاتين الآيتين في بيان الصنف الآخر من الناس، ومن الناس من يطلب في الدنيا حسنة والآخرة حسنة وهم أهل الإيمان، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وهنا نشير إلى أن العلماء ذكروا أن الدعاء على مراتب فقالوا أفضل الدعاء ما جاء في القرآن الكريم ومنه هذا الدعاء { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } أيضا في بداية سورة آل عمران { رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا } إلى غير ذلك من هذه الأدعية، وأفضل الدعاء ما جاء في القرآن.

وبعد ذلك ما جاء في السنة فإنه صلى الله عليه وسلم أعرف الخلق بربه وأشدهم له خشية وأسرعهم له دمعة بأبي هو وأمي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهو الذي أوتي جوامع الكلم، فالمرتبة الثانية ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة.

بعد ذلك ما روي عن الصحابة والسلف من جوامع الأدعية خاصة أن الصحابة أعمق هذه الأمة علما وأدقها فهما وأشدها معرفة بالله بعد أنبيائه ورسله، ثم بعد ذلك ما يفتح الله به على العبد.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول هذا الدعاء { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } في الطواف بين الركن اليماني والحجر الأسود هذا هو السنة أن يقال هذا الدعاء، أما بقية الطواف فلم يرد فيه شيء، بعض الناس يأخذ كتب ويقرأ دعاء الشوط الأول كذا وكذا، ودعاء الشوط الثاني كذا وكذا، طبعا هذا كلام غير صحيح، نحن لا نتعبد الله إلا بما جاء في القرآن وفي السنة، فورد في الركن اليماني والحجر الأسود هذا الدعاء فقط، أما في غيرها ما ورد شيء من ذلك، والإنسان في الطواف يقرأ القرآن ويذكر الله ويدعو بما يفتح الله به عليه دون التقيد بمثل هذه التقيدات التي ما أنزل الله بها من سلطان وليس عليها دليل.

أمر آخر، الصحابة رضي الله عنهم وسلف هذه الأمة كانوا يلتزمون بهذه الأدعية، وكانوا يحرصون عليها ولا يفرطون فيها، وأذكر في هذا المقام أنه جاء في ترجمة أنس رضي الله عنه أنه كان إذا انتهى من المجلس دعا ربه { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }، فكان بعضهم قال ادع الله لنا يعني أعطنا أدعية أخرى، فغضب رضي الله عنه وقال: أتريدون أن أشقق لكم الدعاء، من أوتي في الدنيا حسنة وأوتي في الآخرة حسنة ووقى عذاب النار حصل كل خير، فليس هناك داعي إلى أن أشقق لكم الدعاء، والعلماء ذكروا أن من الاعتداء في الدعاء تشقيقه.

وأذكر أنه جاء في ترجمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه سمع ابن له يدعو ويقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَسْأَلُكَ حُورَهَا وَأَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، فغضب وقال يا بني عليك بجوامع الدعاء إذا سألت الله الجنة فسوف يكرمك الله، ولا شك أنه لا نعيم أكثر من النظر إلى الله، نسأله من فضله والنظر إلى وجهه، المهم أن الحاج يجب عليه أن يدعو الله بهذا الدعاء العظيم

على وجه الخصوص في نهاية حجه، بدلا من التفاخر بالآباء والأحساب والأنساب هذه التي لا تسمن ولا تغني من جوع كما قال عليه الصلاة والسلام: **(من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)** والحديث في صحيح مسلم، النسب لا يدخل الجنة ولا ينجي من النار، إذا بطأ العمل وما تقدمه وما نجاك وما وما هذا لا ينفعك في شيء، وصدق الشاعر:

لم تغنِ أبي لهب قرابته، وبلال عبدا جاوز الشهب

أبو لهب عم النبي كان أبيض أحمر مليء الجسم ممتلئ صحة وعافية، ولكنه في النار ولم تق له قرابته، وبلال عبد كان يباع ويشترى، اشتراه أبو بكر وأعتقه، وسمع النبي خشخشة وبعض الرواية دف نعليه في الجنة، فهو الآن مشهود له بالجنة وهو أحد مؤذني الرسول سأله الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا رسول الله ما كنت أتوضأ وضوءاً إلا صليت به ركعتين"، المهم أن هذا الدعاء العظيم يحرص عليه الحاج وغير الحاج.

ندخل الآن في المفردات **{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً}** اختلف بالمراد بـ"الحسنة" على سبعة أقوال:

(١) المرأة الصالحة قاله علي رضي الله عنه. (٢) أنها العبادة روي عن الحسن البصري.

(٣) أنها العلم والعبادة، وهما قرينان لا ينفكان عن بعضهما البعض.

(٤) أنه المال قاله أبو وائل علقمة بن قيس والسدي وابن زيد.

(٥) أنه العافية أيضا فهي نعمة من الله تعالى والصحة نعمة، وأذكر أن أحدهم دُعي إلى وليمة فيها من أصناف الطعام والمأكولات، وكان هذا من العلماء، فصاحب الوليمة يريد أن يفتخر ويريد أن يمدحه من حضر الوليمة ما أطيب هذا الطعام يعني يريد أن يستحث الناس على المدح والثناء، فالتفت إلى هذا العالم فقال: يا فلان ما أطيب هذا الطعام، فقال: هذا العالم الموفق: يا فلان طيبته العافية، نعم لو لم تكن متعافيا لم تستطع أن تأكله، فله الحمد على نعمة العافية هذا القول قاله قتادة رحمه الله.

(٦) أنه الرزق الواسع وهذا يدخل في المال، وهذا فضل من الله عز وجل أن يغني الله عبده عن الناس فلا يذل نفسه ولا يهين كرامته، هذا فضل من الله أن يستغني العبد، اللهم أغني بجزوك وفضلك عن سواك، اللهم اجعلني أغني خلقك بك وأفقر عبادك إليك، ما أجمل الفقر إلى الله، وما أعظم النذل إلى الله، فإن هذا يزيد العبد رفعة وعزا عند الله تبارك وتعالى، ولكن عند البشر تزداد مهانة وذلة، نسأل الله العافية هذا قول مقاتل.

(٧) أنها النعمة عموم النعم قاله ابن قتيبة.

على العموم الأقوال كلها صحيحة وهذا ما يسميه العلماء باختلاف التنوع، وهذا أغلب ما يروى عن الصحابة والتابعين من التفسير يعرف بأنه اختلاف تنوع، ولعلنا نذكر في هذا الاختلافين فيكون الطلاب عندهم إمام بهذا الاختلاف اختلاف تنوع واختلاف تضاد، وقد ذكر العلماء بأن أكثر الاختلاف بين الصحابة والتابعين أنه اختلاف تنوع، أن يعبر أحدهم عن الكلمة بعبارة تختلف عن عبارة صاحبه، ولكن المؤدى واحد، يعني لا تضاد ولا تنافر بينهما، إما أن يذكروا أمثلة مثل ما هو عليه الآن على الحسنة معظمها أمثلة، وإما ما توصل إليه هذا الشخص فهذا يسمى اختلاف تنوع.

{وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ} وهذا فيه **ثلاثة أقوال:**

(١) أنها الحور العين قاله علي رضي الله عنه.

(٢) الجنة قاله الحسن والسدي ومقاتل، وأعظم نعيم الجنة النظر إلى وجه سبحانه وتعالى.

(٣) العفو والمعافة من الله على عبده، وهذا لاشك أنها حسنة.

وهذه الأقوال الثلاثة كلها صحيحة فهذه نعمة كبيرة والنبي صلى الله عليه وسلم، لما سألته عائشة رضي الله عنها: أرأيت لو علمت أي ليلة هي ليلة القدر، ما أقول فيها؟ فأرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دعاء عظيم ينبغي أن لا نتركه، بل يجب أن لا يغيب عن ألسنتنا: **(وهو اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)**، ثلاثاً، فالعبد يسأل الله حسنة الدنيا وحسنة الآخرة.

{وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ} وهذه هي الدعوة الثالثة أن يقي الله العبد عذاب النار والله عز وجل يقول **{فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}**، فوالله هذا الفوز، الفوز أن يزحزح العبد عن النار وأن يدخل الجنة، ولكن أعظم هذا الفوز هو النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال لو أني وطأت بإحدى قدمي الجنة لم أطمئن حتى أطأ بقدمي الثانية، فمن وقى عذاب النار فقد وقى الشر ومن دخل الجنة فقد دخل النعيم والسرور والحبور **فهذه ثلاثة دعوات:**

١) ربنا آتانا في الدنيا حسنة ٢) وفي الآخرة حسنة ٣) وقنا عذاب النار قال تبارك وتعالى بعد ذلك: {أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} ما جزاء أولئك؟ أولئك اسم إشارة يرجع إلى هؤلاء الذين دعوا الله بهذه الدعوات الثلاث، قال الزجاج معناه دعاؤهم مستجاب لأن كسبهم هنا هو الدعاء وهذه الآية متعلقة بما قبلها.

وهذا هو الظاهر أولئك لهم نصيب مما كسبوا الكسب هنا هو العمل هم عملوا، هل لهم نصيب على هذا العمل؟ نعم لهم نصيب والكسب هو العمل، ما هو العمل الذي عملوه؟ وما جزاء هذا العمل؟ إنه دعاؤهم الله تبارك وتعالى بهذا الدعاء العظيم "ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"، أولئك لهم نصيب مما كسبوا".

لكن هناك قول آخر قيل أن الآية هذه نزلت في قصة أخرى لا ترتبط هنا بالآيات، وهذا السبب رواه الضحاك عن ابن عباس (أن رجل قال: يا رسول الله مات أبي ولم يحج أفأحج عنه؟ قال: لو كان على أبيك دين قضيته أما كان ذلك يجزي عنه، قال: نعم، قال: فدين الله أحق أن يقضى، قال: فهل لي من أجر) فنزلت هذه الآية، ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها كلام لأهل العلم، لكن الحديث قصته جاءت في روايات أخرى في كتب الحديث، على العموم الحج عن الغير له أجر، وفضل الله واسع، لكن الآية في الدعاء، فلهم جزاء على دعائهم، وجزاؤهم أن الله يستجيب لدعائهم.

ختام هذه الآية يقول الله عز وجل: **{وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** اختلف في المراد هنا على خمسة أقوال:

١) أنه قلته وسرعته، قاله ابن عباس رضي الله عنه أي أنه حساب سريع ليس مثل حساب البشر، فيه أخذ ورد وطويل، لأن الله عز وجل لا يعجزه شيء يعلم أعمال عباده ومحصيلها لهم **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}** وأعمال العباد في كتاب "لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"، والله عز وجل قد بين لنا كما في الحديث القدسي يقول الله عز وجل: **(يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).**

٢) أنه قرب مجيئه، الإنسان يحاسب **{إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** قد يجعل للإنسان عقوبة أو جزاء حسابه في الدنيا، أو قد يؤخر إلى الآخرة، المهم أنه قرب مجيئه.

٣) أنه لما علم ما للمحاسب وما عليه قبل حسابه كان سريع الحساب بذلك، الله جل وعلا يعلم أعمال العبد، وماذا سوف يكون قبل، وماذا سوف يكون بعد، وحالته الآن الله، لا يخفى عليه شيء، فهو سريع الحساب.

٤) أي أن الله سريع المجازة والمحاسبة.

٥) أن الله جل وعلا لا يحتاج إلى فكر وروية عند الحساب كالعاجزين، لا شك أن الإنسان إذا جاء لحساب الدينار أو الدرهم يعيد في الورقة والقلم، وبعض الأحيان يأتي بالآلة الحاسبة، ويعطي فلان يدقق في المحاسبة، ولكن الله عز وجل أعظم

وأكبر يعرف ذنوب العباد وهو محصيا عليهم {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} الله جل وعلا لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد، **والحقيقة هذه الأقوال متقاربة وبعضها يدخل في بعض.**

ينبغي لطالب العلم أن يهتم في شرح التفسير خاصة مقدمة ابن تيمية توجد في المجلد الثالث عشر من مجموع الفتاوى، وطبعت طبعة مستقلة، وقامت عليها الشروح ومن أنفسها شرح العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين "شرح مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير" ولها شرح من قبل د. مساعد الطيار، وأيضا عليها تعليقات من وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف ودار الإرشاد، معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وهناك شروح كثيرة، وهي مقدمة نفيسة جدا

الحلقة (٣٠)

موضوع هذه الحلقة هو تفسير الآية الأخيرة المقررة في هذا المنهج وهي ذات الرقم ٢٠٣ من سورة البقرة {وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

اختلف في المراد بالذكر هنا في هذه الآية في قوله عز وجل {وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ} على قولين:

• **القول الأول:** أنه التكبير عند الجمرات، وإدبار الصلوات وغير ذلك من أوقات الحج، معروف كما ذكرت في حلقات ومحاضرات سابقة أنه يسن للحاج إذا أراد أن يرمي الجمار أن يقول الله أكبر الله أكبر مع كل حصة، وأيضا إدبار الصلوات، وهذا ما يسميه العلماء بالتكبير المقيد، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، لله أكبر الله أكبر والله الحمد.

• **القول الثاني:** أنه التكبير عقب الصلوات المفروضات فقط، واختلف أرباب هذا القول الذين هم أصحاب القول الثاني الذين قيدوه بأنه ما بعد الصلوات المفروضات اختلفوا متى يبدأ هذا الوقت: على ستة أقوال:

• **القول الأول:** أنه يبدأ من صلاة الفجر يوم عرفة إلى ما بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق، قاله علي وأبو يوسف ومحمد.

• **القول الثاني:** أنه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر، يعني يوم عشرة، يوم العيد، هذا القول قاله ابن مسعود وأبو حنيفة.

• **القول الثالث:** أنه من بعد صلاة الظهر يوم النحر إلى ما بعد العصر من آخر أيام التشريق، وهذا قول ابن عمر وزيد بن ثابت وابن عباس وعطاء رحمهم الله ورضي عنهم.

• **القول الرابع:** أنه يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى ما بعد صلاة الظهر من يوم النحر وهو اليوم الثاني من أيام التشريق وهذا قول الحسن.

• **القول الخامس:** أنه يكبر من الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق يعني إلى صلاة الفجر وهو اليوم الثالث عشر وهذا قول مالك بن أنس وهو أحد قولي الشافعي

• **القول السادس:** أنه يكبر من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وهذا قول الشافعي.

الحقيقة والله أعلم أن الأقرب أنه يبدأ من فجر يوم عرفة إلى بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق "وهو اليوم الثالث عشر" وهو القول الأول هذا على العموم إذا كان لغير المحرم.

أما المحرم وهو رأي الإمام أحمد رحمه الله يفصل، فيقول أن هذا القول يختص بالمحل غير المحرم يبدأ من فجر يوم عرفة إلى العصر آخر أيام التشريق أما من كان محرما فإنه يبدأ من الظهر يوم النحر وينتهي بمثل ما ينتهي إليه المحرم.

إذن نعيد مرة أخرى فأقول: القول هذا فيه إجمال ولكن على التفصيل يقول الإمام أحمد وهو قول للإمام الشافعي أيضا أنه

البداية تختلف بين المحل وبين المحرم المحل يبدأ من فجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق، أما المحرم فيبدأ من ظهر يوم النحر لأن الفجر كان مشغولا بذكر الله في مزدلفة وكذا، لكن يبدأ من ظهر يوم النحر إلى العصر من آخر أيام التشريق فالنهاية واحدة والبداية تختلف.

هنا تساؤل هل هذا التكبير هذا الذكر يعني يختص بمن صلى مع جماعة؟ أو لو فرضنا إنسانا فاتته الصلاة هل يكبر؟ أو لا يكبر؟ هل هو خاص بمن يصلي مع جماعة، أو واحد فاتته الصلاة هل يكبر أم لا؟ على قولين:

• القول الأول: أنه يختص بمن صلاها في جماعة، "لو واحد ما صلى جماعة معناه لا يكبر" وهو رواية عن الإمام أحمد وقول لأبي حنيفة رحمهما الله تعالى.

• القول الثاني: أنه يختص بالفريضة وإن صلاها وحده، وهي رواية أخرى عن الإمام أحمد، وهو قول الشافعي وهذا هو الأقرب، القول الأقرب أهم شيء أنها بعد الفريضة، سواء صلاها مع الجماعة أولم يصلها مع الجماعة فإنه يكبر، هذا هو القول الراجح أن التكبير يشمل فيما لو صلى مع جماعة أولم يصل مع جماعة المهم أن الذكر يكون بعد الفريضة.

في قوله تبارك وتعالى {وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ}

الأيام المعدودات اختلف فيها على ثلاثة أقوال:

• القول الأول: أنها أيام التشريق، قاله ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وآخرون يعني أيام التشريق (الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر).

• القول الثاني: أنها يوم النحر ويومان بعده يعني (العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر) روي عن علي وابن عمر.

• القول الثالث: أنه أيام العشر قاله سعيد بن جبيرة والنخعي.

قال الزجاج: ومعدودات يستعمل كثيرا للشيء القليل، كما يقال دريهمات وحمامات، على كل حال يعني معدودات تكون على القليل فهنا ثلاثة أقوال، منهم من يرى أنها في العشر عشر ذي الحجة، ومنهم من يرى أنها أيام التشريق، ومنهم من يرى أن يوم النحر ويومان بعده، والصحيح أو لعل الأقرب والله أعلم أنها تشمل الجميع، يعني أنها عشر ذي الحجة وأيضا معها أيام التشريق، ومعناه من اليوم الأول إلى اليوم الثالث عشر والعلم عند الله تبارك وتعالى.

ثم قال تبارك وتعالى بعد ذلك: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى} هنا الآن بيان حكم التعجل، ومعروف أن للحاج أن يتعجل، أن ينفر قبل غروب الشمس من اليوم الثاني عشر، هذا يعتبر متعجل ويذهب إلى الحرم ويطوف طواف الوداع، وبهذا يكون قد انتهى والله الحمد، وعلى كل حال هذا هو التعجل ينصرف قبل غروب الشمس، ولو فرضا غابت عليه الشمس، فنقول تبقى في منى وتبيت ليلة الثالث عشر، وإذا زالت الشمس يوم الثالث عشر ترمي الأولى والوسطى والعقبة ثم تنصرف إلى الحرم، وتطوف طواف الوداع، لكن لو فرضا إنسان تجهز ليتعجل قبل غروب الشمس، ولكن فقد شيئا أو زحام أو كذا، فنقول لا حرج عليه حتى لو غابت عليه الشمس وهو في منى وقد استعد ونوى الخروج ولكن كما قلت زحام أو فقدوا شيئا أو ضاع شيء ما وجلسوا ينتظرون يبحثون وغابت فلا حرج عليهم لو تعجلوا فلا حرج عليهم، يعتبر تعجلوا ولو غابت عليهم الشمس والحالة هذه، على كل حال يعني فمن تعجل في يومين أي من تعجل النفرة في اليوم الثاني من أيام منى فلا إثم عليه.

ثم قال تبارك وتعالى: {وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} يعني من جلس إلى اليوم الثالث عشر إلى اليوم الثالث من أيام منى فلا إثم عليه، ولا شك أن التأخر هو الأفضل، فعل النبي صلى الله عليه وسلم هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه تأخر لليوم الثالث

عشر، أيضا فيه زيادة أعمال، فيه مبيت في منى، وفيه رمي جمار، وفيه دعاء، وفيه ذكر، فما فيه شك أن التأخر أفضل من التعجل، والتعجل جائز والله الحمد، والتأخر هو الأفضل، وهو هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

هنا تساؤل يطرحه بعض الناس الله جل وعلا يقول {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} هذا صحيح واضح أن الذي يتعجل لا إثم عليه طيب المتأخر، الله جل وعلا قال: {وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} طيب المتأخر ما الذي عمل حتى يكون إثم عليه؟

هنا تساؤل حقيقة يقال إنما يخاف الإثم للمتعجل فما بال المتأخر ألحق به؟ والذي أتى به أفضل؟! والآن ما شاء الله جلس

زيادة يوم وهذا أفضل فكيف نقول فلا إثم عليه، كيف يجاب عن هذا؟ هذا محل تساؤل؟

وقد أجاب عنه العلماء بأربعة أجوبة:

■ **الجواب الأول:** قالوا لا إثم على المتعجل، والمتأخر مأجور، فقال لا إثم عليه لتوافق اللفظة الثانية للأولى، كقوله تعالى {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ}، يعني من باب التوافق بين اللفظة الأولى واللفظة الثانية فقط، وإلا إن شاء الله فهو لا إثم عليه، مثل {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ}، طيب هل الاعتداء الثاني هو اعتداء حقيقي؟ لا، المقصود فمن اعتدى عليكم فجازوه فلكم الحق أن تأخذوا جزاؤكم منه، وأن تطالبوا بحقوقكم، وليس اعتداء، ولو كل واحد يطالب بحقه على الشخص الذي اعتدى عليه يعتبر معتديا ظالما، لا حاشا وكلا، هو من باب المجانسة المشاكلة بين اللفظتين .

■ **الجواب الثاني:** أن المعنى فلا إثم على المتأخر في ترك استعمال الرخصة، الله رخص لك أن تتعجل اليوم الثاني عشر، كونك ما أخذت هذه الرخصة بقيت إلى الأفضل لا إثم عليك حين تركت الأخذ بالرخصة.

■ **الجواب الثالث:** أن المعنى قد زالت آثام المتعجل والمتأخر التي كانت عليهما قبل حجهما، يعني الآن ليس المقصود فلا إثم عليه في مسألة التعجل والتأخر لا، بل إن الله جل وعلا أبان لنا وبشرنا بأن المتعجل والمتأخر زالت آثامهما ومحيت ذنوبهما وغفرت زلاتهما من متعجل ومتأخر، وحقيقة أن هذا توجيه مناسب وقوي، لأنه يقال أيها المتعجل انصرف مأجورا أيها المتأخر انصرف مأجورا لا إثم عليكم، ولا ذنب ولا خطيئة (فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) وفي الحديث الآخر (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه).

■ **الجواب الرابع:** أن طرح المأثم عن المتعجل والمتأخر إنما يكون بشرط التقوى يعني القول الرابع مثل الثالث الحقيقة ولكن فيه تقييد، أيها المتعجل أبشر بفضل الله وأبشر بأن ذنوبك محيت عنك، أنت أيها المتأخر أيضا أبشر بأن الله قد محى ذنوبك وستر عليك، ولكن هذا مشروط بشرط عظيم لمن اتقى، هل نحن حققنا مقام التقوى؟ هل نحن اجتهدنا في تقوى الله جل وعلا؟ حرصنا أن نتقي عذاب النار بفعل الأوامر وترك النواهي؟

نعم {كُلُّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ} **والحقيقة هذا قول مناسب وقوي جداً، وله حظ من النظر، أن ثواب إزاحة هذا الإثم {فَلَا**

إِثْمَ عَلَيْهِ} للمتعجل والمتأخر مقيد بتقوى الله جل وعلا، من حقق مقام التقوى لله تبارك وتعالى {لِمَنِ اتَّقَى} فالحقيقة

الأقوال متقاربة ومتناسبة القول الأول فيه قوة، والقولان الثالث والرابع، **القول الأول** الذي هو أنه جاءت هذه الكلمة لتوافق

اللفظة الثانية الأولى مثل قول الله عز وجل {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} **القول الثاني**

أنه فلا إثم عليك أيها المتأخر لأنك تركت الرخصة وهذا حقيقة قول ضعيف ليس يعني بالوجه وتركه للأفضل فكيف يقال

لا إثم عليك لأنك تركت الرخصة هذا قول ضعيف الذي هو القول الثاني والقول الثاني فيه ضعف، **أما القول الثالث** فإنه

قد زالت آثام المتعجل والمتأخر من فضل الله سبحانه وتعالى، **والقول الرابع** قيد القول الثالث فقال لمن اتقى أي من حقق

مقام التقوى لله عز وجل،

قوله تبارك وتعالى {لَمَنِ اتَّقَى} في المراد بهذا ثلاثة أقوال:

• **القول الأول:** لمن اتقى قتل الصيد، هذا قول ابن عباس، والحقيقة الصيد كان مشهورا عندهم وقيل التقوى: يعني يتقي قتل الصيد، ومن المعلوم أن من محظورات الإحرام قتل الصيد، وأيضا من المنوعات في حدود الحرم قتل الصيد، سواء كان محرما أو غير محرما، أما المحرم فلا شك أنه من محظورات الإحرام قتل الصيد، والعلماء ذكروا أن الحكمة في أن المحرم الذي تلبس بنسك الحج أو العمرة يمنع من قتل الصيد لأنه ينشغل بذلك، ومن تبع الصيد غفل كما جاء في الحديث، والمعتزم والحاج جاء في عبادة، جاء يطلب ما عند الله، يبتغي رضوان الله والجنة، فكونه يلاحق الصيد ويطارد ويضيع وقته وينشغل به وينصرف عن عبادة الله هذا مخالف، ولذلك من محظورات الإحرام قتل الصيد، وأيضا من كان داخلا في حدود الحرم فهذا أيضا من تعظيم الحرم أنه لا يقتل الصيد ولا ينفره يعني إلى آخره مما هو معلوم في السنة هذا القول الأول.

• **القول الثاني:** لمن اتقى المعاصي في حجه، قاله قتادة ابن مسعود "إنما مغفرة الله لمن اتقى الله في حجه"، لمن ترك المعاصي والذنوب وهذا يرتبط بما ذكرناه أنفا في قول الله عز وجل: "فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج" يبتعد عن الجماع ودواعيه، الفسوق قلنا الراجح هو المعاصي كلها، والجدال هو المخاصمة سواء في أمور الدين أو أمور الدنيا، وهذا سبق بيانه.

• **القول الثالث:** لمن اتقى فيما بقي من عمره، نعم، نحن ذكرنا أن من علامات الحج المبرور كما قال العلماء: أن يرجع الحاج مجال أفضل مما كان عليه قبل الحج، فيرجع مطيعا بعد ما كان عاصيا، تائبا بعد أن كان مذنبيا، متقيا بعد أن كان غافلا، فهذا القول قاله أبو العالية وإبراهيم النخعي، **فعلى كل حال الأقوال كلها صحيحة** ولكن نحن نؤكد على أنه ينبغي للحاج أن يحرص على تحقيق مقام التقوى، وأن يلزم طاعة الله جل وعلا، وأن يستمر على ذلك، فإن من علامة قبول الحسنة اتباعها الحسنة الأخرى، ولما قيل لابن عمر رضي الله عنهما: ما أكثر الحاج؟ فقال رضي الله عنه: "بل ما أكثر الركب وأقل الحاج" يعني ما أكثر من جاء وراح إما مخالفا للسنة، أو عليه أخطاء، ماله الذي حج به مال حرام، يعني مرأى في عمله، واقع في الشرك مثلا، يعني أشياء كثيرة فإذا أردت أيها الأخ الكريم أيها الحاج طالب العلم فالزم تقوى الله تبارك وتعالى: { **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** }.

إيمان العبد بالحشر والجزاء والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى يدفعه للعمل الصالح، يعينه على طاعة الله، يجعله يحاسب نفسه، يراقبها، ينظر في أعماله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وهكذا المؤمن لا يزال موصولا يتذكر الدار الآخرة، ولذلك دائما نرى في الأحاديث: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ومن كان كذا دائما الربط بالدار الآخرة، فالعبد عندما يؤمن ويقر ويصدق وكلنا والله الحمد نؤمن بهذا وهذا ركن من أركان الإيمان، الإيمان باليوم الآخر لا شك أن هذا يدفعه للعمل الصالح، يجعله يحاسب نفسه، ينظر في أعماله، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن عمله ماذا عمل فيه) أو (ماذا عمل به)، فالإنسان عندما يعلم هذا ويقر لا شك أنه يستعد للقاء الله، ويتهيأ بالعمل الصالح واللجوء والصدق والدعاء والإجابة إلى الله تبارك وتعالى وغير ذلك من المعاني العظيمة.

هذه الآيات التي جاءت في الحج اشتملت على أحكام عظيمة، تدل على قدسية هذا الحج، وعلى منزلته العظيمة، وأن هذا الثواب الذي رتب عليه ثواب عظيم (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) والحديث الآخر: (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)، هذا يجعل الحاج يعتني بحجه من حيث تصحيح النية، ومن حيث التخلص من

الشركيات والبدع، ومن أن يكون ماله حلال، من حيث أن يأتي بالحج على سنة النبي صلى الله عليه وسلم قدر ما يستطيع، أما الزحام والمضايقات ما أحد إن شاء الله يفرح بهذا، يبتعد عن اللجج وعن الخصومة عن المعاصي الفسوق، يجعل نصب عينيه أن يكون حجه مقبولاً، يتقرب إلى الله في ذلك الحج بغاية ما يستطيع، يسأل الله في الأول والآخر أن يتقبل الله حجه **{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}**، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "والله لو أعلم أن لي سجدة واحدة متقبلة لتمنيت الموت بعدها".

طيب هذا الفضل العظيم وهذا الخير له شرائط وهو ما ذكرته آنفاً، فالله الله أيها الإخوة نعتني بهذا ونتفقه في أمور حجننا، وفي أمور عبادتنا، وطاعتنا، وطالب العلم والله الحمد في هذه الجامعة يدرس أحكام الحج هنا في تفسير آيات الأحكام، وفي أحاديث الأحكام، وفي الفقه، ويسأل عما أشكل عليه، والحج لا يفقهه طالب العلم كثيراً إلى أن يطبقه ويعيش واقعه، لأن الإنسان في الكلام النظري ما فيه شك أن الإنسان يستفيد ويقعد ويؤصل ويعرف الأحكام والمسائل، ولكن عند التطبيق لا شك أنه سيستفيد أكثر وأكثر وبخاصة إذا كان في صحبة العلماء وصحبة أهل الخير يستفيد منهم ويتعلم منهم، وقد كان سلفنا الصالح كما ذكر الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف يحرصون على صحبة أهل الخير في السفر وبخاصة في الحج، كان التابعون رحمهم الله تعالى يحرصون على صحبة الصحابة من أجل خدمتهم والاستفادة منهم، ولكن بعض الصحابة كان يأبى إلا أن يخدمهم، كما روي عن بعضهم في هذا، المهم كانوا يحبون الاستفادة منهم والتعلم والازدياد من طاعة الله عز وجل.

وحبذا لو مررت أخي في الله على تفسير القرآن كاملاً مثلاً في المختصرات مثل تفسير الشيخ السعدي مثل تفسير الكريم الرحمن، في تفسير الكريم المنان، ينبغي للإنسان أن يتدبر ويتفقه ويتعلم أحكام القرآن وهذا المنهج الذي ربي عليه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يقول أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يتعلموا ما فيهن من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً، قال والدنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: دل هذا الأثر على أن القرآن أنزل لثلاثة مقاصد عظيمة: تلاوة القرآن وحفظه تدبر القرآن والعلم بتفسيره قال تعلمنا القرآن والعلم وفقه أحكامه والعمل وهو العمل بالقرآن والسنة والسير على نهج القرآن كما قال

سبحانه **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}**

تم بحمد الله وعونه.